الجامعة الأردنية
نموذج التفويض

أنا محمود أحمد عبدالرزاق أشرق لبن، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي / أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: ٢٠/١٢/٢٠١٧

The University of Jordan
Authorization Form

I, Mahmoud Ahmad Abedalrazaq Oshrq Laban, authorize the University of Jordan to supply copies of my Thesis/ Dissertation to libraries or establishments or individuals on request, according to the University of Jordan regulations.

Signature:
Date: 20/12/2017

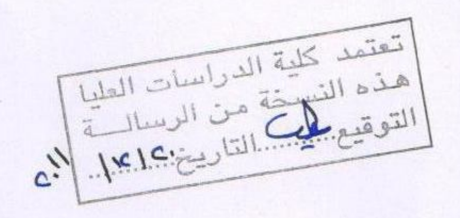
جماعة التبليغ والدعوة منهجاً وتأصيلاً

إعداد
محمود أشرق لبن

المشرف
الأستاذ الدكتور محمد نبيل العمري

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

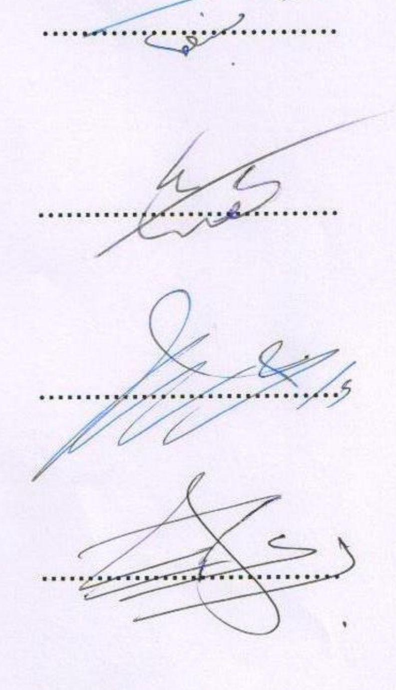
كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

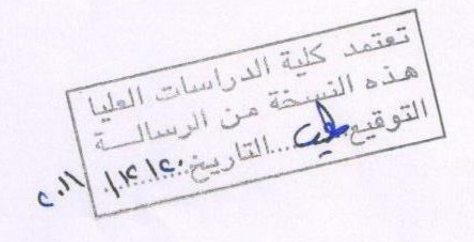


كانون أول ٢٠١١

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (جماعة التبليغ والدعوة منهجاً وتأصيلاً) وأجيزت بتاريخ ٢٠١١/٨/١١

التوقيـــــــــع	أعضاء لجنة المناقشـــــــة
....	الأستاذ الدكتور محمد نبيل العمري، مشرفاً أستاذ – العقيدة / الشريعة
....	الدكتور إبراهيم برقان، عضواً العقيدة / الشريعة
....	الدكتور أحمد العوايشة، عضواً أستاذ مشارك – العقيدة / الشريعة
....	الأستاذ الدكتور بسام العموش، عضواً أستاذ– العقيدة / الشريعة





الإهداء

رسالتي إلى تلك القلوب الصادق النقية التي ملأت العالم بصفائها وصدق رسالتها، وإلى تلك الأنامل الذهبية التي خطت على طريق الحق سير القلوب إلى بارئها، وإلى من بذل جهده وأرهق نفسه وجسده في سبيل نشر الخير إلى العالم، وإلى رجال الدعوة الذين هم من رجال الحق والذين اتخذوا من كلام ربهم رسالة الهدى بين أيديهم ومن هدي الحبيب ﷺ نهج حياة لهم ومن سير الصحابة صدق محبتهم وتآخوا فيما بينهم.

إليكم كل شكري وتقديري واليكم مني أجمل سلامي وأعذب كلامي فبارك الله لكم على جهودكم وإخلاصكم وجعلني الله وإياكم من جنوده بين عباده في الأرض.

شكر وتقدير

إلى الدكتور الفاضل محمد نبيل العمري أقدم لك باقات حب واحترام وامتنان على جهودك معي لإتمام مسيرتي، فكنت كالمنارة التي أضاءت لي دروب العلم وكنت كالمنارة التي ألوذ بها في رسالتي يا معلم الأجيال كلماتي لم تصف مدى شكري وتقديري لتلك الجهود التي كان لها البصمة الواضحة في رسالتي ولا يسعدني إلا أن أقول لك بارك الله فيك وجعل كل ما بذلت من جهد معي في سبيل الله.

كما لا أنسى الفضل لأساتذتي الكرام الذين قدموا لي الكثير من العلم ولهم مني أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة.

فهرس المحتويات

قائمة الجداول

جماعة التبليغ والدعوة منهجاً وتأصيلاً

إعداد

محمود أحمد عبدالرزاق أشرق لبن

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد نبيل العمري

ملخـــــص

إن ما أصاب المسلمين من التحلل والإفلاس في الإيمان، وغفلة الدعاة، والاشتغال الزائد بالحياة، والانهماك بالمادة، دعا العالم الرباني الشيخ محمد إلياس بدء دعوته برؤية واضحة أساسها أن التعليم وحده لا يكفي، وأن الاعتزال لا يفيد وأن الانزواء لا يصح، وقرر أنه لا بد من الاتصال بطبقات الشعب، ولا بد من غرس الإيمان ومبادئ الإسلام في القلوب ثم الأركان، من هنا جاءت فكرة إنشاء جماعة التبليغ والدعوة.

تعد جماعة التبليغ والدعوة إحدى أهم الجماعات الإسلامية في العالم حالياً، وهي الآن من أكبر الحركات الإسلامية للدعوة والإرشاد، وقد بلغ عدد أتباعها بالملايين وانتشر عملها الدعوي في أرجاء العالم كله، لأن دعاتها ورجالها يحملون هم نشر رسالة الإسلام السمحة ولأنهم استطاعوا أن ينتشروا في معظم أقطار العالم، وبسبب ضخامة العمل الدعوي وانتشاره في مشارق الأرض ومغاربها قام الناس يؤيدنه ويزكونه ويحبونه، وقام آخرون يعارضون العمل ويسيئون إليه ويكرهونه، فالمعارضون لمنهج التبليغ والدعوة وأهله يثيرون الشبهات ضدهم، ويصفونهم بالبعد والانحراف عن منهج الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ويلصقون التهم السيئة بكل أفرادها وينكرون جميع مالهم من الحسنات والإحسان، وبلغ البعض في اتهامه إلى درجة أنْ ضمهم إلى الفرق الخارجة عن دائرة الإسلام.

وبعد هذه النظرة المشوهة ارتأيت أن أبحث في منهج جماعة التبليغ والدعوة وعقيدتهم وفتح لي الباب إلى هذا الموضوع الدكتور محمد نبيل العمري وهيأ لي الظروف وساعدني في وضع خطة هذا البحث.. أشكره على ذلك.

لقد بدأت بالتعريف بجماعة التبليغ والدعوة من حيث نشأتُها وأهدافُها فكانت نشأتها في الهند على يد الشيخ محمد الياس الكاندهلوي، الذي نشأ في أسرة دينية متمسكة بتعاليم الإسلام، وكان للشيخ مكانةٌ علمية بين علماء عصره بشهادة أهل العلم والتقى.

لقد نشأتْ هذه الجماعة في ظروف صعبة حيث إن المسلمين أصابهم الذل والهوان بسبب بعدهم عن كتاب الله –تعالى– ومنهج رسوله ﷺ فكانت نشأة الجماعةُ بداية إصلاح للمسلمين وانتشالاً لهم من التدني الخلقي والديني ودعوة صادقة لهم إلى التمسك بالأخلاق والشريعة الإسلامية.

ومن خلال البحث في رأي الجماعة في الإلهيات والنبوات والسمعيات تبين أن جماعة التبليغ والدعوة تنتمي إلى أهل السنة والجماعة، ولا تبعد عنها قيد شبر فهي تؤمن بإيمان أهل السنة والجماعة، وتلتزم بأقوال العلماء الموثوق بهم.

أما موقف الجماعة من المدارس الإسلامية الأكثر أهمية لدى أهل السنة والجماعة وهم السلفية، والأشعرية، والماتريدية فإن الجماعة تتبنى آراء الماتريدية وتميل إلى بعض الآراء الأشعرية.

وأما موقفهم من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فتبين من خلال البحث أن جماعة التبليغ والدعوة تكفرهم لأنهم يعتقدون بعقائدَ باطلةٍ مخالفةٍ للعقيدة الإسلامية، وبما أن نشأة الجماعة كانت بين أوساط الديانات الوضعية مثل الهندوسية وغيرها حيث أثارت تلك الديانات الشبهات حول العقيدة الإسلامية مما كان له الأثر الأكبر في ابتعاد المسلمين عن دينهم، كل هذا جعل رجالا من الجماعة يتصدون بكل بسالة وإقدام للرد على هذه الديانات الوضعية.

لقد اتبعت الجماعة منهجاً دعوياً يقوم على مبادئَ ستةٍ هي الإيمان بالكلمة الطيبة بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله، والصلاة ذات الخشوع والخضوع، والعلمُ مع الذكر، وإكرامُ المسلمين، وإخلاصُ النية لله تعالى، والدعوة إلى الله تعالى، وهذا المنهج اختاره الشيخ محمد الياس لتغيير المجتمعات من حياة الغفلة والفسق والمعاصي إلى حياة الصلاح والتقوى، وقد نجح هذا المنهج نجاحاً باهراً فكان له الأثرُ العظيم على حياة الآلاف من الناس فأصبح عباد الدنيا العاكفون على الملذات والشهوات الغارقون في المعاصي والمحرمات من عباد الله المخلصين والمسلمين الأبرار المتقين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، فقد أرسل الله -تعالى- الرسل، وجعلهم رحمة للعالمين، فما من رسول بعث إلى قوم إلا وقد بلغ الرسالة على أتم وجه، ونصح أمته على أكمل نصح، فقد بعثهم الله -تعالى- لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة المخلوقات إلى عبادة رب الأرض والسماوات، وهذه الأمة، أمة النبي ﷺ، ستشهد يوم القيامة على جميع الأمم بأن جاءهم الرسل ليبلغوهم دين الله، قال -تعالى-: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾**.[(١)]

إن الرسول محمد ﷺ حمل أمانة الدعوة إلى أمته من بعده كل حسب علمه واستطاعته، فتعاهد الصحابة ﷺ لحمل هذه الأمانة العظيمة؛ فقاموا بنشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وكانت نصرة الله تتنزل عليهم من وقت لآخر، والناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وبقي الحال قائماً على ما هو عليه إلى أن تخلف المسلمون عن حمل هذه الأمانة العظيمة التي أوكلت إليهم بعد وفاة الرسول ﷺ، وابتليت الأمة بالذل والهوان. ومن المعروف أنه لا يمكن الخروج من هذه الظروف المهلكة إلا بالعودة الصحيحة الصادقة إلى الدين، وأن يتحمل المسلمون نشر الإسلام والدعوة إلى الله، فهب الكثير من العلماء والدعاة من هذه الأمة، ومن بينهم داعية القرن العشرين، الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي - رحمه الله - بتقديم خطة جديدة للدعوة إلى الله، مصدرها الكتاب والسنة وكتب السيرة الموثوقة، وذلك بغية الإصلاح الشامل للمجتمع الإسلامي فقدم الوسائل والأساليب العملية، فاستجاب إليه جماعة من الأمة الإسلامية وانتشرت هذه الجماعة في مختلف أنحاء العالم، وأصبح انتشارها يزداد يوماً بعد يوم، حتى وصل عدد أتباعها الملايين، يبذلون جهودهم المخلصة؛ لإعلاء كلمة الله.

وتعد جماعة التبليغ والدعوة إحدى الجماعات المهمة في العالم حاليا، ولها أثر واضح ودور بارز في الدعوة إلى الله، حيث كان لها دور إيجابي في إيقاظ الغافلين من المسلمين،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣

ودعوتهم إلى الحياة الإسلامية الصحيحة، وتحصيل الصفات التي كانت في حياة الصحابة ﷺ، وكثير من الكفار دخلوا في دين الإسلام على أيدي جماعة التبليغ والدعوة بسبب تحليهم بالأخلاق الحميدة والمعاملة الطيبة.

إلا أنه تصدى أناس لجماعة التبليغ والدعوة يحملون أفكاراً معينة، ولهم مقاصد خاصة، يتهمون الجماعة في منهجها، ويشككون الناس في أسلوبها، فصار هؤلاء يوقعون الشبهات على الجماعة، حتى وصل الأمر بهم إلى الطعن بعقيدة الجماعة والقول بأنهم خارجون عن أهل السنة.

وبعد هذه النظرة المشوهة ارتأيت أن أبحث في منهج جماعة التبليغ والدعوة وعقيدتهم، مع العلم أنه واجهني بعض الصعوبات في بحثي منها:

أ- في الجانب النظري ندرة الكتب التي تدرس جماعة التبليغ باللغة العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يفصل الذين يكتبون عن الجماعات الإسلامية الجانب الدعوي والفكري للجماعة وأن بعض تلك الكتب لمؤلفيها مشارب متنوعة لا يراعون فيها التمحيص فيما يكتبون إلا من رحم ربي.

ب- في الجانب العملي كان الاتصال بالعاملين في حقل الدعوة ضمن جماعة التبليغ أما عن طريق المقابلة الشخصية، أو عن طرق الهاتف أو الفاكس للإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحتها.

ج- لا يحبذ العاملون في حقل الدعوة من جماعة التبليغ الكتابة عن هذه الجماعة ولا عن فكرها ولا عن نشاطها لذا لم أجد كتباً تدرس جماعة التبليغ والدعوة بما يشفي الصدور.

ولما لم تكن المصادر والمراجع متوفرة بالشكل المطلوب، سافرت إلى الهند حيث نشأة الجماعة، وقمت بزيارة مركزها الرئيسي وجامعة دار العلوم ديوبند التابعة للمركز فأفدت بعدد من مشايخ الجماعة وعلمائها، وكنت اطرح عليهم أسئلة حول موضوع بحثي، فأخذت منهم استفادة كبيرة، وحصلت على بعض المصادر والمراجع باللغة العربية تتحدث عن منهجهم وعقيدتهم، الأمر الذي ساعدني على استخلاص المعلومة من المنشأ والمصدر.

وهذه الدراسة تتميز عن باقي الدراسات؛ لأنها تدرس جماعة التبليغ والدعوة منهجاً وتأصيلاً، ولذا اخترت عنوان: (جماعة التبليغ والدعوة منهجاً وتأصيلاً)، وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

أما الفصول فهي كما يأتي: **فصل تمهيدي بعنوان: التعريف بجماعة التبليغ والدعوة،** ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الجماعة وأهدافها، وقد قسمته إلى ستة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمؤسس الجماعة.

المطلب الثاني: ثقافته وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: مكانته بين العلماء وعلاقته بهم.

المطلب الرابع: وفاته.

المطلب الخامس: ظروف النشأة.

المطلب السادس: الأهداف والمقاصد.

المبحث الثاني: أماكن انتشار الجماعة، وقد قسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: الانتشار في زمن المؤسس.

المطلب الثاني: الانتشار بعد وفاة المؤسس.

المبحث الثالث: مدارسها الدعوية وأثرها في العالم، وقد قسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: جامعة دار العلوم ديوبند.

المطلب الثاني: جامعة مظاهر العلوم في سهارنفور.

وجعلت **الفصل الأول بعنوان: موقف علماء جماعة التبليغ والدعوة من الفرق والملل والنحل الأخرى.** ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف علماء جماعة التبليغ والدعوة من المدارس الإسلامية عند أهل السنة (السلفية، الأشعرية، الماتريدية).

المبحث الثاني: موقف جماعة التبليغ والدعوة من الفرق والملل والنحل الأخرى، وقد قسمته إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: موقف علماء الجماعة من أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

المطلب الثاني: موقف علماء الجماعة من الهندوسية.

المطلب الثالث: موقف علماء الجماعة من بعض الفرق والطوائف (جماعة أهل القرآن، الأغاخانيون، القاديانية).

المطلب الرابع: التبليغ والتصوف

المبحث الثالث: موقف المدارس والفرق والملل والنحل الأخرى من جماعة التبليغ والدعوة.

وجعلت **الفصل الثاني بعنوان: جماعة التبليغ والدعوة في الأردن**، ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: دخول الحركة إلى الأردن.

المبحث الثاني: العمل الدعوي للجماعة في الأردن.

المبحث الثالث: أثر الجماعة على المجتمع الأردني.

المبحث الرابع: موقف الجماعة من الجماعات الإسلامية الأخرى، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإخوان المسلمون.

المطلب الثاني: السلفية.

المطلب الثالث: حزب التحرير.

وجعلت **الفصل الثالث بعنوان: المنهج الدعوي عند جماعة التبليغ والدعوة** ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: منهجهم العلمي في الدعوة، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المنهج العلمي الدعوي (التعليم العام).

المطلب الثاني: الطريقة التي اختارها الشيخ محمد إلياس في التعليم.

المطلب الثالث: المنهج العلمي الدراسي المنتظم (التعليم الخاص).

المبحث الثاني: الوسائل الأساسية في دعوتهم وأساليبها، وقد قسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: الوسائل التي اختارها الشيخ محمد إلياس في التبليغ والدعوة.

المطلب الثاني: الأساليب الأساسية في دعوتهم.

أما **الفصل الرابع فقد جاء بعنوان: أهم الشبهات المثارة حول جماعة التبليغ والدعوة**، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الشبهات المتعلقة بالعقيدة.

المبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالسلوك والمنهج.

ثم ختمت الرسالة بأهم نتائج البحث التي توصلت إليها.

الفصل التمهيدي: التعريف بجماعة التبليغ والدعوة

المبحث الأول: نشأة الجماعة وأهدافها

المطلب الأول: التعريف بمؤسس الجماعة

هو الشيخ محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل بن غلام حسين، الحنفي، الكاندهلوي،[١] الديوبندي.[٢]

مولده

ولد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي سنة (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) في مدينة كاندهلة، وعاش أيام طفولته عند أخواله فيها، ثم انتقل إلى والده الشيخ محمد إسماعيل الكاندهلوي في دلهي، وقرأ القرآن وتعلمه على والده.[٣]

نشأته وأسرته

ونشأ الشيخ محمد إلياس في أسرة إسلامية ملتزمة بتعاليم الإسلام، وكانت أسرته دائمة العبادة والذكر وتلاوة القرآن في معظم أوقاتها.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:[٤] "كانت أسرته مهد العلم والدين والورع، حيث رويت قصص كثيرة حرص السيدات في هذه الأسرة على العبادة والتلاوة والذكر، ومواظبتهن عليها، وإحيائهنّ الليالي، وقيامهن بتلاوة السور القرآنية، مما لا تسمو إليه همة كثير من الذكور في هذه الأيام، فقد كن يحافظن على السنن والنوافل، بما فيها صلاة التراويح في رمضان، وكان شهر رمضان المبارك ربيع القرآن الكريم، حيث يتذوقن تلاوة القرآن ويتلذذن به"[٥]

---

(١) هي مدينة تقع بمديرية "مظفر نكر" بالهند. انظر: بيرزادة، عبدالخالق، الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة، مكتبة الآداب، ط١ (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص٢٨

(٢) نسبة إلى الجامعة الديوبندية في الهند التي تأسست عام ١٢٨٣هـ على يد محمد قاسم الناتوتي – انظر: الطيب، محمد، كتاب علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي، تعريب نور الأمني، دار العلوم ديوبند ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص٧٦

(٣) الندوي، علي الحسني، حياة الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس، مكتبة الأختر الهند، ط١ (١٩٩٢م) ص٩

(٤) ولد في الهند سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٤م)، تعلم العربية في صغره، وقرأ كتب الحديث على الشيخ حيدر الطونكي، وقرأ التفسير على الشيخ أحمد علي، وعُين مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء، وأسس المجمع الإسلامي العلمي في " لكهنو"، وكان عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. اختير رئيساً لمركز اكسفور للدراسات الإسلامية عام ١٩٨٣، له مؤلفات عديدة مثل: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، الإسلام والحكم، الندوى، محمد طارق، سماحة الشيخ أبو الحسن الندوى، مكتبة حراء، الكهنؤ –الهند-(١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص١٠.

(٥) الندوي، علي الحسني، حياة الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس، مرجع سابق، ص٩

وكان من جدود هذه الأسرة الكريمة الإمام الكبير المفتي إلهي بخش الكاندهلوي[١] وتنسب أسرة الشيخ محمد إلياس إلى قرية "جهنجهانة"[٢] حيث ولد أبوه، ومن جهة أخرى ينسب الشيخ محمد إلياس إلى مدينة "كاندهلة" لأن ولادته فيها، وذلك عندما انتقل والده محمد إسماعيل من قرية جهنجانة إلى مدينة "كاندهلة" واختارها مقراً له، هذا وقد تزوج والده اثنتين، كانت الأخيرة منهما من مدينة "كاندهلة"، فكان الشيخ محمد إلياس يتردد عليها كثيراً، ومن هنا أصبحت نسبته الكاندهلوي بدلاً من الجهنجهانوي.[٣]

والده هو العالم الرباني الشيخ محمد إسماعيل بن غلام حسين، الذي ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والدين، وولادته كانت في قرية "جهنجانة"، وأقام في مدينة دلهي، وتزوج اثنتين، فولد له من البنين الشيخ محمد من زوجته الأولى، والشيخ محمد يحيى، والشيخ محمد إلياس من زوجته الثانية، وكان تقياً ورعاً متفرغاً للعبادة، واشتغل بتدريس القرآن الكريم،[٤] يقول أبو الحسن الندوي: "عاش حياته في العزلة والخلوة والعبادة، وكانت العبادة والتلاوة، وخدمة الغادين والرائحين من المسافرين، وتعليم القرآن والدين، شغله الشاغل في ليله ونهاره، فقد كان على قمة من التواضع، وإنكار الذات، حتى إنه رأى أجيراً كادحاً يستثقل الحمل، ويشكو العطش، فوضع حمله عنه بيديه، ونزع الماء بالدلو من البئر بنفسه وسقاه، ثم ركع ركعتين شكرا لله الذي وفقه لخدمة عباده، وكان يواظب على الأذكار والأدعية المأثورة في معظم أوقاته، وعجنت طينته بحب السلام ومعاشرة الناس في جو من الحب والانسجام، فلم يشك من أحد قط، وظل موضع الحب والإعجاب والثقة من العلماء".[٥]

وأمه هي السيدة "بي صفية" المعروفة بــ"أمي بي"، ومعناها السيدة المحترمة، وكانت حافظة للقرآن الكريم، وتراجع حفظها باستمرار.[٦]

---

(١) هو الشيخ الفاضل الهي بخش بن شيخ الإسلام بن قطب الدين بن عبدالقادر الحنفي الكاندهلوي، ولد سنة (١١٦٢هـ)، أحد العلماء المبرزين في المعارف الإلهية، قرأ العلم على الشيخ عبدالعزيز ابن ولي الله العمري الدهلوي، ولازمه مدة، وبايعه، وأخذ الطريقة القادرية عن أخيه الحاج كمال الدين الكاندهلوي وعن الشيخ عبدالعدل عن الشيخ زبير من أبي العلاء السرهندي، ثم أخذ الطريقة النقشبندية عن السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، وله مؤلفات منها "الملهمات الأحمدية"، توفي سنة (١٢٤٥هـ)، انظر: البرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، أكاديمية شيخ الهند ط١ (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص١٣٧

(٢) هي قرية تقع غرب الولاية الشمالية بمديرية "مظفر نكر" في الهند وفيها كانت ولادة أبيه الشيخ محمد إسماعيل

(٣) ميتا، خالد زيد، الدعوة والتبليغ، بر إلياس، البقاني، لبنان، ط١ (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص٨٤

(٤) الندوي، علي الحسني، حياة الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس، مكتبة الأختر ص٩

(٥) المصدر السابق نفسه ص٩-١٠

(٦) الندوي، علي الحسني، حياة الداعية الكبير، مرجع سابق ص١٠

المطلب الثاني: ثقافته وطلبه للعلم

تعلم الشيخ محمد إلياس في الكُتّاب،[١] وقرأ القرآن وحفظه في صغره على يد أبيه الشيخ محمد اسماعيل في قرية نظام الدين، ثم ارتحل مع أخيه الشيخ محمد يحيى[٢] إلى قرية كنكوه،[٣] وكانت هذه القرية هي البيئة الأنسب ليستقي منها المعرفة والعلم؛ لأنها كانت منتجع الصالحين والأتقياء والعلماء، فدرس في مدرستها تحت إشراف سيد العارفين الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي،[٤] وفي هذا الصدد يوضح الشيخ محمد زكريا[٥] أن الشيخ محمد إلياس نال حظاً وفيراً من تربية إمام المشايخ الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وفي نفس الوقت كان أخوه الشيخ محمد يحيى معلماً في هذه المدرسة فاستفاد منه وتعلم على يده، وبقي في قرية كنكوه يستقي العلم من العلماء الأفاضل، وفجأة أصيب بصداع في الرأس فتوقف عن العلم، وانقطع عن الدراسة وهو متألم لحاله، يقول أبو الحسن الندوي: "كان الشيخ ضئيل الجسم نحيلاً، أصيب بانحراف في الصحة أيام إقامته بكنكوه في سبيل الدراسة والتحصيل، وأصيب بصداع في الرأس صار لا يستطيع معه أن يحني رأسه، أو يسجد حتى على الوسادة، وظل يقاسي ذلك شهوراً طويلة كان يداويه ابن الشيخ الكنكوهي الطبيب الأستاذ مسعود أحمد الذي كان يسلك طريقة غريبة في العلاج، فكان يمنع المريض عن الماء، وكذلك كان مع الشيخ إلياس، وظل يلتزم تلك الحمية، وتقيد بهذه الوصية الطبية بفضل ما أوتي من قوة الصبر والصلابة والعزيمة وقوة الإرادة التي ظلت سمته في حياته، على حين تراجع المرض أمام هذه الحمية القاسية، وظل سبع سنين لا يصيب من الماء وخمس سنين لا يتذوقه إلا القليل"[٦] وبعد أن عوفي الشيخ من مرضه

---

(١) الكُتّاب جمع كتاتيب، وهو مكان التعليم للصغار في سن السابعة تقريباً، يقوم على تدريسهم معلم واحد. انظر: فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ص٢٦

(٢) هو الشيخ محمد يحيى بن إسماعيل الكاندهلوي نسباً، الحنفي مذهباً، وهو الأخ الأكبر للشيخ محمد إلياس، ولد سنة (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) كان محدثاً أديباً، ماهراً في العلوم العربية، تقياً ورعاً حافظاً للقرآن و الحديث، وله من المؤلفات ما تزيد عن عشرين كتاباً منها "الفتاوى المحمدية"، توفى سنة (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م)، انظر: البرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، مرجع سابق، ص٩٧

(٣) هي قرية من قرى سهارنفور في الهند

(٤) رشيد أحمد الكنكوهي: ولد سنة (١٢٤٤هـ) في كنكوه في مدينة سهارنفور في الهند، له مؤلفات كثيرة منها: تصفية القلوب، سبل الرشاد، البراهين القاطعة في الرد على الأنوار الساطعة، وحارب ضد الإنجليز، والتقى بالشيخ محمد قاسم النانوتي حجة الإسلام في الهند، توفي سنة (١٣٢٣هـ). انظر: البرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند، مرجع سابق ص٦٣

(٥) هو محمد زكريا الكاندهلوي، وهو زوج أخت الشيخ محمد إلياس، ولد سنة ١٣١٥هـ في كاندهلة، ودرس في جامعة مظاهر العلوم، ثم انتخب فيها مدرساً، ثم صار أستاذاً للحديث الشريف وفوض إليه تدريس صحيح البخاري، ومن مؤلفاته: شرح ألفية ابن مالك في ثلاثة مجلدات، وأوجز المسائل في شرح الموطأ مالك مطبوع في خمسة عشر مجلداً، توفي سنة (١٤٠٢هـ). انظر: البرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، مرجع سابق ص١٣٥

(٦) الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص١٢

عاد إلى العلم مرة أخرى، وفي مرضه توفي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي مما ترك هذا الحادث الأليم أبلغ تأثير وأعمقه على قلب الشيخ محمد إلياس، ثم ارتحل إلى دار العلوم في ديوبند[١] سنة (١٣٢٦هـ)، فتلقى دروس البخاري والترمذي على يد شيخ الهند الشيخ محمود الحسن[٢] وبعد انتهائه من دار العلوم بديوبند بدأ رحلته الثالثة إلى مدينة "سهارنفور"[٣] في الهند والتحق بمدرسة "مظاهر العلوم" ليكمل دراسة جميع كتب الحديث، وقرأ بقية الصحاح الستة على أخيه الشيخ محمد يحيى في أربعة أشهر، ثم اتصل بالشيخ خليل أحمد السهارنفوري[٤] صاحب بذل المجهود في حل ألفاظ أبي داود، فتلقى عنه التربية الروحية،وتخرج عليه في التزكية القلبية و الإحسان، وظل الشيخ محمد إلياس يقضي معظم أوقاته في العبادات والنوافل.[٥]

المطلب الثالث: مكانته بين العلماء وعلاقته بهم

كان العلماء والمشايخ الكبار في الهند يقدرون الشيخ محمد إلياس ويحترمونه، حتى إنهم يقدمونه للإمامة بحضرة العلماء والمشايخ. يقول أبو الحسن الندوي: "كان موضع احترام فيما بين المشايخ و العلماء، يحترمه الكبار والصغار، رغم صغر سنه، كان الشيخ محمد – أخوه الأوسط– أكبر منه سناً، وما كان يعامله معاملة الكبير مع الصغير. وكان كبار العلماء والمشايخ يعرفون تقواه، وورعه، التي يمتاز بها، فكانوا يقدمونه للإمامة بالناس في الصلاة على ملأ من

(١) تأسست سنة (١٢٨٣هـ/١٨٦٦م)، وأسسها مجموعة من علماء الهند أبرزهم محمد قاسم النابوتي، فكان تأسيسها رد فعل قوي لوقف الزحف الغربي ومدنيته المادية على شبه القارة الهندية لإنقاذ المسلمين من مخاطر هذه الظروف، خاصة أن دلهي العاصمة قد خربت بعد الثورة التي قام بها الهنود بكل طوائفهم ضد الاستعمار الإنجليزي، ولكنها فشلت، فبقيت الهند تحت الاستعمار، وسيطر عليها الإنجليز سيطرة كاملة، وخاف العلماء على دينهم فاخذ الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وتلميذه الشيخ محمد قاسم النانوتي وأصحابهما برسم الخطط للمحافظة على الإسلام وتعاليمه، فرأوا أن الحل بإقامة المدارس الدينية والمراكز الإسلامية، وهكذا أسست المدرسة الإسلامية العربية بديوبند كمركز للدين والشريعة قي الهند في عصر حكومة الإنجليز.
انظر: الجهني، مانع بن حماد،الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، ص٣٠٤

(٢) ولد سنة (١٢٦٨هـ) بمدينة "بريلي"، ونشأ في ديوبند، والتحق بدار العلوم ديوبند بعد تأسيسها، فكان أول طالب للجامعة. وابرز شيوخه: الملا محمود، والشيخ يعقوب النانوتي، والشيخ أحمد الدهلوي. وأخذ الحديث عن الإمام محمد قاسم النانوتي، ثم وُلّيَ شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي رئاسة التدريس في جامعة ديوبند سنة ١٣٠٥هـ. وأبرز مؤلفاته: "تعليقات على سنن أبي داود" وله رسائل عديدة طبعت باسم "مكتوبات شيخ الهند" وكان قائداً لحركة تحرير الهند، وتوفي سنة (١٣٣٩هـ) في دهلي، ودفن بديوبند بجوار أستاذه الإمام محمد قاسم النانوتي. انظر: البرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند، مرجع سابق ص٧٨

(٣) مديرية من مديريات الشمال الهندية، تقع بين دلهي العاصمة ومدينة لاهور بباكستان

(٤) ولد سنة ١٢٦٩هـ وهو محدث ورئيس جامعة "مظاهر العلوم "ثلاثين سنة، وحفظ القرآن في صباه، وتوفي سنة ١٣٤٦هـ، وله مؤلفات عديدة منها: "بذل المجهود في حل ألفاظ أبي داود" و"البراهين القاطعة على ظلال الأنوار الساطعة" انظر ترجمة الشيخ في مقدمة كتاب بذل المجهود في حل ألفاظ أبي داود المجلد الأول / دار الكتب العلمية ص٢٤

(٥) بيرزادة، عبدالخالق، الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ، مكتبة الآداب، ط١، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص٥٦

كبار العلماء، وعندما اجتمع في "كاندهلة" كل من المربي الكبير الشيخ عبدالرحيم الرائفوري، والشيخ المحدث الكبير خليل أحمد السهارنفوري والشيخ الكبير اشرف علي التهانوي، ووافاهم وقت صلاة العصر فقدموا الشيخ إلياس ليؤم بهم"،(١) وكانت علاقة الشيخ محمد إلياس بشيخه الإمام رشيد أحمد الكنكوهي علاقة تربوية. يقول الشيخ محمد زكريا: "إن الشيخ محمد إلياس نال حظاً وفيراً من تربية إمام المشايخ رشيد أحمد الكنكوهي"،(٢) ثم كان لعلاقته بالعلامة الشيخ محمد يحيى – وهو أخوه الأكبر – تأثير قوي في المجال العلمي حتى إنه بعد وفاة أخيه خلفه في التعليم والتربية في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور، وكانت علاقته بشيخ الهند محمود الحسن علاقة وطيدة، حتى إنه رافقه في جهاده ضد الاستعمار الإنجليزي على الهند فكان له تأثير بالغ على الشيخ محمد إلياس في المهام السياسية.(٣)

المطلب الرابع: وفاته

كان الشيخ محمد إلياس يعاني من مرض في أمعائه ورأسه، وكان نحيلاً وضعيف البنية، حيث أصيب بإسهال لازمه حتى آخر حياته، ففي الليلة الثالثة عشرة من شهر تموز سأل أحد الحاضرين هل اليوم هو الخميس؟ فقالوا: نعم، قال: انظروا في ملابسي لئلا تكون نجسة، فقالوا: إنها طاهرة، ثم نزل من السرير، وتوضأ، وصلى العشاء مع الجماعة في داخل الحجرة، وأوصى الناس أن يكثروا الليل من الدعاء والنفث عليه، وقال: ليكونن اليوم عندي أناس يميزون بين فعل الشيطان وفعل ملائكة الرحمن. وفي الساعة الثانية عشرة غشيته إغماءة من الإغماءات، فدعي الطبيب هاتفياً فحضر وأعطاه حبات من الدواء، وظل يردد طول الليلة: الله أكبر، الله أكبر، وفي السحر طلب ابنه الشيخ محمد يوسف، وقال له: تعال نلتقي فلا بقاء بعد هذه الليلة، فإني مرتحل. وانتقل إلى رحمة الله قبل أذان الفجر في (٢١ رجب سنة ١٣٦٣هـ). وبعد صلاة الفجر نصَّب الناس وهم محزونون الشيخ محمد يوسف – رحمه الله – مسؤولاً مكانه، لتحمل أعباء هذه الدعوة، ووضعوا عمامته على رأسه. ثم غسله العلماء والفقهاء، وطبقوا أثناء غسله جميع السنن والمندوبات، وانتشر الخبر في المدينة، وتقاطر الناس من كل جانب حتى صار الحشد هائلا لا يكاد يجمعه جامع ولا يقيده نظام، وصلى عليه الشيخ محمد زكريا ووضع جثته بعد مشاق طويلة من الزحمة التي تفوق السيطرة في قبره بجوار شقيقه ووالده.(٤)

---

(١) الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص١٤

(٢) بيرزادة، عبدالخالق، الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه في الدعوة والتبليغ مرجع سابق ص٧٤

(٣) ميتا، خالد زيد، الدعوة والتبليغ، مرجع سابق ص٩٠

(٤) الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٧٦

المطلب الخامس: ظروف النشأة

إن الذي يبحث في جماعة ما من الطبيعي أن يتطرق إلى ظروف النشأة التي مرت بها الجماعة، حتى يتمكن من التعرف على العوامل والظروف التي أثرت في نشأتها.

وإن العالم بأجمعه كان يعرف آنذاك أن الهند كانت تئن تحت وطأة الاستعمار الإنجليزي حتى عام (١٩٤٧م). ولم يكتف الاستعمار باستغلال مؤهلات الهنود، ونهب ممتلكاتهم، والقضاء على مستواهم المعيشي المرتفع، وإنما دبر خطة مدروسة للقضاء على ما لديهم من العلم، والحرص على الدراسة، والتفاني في سبيل العقيدة، وصيانتها، ونجح الاستعمار إلى حد كبير في تحقيق غرضه الخبيث هذا.

ولقد تبنى واضعو المناهج الدراسية ومؤلفو الكتب المقررة للتدريس في الهند الهندوسية، بعرض شعائرها ومقدساتها وأساطيرها الدينية مما يتنافى مع تعاليم الإسلام، ويخالف عقيدة التوحيد، وما جاء في القرآن الكريم من وصف الله –تعالى– بصفات العظمة والجلال، والقدرة والكمال، والتفرد والتعالي عن المثل، وعدم الحلول والاتحاد، وينافي أيضاً عقيدة الرسالة والنبوة، وقد دعت الهندوسية في مناهجها الدراسية إلى تقديس الآلهة الأسطورية وعبادتها، وتقديس بعض المدن والأنهار والحيوانات وتأليهها،[١] وأدى اختلاط المسلمين الهنود مع الهندوس إلى الانحطاط الديني والتفسخ الخلقي عند المسلمين، لأنهم لبسوا زيهم، وتسموا بأسمائهم، وتصاهروا معهم، ولم يبق معهم من هذا الدين إلا معرفتهم أنهم من سلالة إسلامية، ففسدت عقيدتهم، وحل الضلال والجهل محل الهدى والعلم، وأصبح مسلمو الهند يعانون من ضروب المحن والبلاء، ومال بهم الشيطان عن سبيل الله، وبعدهم عن إتباع سنة رسول الله ﷺ، ولم تعد الصلوات فيهم تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأصبح المسلمون في غاية الاحتياج إلى أن يُعنى بها المعنون ويسمو بها السامون.[٢]

فاستيقظ أبناء المسلمين من الهند المستعبدة بعد سبات عميق أمتد زهاء قرن، ونهضوا متكاتفين لتحرير البلاد من أيدي الإنجليز، وملأت السماء والأرض هتافات التحرير والاستقلال. وكان هناك رجال موفقون درسوا الأوضاع، وقرأوا التاريخ القديم الزاهر للهند، فاهتموا اهتماماً بالغاً بالإصلاح الديني، إضافة إلى بذل كل ما في أيديهم من نفس ونفيس وغالٍ ورخيص بمستوى مسلمي الهنود التعليمي الهابط للغاية بعد أن استعبدها الاستعمار الإنجليزي، على حين أنهم كانوا على مستوى رفيع في حقل التعليم في عصور ملوك المغول المسلمين الذين يوجه

---

(١) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، المسلمون في الهند،مكتبة زكريا، لاهور، باكستان ط١ (١٩٦٢م)، ص١٠٨-١٠٩

(٢) الأنصاري– صدر الدين عامر– الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية، نظام الدين ط١ (١٩٧٣م)، ص٨-٩

الاستعمار إليهم تهماً فارغة بأنهم سقطوا بالهند إلى قعر سحيق من الجهل.[1] فشمر العلماء لإنهاء هذا الوضع، وكان من بينهم الشيخ محمد إلياس –رحمه الله–. يقول أبو الحسن الندوي: "لقد رأى مولانا الشيخ محمد إلياس ما أصاب المسلمين من التحلل والإفلاس في الإيمان والروح والشعور الديني في هذه المدة وما أثرت فيهم الانجليزية، والحضارة الغربية، والتعليم المدني، وغفلة الدعاة، والاشتغال الزائد بالحياة، والانهماك بالمادة، حتى صارت المدارس الشرعية والأوساط الدينية كجزر في بحر محيط، وأصبحت تتأثر بمحيطها الثائر على الدين، ولا تؤثر هذه المدارس على المسلمين لضعفها وعزلها عن الحياة. فرأى أن التعليم وحده لا يكفي، والاعتزال لا يفيد، والانزواء لا يصح، ولا بد من الاتصال بطبقات الشعب، ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار، ويجب أن يُبتدَئ بغرس الإيمان ومبادئ الإسلام في القلوب، ثم الأركان، والعلم، والذكر، مع مراعاة الآداب التي تقوي هذه الدعوة وتحفظها من الفتن، ومنها إكرام كل مسلم، ومنها عدم الانشغال بما ليس بسبيل الداعي، وترك ما لا يعنيه، وقد دعا إلى هذا النظام بكل قوته ونفوذه، ودعا إلى الخروج في سبيل هذه، وبثها بين القرى والمدن، وبدأ دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقياً، وأبعدها عن الدين، وأعظمها جهالة وضلالة، وهي منطقة ميوات[2] في جنوب دلهي، ودعا الناس فيها إلى الانقطاع عن أشغالهم، والخروج من أوطانهم لمدة محدودة قد تكون شهراً، وقد تكون أكثر من ذلك، وعرف أنهم لا يتعلمون ولا يتغيرون في الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط الفاسد الذي يعيشون فيه".[3]

منطقة ميوات

كانت أمة "ميو" التي تسكن منطقة ميوات منبع الفساد والإيذاء والنهب في أول أمر الدولة الإسلامية في دلهي، وكانوا يسومون الناس سوء العذاب، ويصبون عليهم أشد النكال، ويغيرون على دلهي من خلال الغابات المترامية الكثيفة، وكانت أبواب أسوار المدينة تغلق قبل أن يمد الليل رواقه اتقاء لشرهم، وكانوا يدخلون المدينة بحيلة أو بأخرى، وكان أهل المدينة في قلق من أمرهم، يعيشون وضعاً مخوفاً مستمراً، وقد بلغ وضع أمة "ميو" من الانحطاط الديني والتفسخ الخلقي إلى حد كبير، وشعر المؤرخون من غير المسلمين ببعد "ميو" عن الإسلام،

---

(١) المدني، حسن أحمد، الحالة التعليمية في الهند فيما قبل الاستعمار الإنجليزي وفيما بعده تعريب نور عالم خليل الأميني دار النشر: أكاديمية شيخ الهند الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند (الهند) ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٥

(٢) هي المنطقة التي تقع في جنوب العاصمة دلهي، والتي يقطنها أمة "ميو" تدعى ب "ميوات" ولا ندري متى أسلمت لأنه ليس هناك مصدر يمكن الاستناد إليه انظر: الندوي، علي الحسيني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٢٢

(٣) الندوي، علي الحسني، الدعوة الإسلامية في الهند مرجع سابق ص ٣٨

فكانوا يحتفلون بكثير من أعياد الهندوس، ويتسمون بأسماء هندوسية، ولا يوجد من يعرف كلمة "لا اله إلا الله" إلا القليل النادر، وأما المصلون فهم عدد أقل من ذلك ولا يعرفون شيئاً من أحكام الصلاة ولا مواقيتها، ولا يقومون برحلة الحج أبداً ولا يورثون المرأة.

وعلى الرغم من هذا الانحطاط الديني والتفسخ الخلقي فإن أمة "ميو" تتمتع بمزايا وعادات وخصائص وصفات جيدة، فقد كانت ولا تزال تتصف بالبساطة والمجاهدة والعزم والفاعلية والصلابة، والأصالة هي التي يمتاز بها الميواتي عن المسلمين من سكان المدن والقرى المتمدنة، وكأن الصلابة والأصالة هما اللتان حالتا بينهم وبين الردة عن الإسلام، ومن مزايا هذه الأمة أنها بقيت صافية من كتابات خاطئة مميتة وملوثة يستعصي محوها، وتتعسر إزالتها، وأما العادات الفاسدة والأوهام الخاطئة والتقاليد الجاهلية والأعراف الهندوسية فكانت كالزبد يذهب جفاء، أو كغثاء السيل ماله من قرار.[١]

بداية الإصلاح والاتصال ونشوء الجماعة في منطقة ميوات

بدأ الإصلاح بميوات والاتصال بها في حياة الشيخ محمد اسماعيل والد الشيخ محمد إلياس؛ حيث كان يسكن في حي نظام الدين، بالقرب من منطقة ميوات، وقد أقام الشيخ محمد إسماعيل مدرسة متواضعة في نظام الدين، وصار يجلب أبناء الميواتيين إليه، ويفقههم في الدين، ويدفع لهم أجرة ذلك اليوم، مما ترك أثراً طيباً في نفوس القوم، ثم يرسلهم إلى ميوات دعاة هداة، يعلمون الآخرين ما تعلموا، وبذلك بذر الله حب الأسرة الكريمة التي ينتمي إليها الشيخ محمد إلياس في قلوب سكان ميوات، وبعد وفاة الشيخ محمد اسماعيل أراد الشيخ محمد إلياس أن يخطو خطوة أخرى، بأن يقيم في ميوات نفسها كتاتيب ومدارس؛ لأنه كان يرى أن الطريق الوحيد لإصلاح ميوات هو بث التعليم الديني في المجتمع الميواتي، حتى يطّلع الميواتيون على أحكام الإسلام وتعليم القرآن، ويتوسع نطاق الخير والصلاح، وتبدأ حركة الإصلاح والتبليغ والتجديد الديني في البلاد، ولم يكن الشيخ محمد إلياس ليزورهم عندما أصر عليه كثير من أهل ميوات أن يزور منطقتهم إلا أن اشترط عليهم إقامة كتاتيب ومدارس، وأكد لهم أنه سوف لا يزورهم ما لم يعدوا بذلك، وما كان عمل أصعب وأشق على الميواتيين وقتذاك من تلك الغفلة، فكان النزول عند هذا الشرط أثقل شيء عندهم، فقد كانوا يدركون أنه لاشيء أشق على الميواتيين من أن يصرفوا أطفالهم عن الأعمال التي تدر لهم المكاسب المادية إلى التعليم، ولكن الشيخ بادر بالزيارة وتمكن من فتح كُتَّاب واحد ثم تلته كتاتيب ومدارس أخرى، وكان الشيخ

(١) انظر: الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٢٢

محمد إلياس يدفع رواتب المعلمين من جيبه الخاص مقابل أن يذهب أهل ميوات بأبنائهم إلى تلك الكتاتيب والمدارس[١] ومع ذلك لم يتم الإصلاح الذي كان يريده الشيخ محمد إلياس وهو تقوية الإيمان في المجتمع كله. وقد علم بأن الكتاتيب والمدارس وحدها لا تفي بهذا الغرض لأن المقصود الأول هم الكبار بالإضافة إلى الصغار، وأن الكبار هم موضوع الخطاب الشرعي، فكيف سيحصل الرجال على الإيمان وقد جاوز سنهم التحصيل العلمي، بالإضافة إلى انشغالهم في طلب الرزق، فأخذ الشيخ يفكر بطريقة للوصول إلى غايته وهي الإصلاح العام في جميع طبقات المجتمع، وذلك عن طريق مضاعفة جهوده وشمولية الدعوة للناس كافة.

الحركة الشاملة لإثارة الإيمان ووضع أسس العمل الدعوي في ميوات

شعر الشيخ محمد إلياس أن الجهل مطبق، والظلام مخيم على أهل ميوات، وغير الدينية سارية في المجتمع، وأنه لا يوجد عند القوم حرص على الدين حتى يبعثوا أولادهم لتحصيله و تعلمه مندفعين راغبين، ويدعوهم يجلسون في الكتاتيب، وبما أنهم لا يتمتعون بمعرفة ما هو الدين، فإنهم لا يقدرون هؤلاء الطلاب الذين يتخرجون في الكتاتيب وينبثون يحملون إليهم الهداية والدعوة، ولا يستمعون إلى ما يقولون، ولا يخضعون لما يدعون، إذا فلا تؤثر تلك الكتاتيب تأثيراً ما في حياتهم.

ولكن الشيخ لم ييأس من تحقيق غايته وهدفه، بل ظل على اتصال بأهل ميوات بقيامه برحلات متكررة إليها، وبالمقابل ظل أهل ميوات يستفيدون منه علمياً ودينياً وتربوياً، وفي هذه الأثناء، سافر الشيخ إلى الحج في شوال سنة (١٣٤٤هـ) برفقة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري وبعد انتهاء موسم الحج بقي الشيخ في المدينة المنورة مجاوراً للمسجد النبوي لمدة خمسة أشهر في قلق وهم لم يعهد به، وفي أثناء إقامته بالمدينة المنورة رأى في المنام أن الرسول ﷺ يقول له: "نستخدمك" فخالطته هيبة شديدة، وغلب على صدره فزع وهلع، يقول الشيخ نفسه: "إنه بعد ذلك أشتد قلقي واضطرابي، وصرت لا يقر لي قرار وضعفت قوتي وقلة حيلتي".[٢]

يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في وصف تلك الحالة: "سافر عمي الكريم الشيخ محمد إلياس في رفقة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري للحج في عام (١٣٤٤هـ)، وكان يريد أن يقيم بالمدينة المنورة مدة مكث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري بها، وفي ربيع الأول (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) سمع في منامه من الروضة النبوية المباركة نداء يأمره ويقول له "ارجع إلى

---

(١) فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة في فلسطين، مرجع سابق ص٣١

(٢) السهارنفوري، محمد شاهد، الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي حياته وأفكاره، تعريب محمد وثيق الندوي، مكتبة الشيخ التذكارية، ط ١، (٢٠٠٥م)، ص٢٤

الهند لأنا "تستخدمك" ولكنه لم يفهم ماذا يفعل، وبعد تفكير طويل استقر رأيه على إنشاء كتاتيب بكثرة، وتأسيس مدرسة في كل قرية وبدأ هذا العمل الجليل"[١] وبعد عودته من الحج، بدأ يقوم بجولات دعوية، ودعا الآخرين أيضاً إلى القيام بتلك الجولات، ودعوة الجماهير إلى تعاليم الإسلام الأولية وفرائضه؛ كالتوحيد، والصلاة، وكانت مثل هذه الدعوة غير معهودة لدى الناس، وكان لهج عامة الناس بدعوة الدين مما يستغرب، ولكن بعض الناس قاموا بهذا العمل على خجل وحياء، وعُقِدَ اجتماعٌ دعوي في قرية "نوح" بميوات وطلب إلى الناس بهذه المناسبة أن يخرجوا جماعات إلى مختلف الأنحاء ويقوموا بالدعوة، ولكن الحاضرين استمهلوه لمدة شهر حتى يعدوا عدتهم ويأخذوا أهبتهم، وبعد مضي شهر كامل كونوا جماعة، وحددوا القرى التي سيزورونها، وتقرر أن الجماعة تصل بجولة بعد أسبوع يوم الجمعة إلى قرية "سوهني" في مديرية "جورجانوه"، وتتخذ خطة العمل للأسبوع الآتي، وعلى ذلك صلوا جماعة في "سوهني" وأعدوا برنامج عمل للأسبوع القادم، وصلت الجمعة الثانية في قرية "تاورد"، وصلت الجمعة الثالثة في "نكية" في محافظة "فيروزبور"، وقد شهد الشيخ كلاً من هذه الجمع وأسهم في اتخاذ البرنامج الآتي، وعلى هذا الأسلوب ظل العمل الدعوي يتم في منطقة ميوات، وكانت الجماعات الدعوية تعقد من حين لآخر اجتماعات دعوية توجه بهذه المناسبة دعوة الحاضرين فيها إلى مراكز الدين والإرشاد والتعليم في خارج ميوات أيضاً.[٢]

وقد ألقى الشيخ محمد إلياس خطبة أمام أساتذة جامعة مظاهر العلوم، بين لهم أهمية الخروج في سبيل الله، وضرورة التبليغ والدعوة وأهميتها، وحاجة الناس إليها، وكان من تأثير هذه الخطبة القوية المثيرة أن بدأ كبار أساتذة جامعة مظاهر العلوم العمل الدعوي منذ ذلك اليوم على المنهج الذي اختاره الشيخ محمد إلياس، بعد ما تشاوروا فيما بينهم، ورتبوا وخصصوا أوقاتهم لذلك.[٣]

وفي عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، سافر الشيخ إلى الحج للمرة الثالثة وكان برفقته الشيخ احتشام الحسن،[٤] الذي بعث رسالة إلى الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي بالهند يخبره عن أشغال الشيخ محمد إلياس في أنه يقضي أوقاته في رحاب الحرم ويعقد الجلسات الدعوية، ويتحدث عن التبليغ والدعوة في كل مكان يجلس فيه، وبعد عودته من الحج قام بجولتين في ميوات، وكان

---

(١) السهارنفوري، محمد شاهد، الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي، مرجع سابق ص٢٥
(٢) الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٣٠
(٣) السهارنفوري، محمد شاهد، الشيخ محمد إنعام الحسن، مرجع سابق ص٢٥
(٤) الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي وهو زوج أخت محمد إلياس، وكان مرافقاً للشيخ مدة طويلة انظر: فنون، عيسى، جماعة التبليغ في فلسطين، مرجع سابق ص٣٢

يرافقه مائة شخص يلبثون شهراً في كل جولة تقريباً وكان يوزع الناس خلال الرحلة في جماعات ويدفعها في مختلف القرى لتقوم بالجولة الدعوية.[١]

وهكذا بدأ الشيخ محمد إلياس ينشئ أفراد "ميوات" على العمل الدعوي مبتدأ بالجولات إلى تشكيل جماعات وإرسالها إلى مناطق عديدة للقيام بالتبليغ.

المطلب السادس: الأهداف والمقاصد

إن الهدف الأساسي لجماعة التبليغ والدعوة هو إحياء جهد النبي ﷺ لأحياء الدين فينا وفي العالم كله، وبالتمسك بالكتاب الكريم والسنة المطهرة الشريفة، وبغرس الإيمان في القلوب. قال الشيخ محمد إلياس: "أصل المقصود من حركتنا هذه هو أن نعّلم المسلمين جميع ما جاء به النبي ﷺ، ويعني أن يجعل الأمة تخضع على كامل الإسلام علمياً وعملياً، وأن يصرف الناس من الطاغوت، وأن يعودوا إلى الله –تعالى–".[٢]

ويريد الشيخ محمد إلياس من هذه الحركة أن ينشر التعليم الديني في الأرض قال الشيخ محمد إلياس: "إن حركتنا هذه للتبليغ هي حركة نشر التعليم الديني، وتعميم الحياة الدينية".[٣]

يقول الشيخ إنعام الحسن:[٤] "نريد عن طريق هذا العمل للدعوة والتبليغ أن تعود الأمة كلها إلى ما كانت عليه من حالة دينية وإيمانية عندما فارق النبي الكريم ﷺ هذه الدنيا"[٥]

ومن هنا يتضح لنا أن الهدف من جماعة التبليغ والدعوة هو إحياء الدين كله في العالم كله، وأن يقوم الناس على أعمال الدين، ويكون ذلك بالجولات والحركات الدعوية، وقيام الجماعة على أعمال الدين مع إظهار الرحمة والشفقة والعاطفة للآخرين.[٦]

وكان دعاء الشيخ فيما يدعو: "اللهم أحي جميع شعب الحياة الإسلامية بفضل هذه الحركة".[٧] وكانت نظرة الشيخ إنعام الحسن وهو الأمير الثالث لجماعة التبليغ والدعوة واضحة

---

(١) الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٣١

(٢) نعماني، محمد منظور، ملفوظات الشيخ محمد إلياس، باكستان، ترجمة عبدالوحيد ملك عبدالحق ص٣٢

(٣) المرجع السابق نفسه ص١١٢

(٤) هو الشيخ محمد إنعام الحسن بن إكرام الحسن الكاندهلوي ولد سنة (١٣٣٦هـ/١٩١٨م) ببلدة "كاندهلة" وهو ابن أخت الشيخ محمد إلياس، حفظ القرآن وهو في سن العاشرة، وفي سن الثالثة عشرة من عمره سافر مع الشيخ محمد إلياس إلى نظام الدين بدلهي وقرأ عليه من كتاب "ميزان الصرف" وكتاب "هداية النحو" ط١ (١٩٩٨م)، ص٤٠ والتحق بجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، توفي سنة (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)

(٥) السهارنفوري، محمد شاهد، بصيرة الدعوة وفهمها وإدراكها، مكتبة الشيخ التذكارية، ط١، (١٤١٩هـ)، ص٤٠

(٦) البرووي، عبدالله، سلاح المبلغ، مكتبة المدينة، ط١، (١٤١٩هـ)، ص٩٥

(٧) السهارنفوري، محمد شاهد، بصيرة الدعوة وفهمها وإدراكها، مرجع سابق، ص٤١

جلية في إقامة الدين في الناس كافة، وكان يضع نصب عينيه إحياء الدين كله من وراء هذه الدعوة.

ويمكن تلخيص الأهداف والمقاصد فيما يلي:

١- تحقيق العبودية الكاملة لله -تعالى- في كل الأرض وفي كل الخلق وإلى يوم القيامة، حتى لا يبقى واحد في الأرض لا يوحد الله، لذلك يقول الله -تعالى- ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[١] ومظاهر العبودية ثلاثة:

الأولى: تقديم أمر الله على كل أمر

الثانية: تقديم طاعة الله على كل طاعة

الثالثة: تقديم محبة الله على كل محبة

وأركان العبادة ثلاثة: الحب، والخوف والرجاء، وهذا كله يتطلب من الناس جميعاً أن يعبدوا الله حتى يتصف الجميع بصفة العبودية، كما في قوله -تعالى- في سورة الفاتحة: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ بصيغة الجمع، ولهذا مطلوب من المسلم كذلك الحركة إلى كل الناس، فإن لم يستطع فلا بد أن تكون هذه نيته، ويبذل لذلك جهده على قدر طاقته، والنبي ﷺ لم يخرج من الجزيرة العربية ولكن نيته شملت العالمين.

٢- تحقيق الاتباع الكامل للنبي ﷺ حتى لا يبقى واحد تاركاً لسنة النبي ﷺ يقول الله -تعالى-: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ**﴾[٢]

وإتباع النبي ﷺ يجب أن يكون مقروناً بمحبته، فالإتباع دليل المحبة، فمن أدعى محبة النبي ﷺ ولم يتبعه، كان فعله مثل فعل أبي طالب، إذا لم تنقذه محبة النبي ﷺ دون إتباعه من النار، ومن أدعى أتباع النبي ﷺ دون محبة، كان فعله فعل المنافقين الذين كانوا يصلون خلف النبي ﷺ ويخرجون معه ولم يحبوه، وقد أخبرنا الله -تعالى- في كتابه أنهم في الدرك الأسفل من النار يوم القيامة. وعلى هذا لا بد للمسلم أن يتحقق فيه المحبة الكاملة والإتباع الكامل للنبي ﷺ في سيرته وسريرته وصورته، ويتحقق اتباع النبي ﷺ بأربعة أمور: أولها: تعلم السنة، وثانيها: تطبيقها، وثالثها: دعوة الناس إليها، ورابعها: دعاء الله – مع الإلحاح – أن يرزقنا حسن اتباع النبي ﷺ.

٣- التذكير بالموت والآخرة: فنستعد للموت وما بعده، والقبر وما فيه، لذلك يقول الله -تعالى- ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي{١٤} إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ**

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥
(٢) سورة النساء الآية ٦٤

أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى{١٥} فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى{١٦}﴾.(١)

٤- تحميل مسؤولية الدعوة إلى الله لكل الخلق في الأرض وإلى يوم القيامة، إذ قال الله -تعالى- ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾.(٢)

﴿**وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ هو كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا، سواء أكان رجلاً أم امرأة، غنياً أم فقيراً، حاكماً أم محكوماً، قارئاً أم أمياً، مثقفاً أم غير مثقف... والله لم يشترط للدعوة إليه إلا البصيرة حتى لا يقول أحد: لا بد من المال والسلطان حتى أقوم للدين، فقيام الدين لا يحتاج إلى المال والسلطان، إنما المال والسلطان يحتاجان إلى الدين، والمقصود بالبصيرة المطلوبة للدعوة إلى الله العلم واليقين بما يدعو إليه. وبصيرة كل داع إلى الله تتلخص في أربعة أمور:

أ- أن يعلم يقيناً أن له رباً يستحق أن يعبد

ب-أن يعلم يقيناً أن الله قد بعث رسولاً يستحق أن يطاع

ج- أن يعلم يقيناً أن بعد الموت حياة يجب أن يستعد لها

د- أن يعلم يقيناً أن له ديناً يستحق أن يبلغ في كل الأرض إلى كل الخلق، وإلى يوم القيامة.

وأما منهج الجماعة في الدعوة فقد ذكرها الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ستة أسس يقوم عليها الدعوة ضمن فعاليات الاجتماع الاستشاري المنعقد سنة (١٣٤٨هـ) مع مؤسسي جماعة التبليغ والدعوة وهي ستة مبادئ:

١- الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله أي الإيمان الكامل بالله، وبما جاء به رسوله الكريم ﷺ.

٢- إقامة الصلاة.

٣- تعليم الدين والمداومة على الذكر.

٤- إكرام المسلم والتخلق بأخلاق الدين.

٥- الإخلاص (تصحيح النية).

٦- التبليغ.(٣)

---

(١) سورة طه الآية ١٤، ١٥، ١٦

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٨

(٣) بالمبوري، محمد عمر، لسان الدعوة والتبليغ، دار النشر فريد بدر، الهند، ص٥٠-٥١.

وفي نهاية الاجتماع كتب الشيخ محمد إلياس رسالة إلى الشيخ محمد زكريا يشكره على تحديد مناهج وأسس التبليغ والدعوة فقال: "أرى من الواجب عليَّ أن أظهر أن لصحبتك فضلاً كبيراً في تحديد مبادئ وأصول التبليغ والدعوة، وفقني الله لأن أشكرك على ما أسديته إليّ من النصح والتوجيه"[١]

وقد وضح الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي،[٢] وهو الأمير الثاني لجماعة التبليغ والدعوة هذه الأسس الستة للدعوة والتبليغ فقال: "الهدف الذي لأجله خُلِقَ الإنسان هو أن يضع نيل رضا ربه وخالقه نصب عينه، ثم يضحي بكل ما يملكه من النفس والنفيس في إنشاء اليقين الصادق والعمل الصالح والعلم الصحيح، والأحوال الصحية، والأخلاق الحسنة الكريمة، والنية الخالصة الصادقة لنيل الراحة والطمأنينة في الحياة الأخروية الأبدية، فإذا كان لا يتعب الإنسان نفسه ولا يبذل جهوداً مضنية مستميتة في نيلها فهو لا يمتاز عن المخلوقات الأخرى أي امتياز".[٣]

وكان الشيخ إنعام الحسن الأمير الثالث لجماعة التبليغ والدعوة يشرح هذه الأسس الستة ويوضحها بألفاظ وجيزة مختارة موزونة فيقول: "نطوف القرى والأرياف، والمدن، والحارات والشوارع، ونقوم بنشر الدعوة إلى جانب التمسك بكلمة التوحيد، والمواظبة على أداء الصلوات، وأداء حقوق الخلق، والعفو والصفح، ذاكرين الله، متعلمين العلوم الشرعية، مبتغين مرضاة الله تبارك و–تعالى– في كل عمل نقوم به".[٤]

المبحث الثاني: أماكن انتشار الجماعة

المطلب الأول: الانتشار في زمن المؤسس

- **في الهند (في منطقة ميوات وما حولها)**

انطلقت جماعة التبليغ والدعوة في منطقة ميوات، وبعد عودة الشيخ محمد إلياس من الحج للمرة الثالثة قام بجولتين في ميوات مع جماعة تقدر بمائتي شخص، وكان هؤلاء هم اللبنة الأساسية في بناء جماعة التبليغ والدعوة، وهكذا نشأت الجماعة في منطقة ميوات، وبدأ الشيخ محمد إلياس بتشكيل الجماعات إلى عدة مناطق مجاورة؛ فشكل الجماعة الأولى من منطقة ميوات إلى مدينة كاندهلة المجاورة لها، ودعا الناس أن يتأهبوا للرحلة إلى كاندهلة، فاستعدت الجماعة التي تكونت من عشرة أفراد، مؤكداً عليهم الالتزام بالذكر والدعاء والإنابة، وقوبلت في

---

(١) مأخوذة من رسالة مرسلة إلى المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي. انظر: السهارنفوري، محمد شاهد، الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوي، مرجع سابق، ص٢٨

(٢) سأتكلم عن نبذة من حياة الشيخ في المطلب الثاني

(٣) السهارنفوري، محمد شاهد، الشيخ محمد إنعام الحسن، مرجع سابق ص٢٧

(٤) المصدر السابق نفسه ص٢٨

كاندهلة بحفاوة وإكرام بالغين، ثم دعا الشيخ إلى تشكيل جماعة ثانية إلى منطقة أخرى فدعا الناس للرحلة إلى "رائيفور"، وتوجهت الجماعة إلى رائيفور، ووجدت فيها أنصاراً وتجاوباً وانسجاماً، ثم فكر الشيخ بتعزيز الجولات الدعوية في منطقة ميوات فأعد خريطة ميوات وخطط في مناطقها للجولات، وأمر أن تسجل المسافة بين منطقة ومنطقة وقرية وقرية، وإحصاء الأفراد في القرى، وعقد اجتماعاً دعوياً كبيراً في "جتورا" في محافظة "فيروزبور" وتكونت ست عشرة جماعة، ورتب على كل منها أميراً، ونظمت لهذه الجماعات رحلات دعوية في منطقة ميوات في وقت واحد فتوجهت إلى مختلف الأمكنة، وهكذا استمر العمل في ميوات على تحريض الناس للقيام بالرحلة ومغادرة الوطن والجولات من أجل الدعوة إلى الدين وتعليمه وتعلمه، وكان ذلك هو هم الشيخ والأمر الوحيد الذي يشغل باله ليلاً نهاراً، وكان يعرض هذه الدعوة على الناس قائماً وقاعداً، ومسافراً ومُقيماً، وعقدت اجتماعات كثيرة في ميوات، وعرضت فيها الدعوة بأساليب كثيرة، وعناوين شتى، حتى يؤكد الشيخ للناس أن ذلك أساس رقيهم في الدين والدُنيا، حتى قل تنكرهم لهذا العمل، وانبعثت البعثات والجماعات في أنحاء ميوات.(١) وعلى هذا النهج بدأت "جماعة التبليغ والدعوة" خطوتها الأولى للدعوة إلى الله في منطقة ميوات من جنوب الهند داعية الناس إلى شغل أوقات فراغهم بالخروج من بيئاتهم الفاسدة المألوفة إلى مناطق أخرى يعيشون فيها حياة المسلم كما سنها رسول الله ﷺ، ويتعودون فيها على عمارة بيوت الله وأداء فرائضه، ودعوة غيرهم إلى ذلك.(٢)

- **في الجزيرة العربية**

كان الشيخ محمد إلياس يتمنى أن تصل هذه الدعوة وهذا الجهد إلى منبع الإسلام ومهبط الوحي، حتى يقوم العرب بهذا العمل الدعوي، لأنهم أعلم باللغة العربية؛ فهم أقدر على إيصال الدين الإسلامي للعالم أجمع. وفهم هذا المنهج الدعوي فهماً صحيحاً وسليماً، ولهذا توجه الشيخ بكل عزيمة وإرادة إلى المملكة العربية السعودية، وعرض منهاج دعوته على مؤسسها الملك عبدالعزيز(٣) وكان ذلك في بداية شهر صفر من العام الهجري (١٣٥٧)، وطلب الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود أن تعرض عليه الأغراض والأهداف مكتوبة باللغة العربية، وبعد أسبوعين ذهب الشيخ محمد إلياس، والحاج عبدالله الدهلوي، والشيخ عبدالرحمن مظفر

---

(١) انظر: الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٣٣-٣٤

(٢) الحصين، سعد، أوراق سعد الحصين في جماعة التبليغ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ط١ (١٩٨٥م) ص٤

(٣) عبدالعزيز آل مسعود (١٢٩٣-١٣٧٣هـ) (١٨٧٦-١٩٥٣م) هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل ملك المملكة العربية السعودية الأول، ولد في الرياض واستقر في الكويت سنة ١٨٩١، وشن الغارات على آل رشيد وأنصارهم، ثم وصل إلى الرياض وجدد فيها إمارة آل سعود سنة ١٩٠٢م. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥ (٢٠٠٢م) ج ٤ ص١٩

والشيخ احتشام الحسن ليجتمعوا بالملك، فقابلهم بإكرام وتواضع، ودار الحديث بينهم عن التوحيد والتمسك بالكتاب والسنة، واتباع الشريعة، وأوجز الشيخ احتشام الحسن أهداف الدعوة أثناء عرضه على رئيس القضاة محمد بن إبراهيم آل الشيخ(١) الذي أيد الفكرة، وأكد لهم تقديم العون والدعم، وفي أيام إقامة الشيخ إلياس في مكة، كانت الجماعة تقوم بجولة دعوية صباحاً ومساء، وكان هذا العمل الانفرادي غير المعلن عنه حتى تأتي الموافقة الرسمية من أمير مكة يومئذٍ وهو الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود،(٢) وقد عرض الشيخ محمد إلياس دعوته ومنهجه على الحجاج، فقبلوا منهجه ووعدوه بإسهامهم في العمل في أوطانهم، وفي الخامس والعشرين من صفر سنة (١٣٥٧هـ) غادر مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وبدأ يقوم فيها بمحاولات دعوية، وجرى الحديث والنقاش في الموضوع مع أناس كثيرين من مختلف الطبقات، وقد أم الشيخ من أجل هذا الغرض "قباء" مرتين، وتحدث فيها، واستعد عدة أفراد للعمل، وكانت مدة إقامته في المدينة المنورة خمسة عشر يوماً، ثم رجع إلى الهند ليرسخ العمل الدعوي من حيث ابتداؤه.(٣)

– **في مناطق الهند والباكستان**

وبعد عودته من الحج صَعَّدَ الشيخ نشاطاته الدعوية، وأكثر من الرحلات والجولات، وتسيير الجماعات التبليغية إلى القرى والمدن، وبعث جماعات دعوية إلى منطقة دلهي، فواجهوا صعوبات وعوائق في بداية الأمر، إلا أن العمل انتشر في دلهي، وتكونت الجماعات الدعوية في كل حي من أحيائها. وأوفد الشيخ الجماعات الدعوية من ميوات إلى "ديوبند" و"سهارنفور"، وكان يريد أن يضع المراكز العلمية والدينية في مديرية "سهارنفور" في الاعتبار، ويود أن تكون إسهامات رجال العلم والدين وعامة المسلمين في تلك المنطقة في هذا العمل أوفر، وفي سنة (١٣٥٨هـ) نشرت مقالات في بعض المجلات والجرائد عن هذه الدعوة والحركة، وتسامع بها الناس كثيراً في مناطق نائية عن ميوات ودلهي، فتوافد كثير منهم ومن غيرهم ممن كانوا يحرصون على هذا النوع من العمل الدعوي، أو على خدمة دينية على أي طريق، واجتمعوا بالشيخ محمد إلياس، وزاروا منطقة ميوات، وكان من هؤلاء الناس بعض أساتذة جامعة دار

---

(١) رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية زمن الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣١١–١٣٨٩هـ/١٨٩٣–١٩٦٩م) هو محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف من آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقيه حنبلي كان المفتي الأول للملكة العربية السعودية، مولده ووفاته في الرياض تعلم فيها القرآن الكريم وكثيراً من الكتب والمتون، وعين مفتياً للملكة، ثم رئيساً للقضاة، فرئيساً للجامعة الإسلامية، وله مؤلفات منها: الجواب المستقيم. انظر: الزر كلي، خير الدين، الأعلام، مرجع سابق ج ٦ ص٢١٨

(٢) الملك فيصل بن عبدالعزيز (١٣٢٤–١٣٩٥هـ) (١٩٠٦–١٩٧٥م) الابن الثالث لوالده، ولد في الرياض شارك في المعارك والأحداث التي واكبت نشوء المملكة، فاوض بريطانيا للاعتراف بالمملكة، وكان رئيساً لمؤتمر القمة العربية سنة ١٩٤٦م بالوكالة وكان مستقيماً وقتله الأمريكان. انظر: الزر كلي، خير الدين، الأعلام، مرجع سابق ص٢٥٠

(٣) الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٣٧

العلوم ندوة العلماء بلكهنؤ، وأبدى الشيخ سروره البالغ لتوافد هؤلاء الضيوف الجدد، وتلقاهم بحفاوة بالغة، وعلى ذلك فقد بدأت الطبقة المثقفة والمشتغلون بالعلم والتعليم والتدريس يقبلون على هذه الحركة، واحتفى بهم الشيخ احتفاءً كبيراً فقويت رغبتهم في العمل وكثر إقبالهم. وفي عام (١٣٦٠هـ) عقد الشيخ اجتماعاً في بلدة "نوح" في مدينة "جرجانوه"، وبلغ عدد الحاضرين نحو خمسة وعشرين ألفاً، وتكونت في هذا الاجتماع جماعات مختلفة من العلماء والطلبة والتجار وعامة الناس، وقامت بالتجوال في مناطق مختلفة في البلاد، وخاصة "سهارنفور" و"خورجة" و"ميرتة" و"دباني بت" و"كرنل" و"كراتشي" و"بشاور"، وبدأ الناس يتوافدون من هذه المناطق إلى المقر الدعوي في نظام الدين بدلهي.(١) وفي عام (١٣٦٢هـ) زار الشيخ محمد إلياس مدينة "لكهنؤ"، وكان معه ثلة من العلماء كالشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والشيخ محمد منظور النعماني(٢) وخص بزيارته طلاب دار العلوم وأساتذتها ورغبهم بالعمل الدعوي، فوافقوه واستعدوا لمشاركتهم في هذا العمل.(٣)

المطلب الثاني: الانتشار بعد وفاة المؤسس

تولى الشيخ محمد يوسف بن محمد إلياس أمور الجماعة، والإشراف عليها بعد وفاة والده، واختير أميراً ثانياً لجماعة التبليغ والدعوة.

- **نبذة عن حياة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(٤)**

ولادته

ولد الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل في بلدة "كاندهلة" يوم الأربعاء (٢٥ من جمادى الأولى عام ١٣٣٥هـ) الموافق (٢٠ من شهر مارس/آذار سنة ١٩١٧م)، وكان والده مدرساً في جامعة مظاهر العلوم بسهارنبور.

---

(١) الندوي، علي الحسني، الداعية الكبير، مرجع سابق ص٥١

(٢) ولد سنة ١٣٢٣هـ في قرية جامعة في مديرية مراد آباد في ولاية أترابراديش بالهند، نشأ على حب الإطلاع والعكوف على العلم، تلقى العلوم الابتدائية في مدرسة عبدالرب بدلهي، ثم ارتحل إلى ديوبند والتحق بجامعتها، له مؤلفات عدة أهمها: "من أقوال الشيخ محمد إلياس"، "لماذا نكفر القاديانيين؟"، وهو من كبار أنصار جماعة الدعوة والتبليغ، توفي سنة (١٣٩٨هـ). انظر: النعماني، محمد منظور، دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد عبدالوهاب، تعريب الأستاذ نور الأمني، مكتبة الفرقان في الهند (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٧

(٣) فنون، عيسى، جماعة الدعوة والتبليغ في فلسطين، مرجع سابق ص٤٠

(٤) انظر: الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، مكتبة خانة فيضي، لاهور/باكستان، ط١، (١٤١١هـ/١٩٩٠م) ص١٢-١٤

نشأته ودراسته

أدرك الشيخ محمد يوسف كبار الشيوخ والعلماء، وقد عاش منذ نعومة أظافره في أسرة نجيبة مشهورة بالعلم والورع والصلاح، فترعرع الشيخ محمد يوسف في هذا المحيط العلمي الديني، وفي أحضان الأمهات الصالحات، ونال تربية الشيوخ الكبار، وعناية العلماء الأجلاء والصلحاء، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، ثم تلقى العلوم الابتدائية، وأتم دراسة الحديث الشريف في مدرسة "مظاهر العلوم" بسهارنفور على يد كبار العلماء منهم ابن عمه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وتخرج من مدرسة الحديث سنة (١٣٥٦هـ).

اشتغاله بالعلم

كان الشيخ محمد يوسف رحمه الله -تعالى- مولعاً بالعلم من أول عمره؛ فكان يقضي أكثر أوقاته في دراسة الكتب ومطالعتها، وتاقت نفسه إلى التأليف منذ أيام دراسته للحديث الشريف فبدأ بتأليف شرح مستفيض على "شرح معاني الآثار للطحاوي" وسماه "أماني الأحبار" واستمر في هذا العمل إلى آخر أيام عمره.

- **انتشار الدعوة في عهد الشيخ محمد يوسف**

قبل وفاة الشيخ محمد إلياس بعدة أيام أوكل لابنه حمل أمانة الدعوة، وأوصاه برعايتها وحفظها، وكان ذلك في رجب سنة (١٣٦٣هـ)، وأصبح الشيخ محمد يوسف الأمير الثاني لجماعة التبليغ والدعوة، وتحولت حياته إلى شغل شاغل بالدعوة، واهتمام بالغ بأمرها، حتى أخذت عليه كل حياته، وأصبحت الدعوة مقصده، وتجشم في سبيل ذلك كل مشقة وشدة، وواجه كل عنت وإرهاق بوجه باسم وقلب خاشع.(١) يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "وقد توفي الشيخ محمد إلياس - رحمه الله - في رجب عام ١٣٦٣هـ وأنجب نجله الشيخ محمد يوسف وقام بأعباء الدعوة خير قيام، وفي عهده توسعت الحركة توسعاً كبيراً، وانتشرت بعثتها في العالم الإسلامي وفي الغرب، ودعا إلى الإيمان وإيثار الروح على المادة، والآخرة على الدنيا، والاعتماد على الله وبذل الوسع والطاقة في سبيل الله".(٢)

فبدأ الشيخ محمد يوسف يقوم بجولات ورحلات دعوية في داخل منطقة ميوات في أول الأمر حيث صاحبه في تلك الرحلات والجولات مئات الميواتيين، وصاروا يتجولون في كثير

---

(١) انظر: السهارنفوري، محمد شاهد، الشيخ محمد إنعام الحسن، مرجع سابق ص٤٨-٤٩

(٢) الندوي، أبو الحسن علي، الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، مكتبة زكريا،لاهور - باكستان ط ١ (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ص٤٠

من القرى المحيطة من منطقة ميوات، فترسخ العمل في تلك المناطق، وامتدت جماعة التبليغ والدعوة في عهده، في شرق الهند وغربها.[١] وكان آماله أن يمتد عمل التبليغ والدعوة ليصل إلى العالم كله، فخرج إلى منطقة شبه قارة جنوب شرق آسيا لمدة أربعين يوماً لتفقد أعمال الدعوة وتنظيمها في تلك المناطق، وساعده في ذلك كبار علماء شبه القارة، وهكذا بدأت أعمال التبليغ في هذه المنطقة الساحلية على شواطئ بحر العرب وحدود إيران، والخليج، وسرعان ما ظهرت نتائجها، وأنشئت عدة مراكز للدعوة والتبليغ في تلك المناطق، وامتدت أعمال تلك الدعوة إلى مدينة (بيشاور)[٢] التي تعد إحدى كبريات مدن الحدود الشمالية الغربية لشبه قارة جنوب شرق آسيا، وهي قريبة من أفغانستان، كما شاع صيت هذه الجماعة في الولايات المسلمة من مناطق باكستان الحالية، وتوجه إليها من كان له ميل إلى إصلاح النفس، وإصلاح الآخرين. وهكذا بدأت تقام المراكز في باكستان الشرقية والغربية، وبلغت أوجها في بضع سنوات بعد استقلال باكستان. وبعد دراسة الأوضاع في الباكستان الغربية قام رجال التبليغ والدعوة بفتح مراكز محلية رئيسية في كبرى مدن البلاد، وهي (كراتشي)، و(روالبندي)، و(لاهور)، و(حيدر آباد)، و(رائيوند)[٣] كما اتخذت مدينة لاهور مركزاً فرعياً لولاية البنجاب والحدود الشمالية وولاية كشمير الحرة، واختيرت مدينة (كراتشي) مركزاً فرعياً لولاية السند وبلوشستان. وهكذا اختير ثلاثة مراكز في الباكستان الشرقية- بنغلاديش الحالية- في المدن الآتية: (جاتا جام) و(كهلنا)، بالإضافة إلى المركز الرئيسي ككرايل في (دكا) عاصمة بنغلاديش الحالية، وبدأت تجتمع قيادات تلك المراكز مع بعضها البعض للمشورة مع المركز الأصلي (رائيوند) و(دكا)، ثم مركز (نظام الدين)، وبدأت فيما بينها تتبادل الرحلات اليومية، والأسبوعية، وتكاثرت الرحلات إلى بلاد العرب، وأوروبا، وجنوب شرق آسيا، وأفريقيا، ولم يكن هناك يوم لم تخرج فيه رحلات من هذه المراكز إلى داخل البلاد وخارجها.

وبدأت تلك المراكز الرئيسية، في "نظام الدين" في (دلهي) و"رائيوند" بقرب مدينة (لاهور) و"دكا" يزداد نشاطها يوماً بعد يوم، وتتسابق في خدماتها ودعوتها، حتى يرى كل فرد عدداً متزايداً عما رآه بالأمس.

وبعد مرور فترة قليلة، احتل مركز "رائيوند" مكانة مرموقة، كما كان يحسبها الشيخ محمد إلياس بأن مستقبل النشاط الديني مضمون في تلك المناطق بكونها من أكثرية مسلمة، وأنها

---

(١) ثاني، محمد، حياة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، دار البشائر الإسلامية، باكستان، ط١، ص٢٨٠

(٢) مدينة صغيرة تقع على بعد ٢٨ ميلاً من لاهور، عاصمة إقليم بنجاب الباكستانية، وفيها يقام الاجتماع السنوي العالمي

(٣) بيرزاد، عبدالخالق، انجازات جماعة الدعوة والتبليغ، مكتبة النفيس، لاهور باكستان، (١٤١٤هـ) ص٤٠

هي التي تحمل مسؤولية الدعوة على المستوى العالمي، وقد بلغ عدد الزائرين والمشاركين في تلك الأعمال خمس عشرة ألف زائر كل يوم، حيث يتم تشكيل معظمهم في اليوم التالي للخروج إلى الأماكن المطلوبة، كما بلغ عدد المشاركين في الاجتماعات الأسبوعية خمسين ألفاً، بينما بلغ عدد المشاركين من جميع أنحاء العالم في الاجتماع السنوي أكثر من ثلاثة ملايين فرد يأتون من كل فج عميق.(١)

أما عدد المجموعات التي تخرج في سبيل الله إلى أنحاء العالم فيصل عددها إلى آلاف المجموعات. "وعلى سبيل المثال وليس الحصر، بلغ عدد الجماعات الخارجة في سبيل الله من مركز الدعوة في رائيوند في لاهور، أكثر من خمسة آلاف جماعة، داخل البلاد وخارجها".(٢)

– **بدء أعمال التبليغ والدعوة في الحجاز والبلدان العربية في عهد الشيخ محمد يوسف**

كان الشيخ محمد يوسف جد حريص على أن يرى عمل التبليغ والدعوة ينتشر في مهد الإسلام مكة والمدينة، وينال من أهلها إقبالاً وعناية، وكان يعتقد أن هذه الدعوة إذا تأصلت جذورها في هذه الأرض المقدسة يمكن أن تنتشر في العالم كله عن طريق المسلمين الذين يجتمعون فيها لتأدية فريضة الحج كل عام من جميع أنحاء العالم، ولذلك بدأ الشيخ محمد يوسف عمله أولاً في ميناء "كراتشي" و"بمباي" حيث قامت جماعات التبليغ تغرس فكرتها في الحجيج الذين يزورون مكة والمدينة، فإذا تشربوا فكرة التبليغ والدعوة فإنهم يتمكنون من التأثير في إخوانهم العرب، ويصبحون خير أداة لنشر الدعوة بينهم، ولم يكتف بذلك بل تجول على البواخر في جماعات الحجاج، وأخذهم بالتعليم والتوجيه، ووصل إلى الحجاز فزار مقرهم، وبعث العلماء فيهم يتناولونهم بالتربية، وأسست جماعات التبليغ، وأقيمت حلقات التعليم في الحرمين الشريفين.(٣)

ووضع الشيخ محمد يوسف خطة لهذه الغاية. ومن أهم بنودها الأساسية:

١- إرسال جماعات دعوية إلى سائر مواضع الالتقاء، وإلى الأماكن التي يجتمع فيها الحجاج كمحطات الوقود ودور الضيافة.

---

(١) انظر: ميتا، خالد، الدعوة والتبليغ، مرجع سابق ص٥٧١

(٢) وهذه الإحصائية مأخوذة من الدكتور خالد ميتا صاحب كتاب (الدعوة والتبليغ) حيث حضر ذلك الاجتماع، وكان ذلك سنة ١٩٩٨م. انظر: ميتا، خالد، الدعوة والتبليغ، مرجع سابق، ص٥٧١

(٣) انظر: جدوع، عوني، جماعة التبليغ (النشأة والجذور) مركز دراسات أبحاث العمل الإسلامي ط١ (١٩٩٢م) ص٤٣-٤٤

٢- تنشيط الجماعات الدعوية في المناطق الساحلية والموانئ التي يسافر منها الحجاج خلال أيام الحج.

٣- التجول في السفن بين وفود الحجاج، وأخذهم بالتعليم والتوجيه والتربية على أداء فريضة الحج على أصح طريق.

فكانت الجماعة الأولى التي خرجت لتعميم التبليغ والدعوة في الحجاز مكونة من أهالي "دلهي" و"مراد آباد" العاملين في مجال الدعوة، وخرجت الجماعة الثانية سنة (١٩٤٦م)، وسافرت الجماعة الثالثة في عام (١٩٤٧م)، وهذه الجماعات الثلاث لم تأل جهداً في نشر التبليغ والدعوة في الأرض المقدسة، وأرست فيها أسس هذا العمل الدعوي العظيم على المبادئ والقواعد المقررة للدعوة والتبليغ.[١]

ثم بدأ الشيخ محمد يوسف بإرسال جماعات راجلة متنقلة للأرض المقدسة، فكانت هذه الجماعات الراجلة تصل الحرمين الشريفين بعد فترة طويلة، تستغرق سنة كاملة، تقضيها في التجوال والدعوة إلى الله، و اللقاء مع الناس في المدن والقرى والبلدان المختلفة، متحملة مشاق السفر وصعوباته، حاملة أمتعتها وحوائجها على كواهلها، متجرعة المرائر والشدائد، وقامت نحو سبعين جماعة بالرحلات الدعوية مشياً على الأقدام في حياة الشيخ.[٢]

وبعد الحجاز أخذت الجماعات تخرج إلى أنحاء أخرى من البلاد العربية؛ فقد قامت أول رحلة لجماعة التبليغ والدعوة إلى مصر، ثم تلتها رحلة أخرى، ثم أرسلت الرحلة الثالثة التي رأسها الشيخ أبو الحسن علي الندوي إلى مصر في عام (١٩٥٠م)، واستمرت في أعمالها زهاء خمسة أشهر ونصف الشهر، ورافقهم فيها الشيخ يوسف القرضاوي الذي كان إمام مسجد في ذلك الحين، وبدأت الجماعة تعقد الاجتماعات في محافظات مختلفة من أنحاء مصر، وفي العام نفسه زارت الجماعة "السودان" واختيرت "الخرطوم" مركزاً للجماعة في البلاد في مدة قصيرة، ومن ثم بدأت الحركة الإيمانية تدخل مرحلة جديدة وتنتشر في البلاد العربية حاملة منهجها الإصلاحي، ومن أهم البلاد التي بدأت فيها الأعمال طبقاً لمنهج أعمال التبليغ والدعوة: السودان، والعراق، وسوريا، والأردن، وفلسطين، ولبنان، واليمن، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب.[٣]

وهكذا نالت تلك الجهود نجاحها وأهدافها إلى درجة ملحوظة، حيث بدأ أهل الحجاز يخرجون في سبيل الله في داخل البلاد وخارجها إلى بلاد العالم حتى بلغ أوج نشاطها في المملكة العربية السعودية في عام (١٩٦٤م). حيث خرجت ست وعشرون جماعة في سبيل الله

---

(١) السهارنفوري، محمد شاهد، الشيخ محمد إنعام الحسن مرجع سابق ص٥٩ - ٦٠
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٦٥
(٣) ثاني، محمد: حياة مولانا محمد يوسف كاندهلوي، مرجع سابق، ص٢٨٩-٣٠٢

منها: إلى فرنسا، وإلى البلاد العربية، وإلى بلاد إفريقيا، وكان مركز هذا الانطلاق، مسجد النور بالمدينة المنورة.[١]

- **انتشار الدعوة في بلاد آسيا و أفريقيا وأوروبا و أمريكا**

استمر الشيخ محمد يوسف بإرسال الجماعات إلى مختلف أنحاء آسيا وأفريقيا وأوروبا، فأسس عمل التبليغ والدعوة في جميع أرجاء العالم وكون الجماعات الدعوية فيها.

وبعد وفاة الشيخ محمد يوسف سنة (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) انتقلت الإمارة إلى الشيخ محمد إنعام الحسن، حيث ازداد نشاط وجماعة التبليغ والدعوة في العالم، وعقد الشيخ عدة اجتماعات في مناطق مختلفة من العالم، وبدأ برحلات لكثير من الدول العربية، والدول الآسيوية، والبلدان الإفريقية والدول الأوروبية، والدول الشرقية والغربية، وأرسل جماعات كثيرة إلى مناطق العالم المختلفة.[٢]

المبحث الثالث: مدارسها الدعوية وأثرها في العالم

من المعروف لدى الباحث أن جماعة التبليغ والدعوة تنتسب بمنهجها العلمي إلى جامعة دار العلوم ديوبند، لأن الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي درس على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الذي كان من أعلام مؤسسي جامعة دار العلوم ديوبند، ومما لا شك فيه أن الشيخ محمد إلياس قد تأثر بالمنهج العلمي للجامعة، وتبنى أفكارها.

وقد وفقني الله –تعالى– للسفر إلى الهند لزيارة جامعة دار العلوم ديوبند، والتقيت بمشايخها ومدرسيها، فالتقيت بالشيخ سعيد أحمد بالمبوري،[٣] والشيخ أرشد مدني[٤] وقد أجريت مقابلة معهما، وسألتهما:[٥] هل هناك فرق بينكم – وأقصد جامعة العلوم ديوبند – وبين جماعة التبليغ والدعوة من حيث المنهج العلمي؟

---

(١) ثاني، محمد: حياة مولانا محمد يوسف كاندهلوي، مرجع سابق، ص٢٨٩–٣٠٢

(٢) السهارنفوري – محمد شاهد – الشيخ إنعام الحسن مرجع سابق ص٣٧٦

(٣) هو شيخ الحديث في جامعة دار العلوم ديوبند، درس فيها، وتخرج منها على يد مشايخها حتى صار مدرساً للحديث فيها، وله دروس شرح البخاري وجامع الترمذي، حيث يحصر عنده المئات من الطلبة، وقد وفقني الله تعالى وحضرت عنده فأجريت معه مقابلة عند زيارتي للجامعة. ويلقب بمفتي دار العلوم ديوبند، ويبلغ من العمر ستين عاماً. معلومات من الباحث

(٤) هو الشيخ أرشد مدني بن الشيخ حسين أحمد مدني بن الشيخ محمود الحسن، أجريت معه مقابلة بتاريخ (٢٠٠٩/٦/٢٢) يوم الاثنين بعد صلاة الظهر في مسجد رشيد في دار العلوم ديوبند وسألته عدة أسئلة، كان أبوه عالماً بالحديث وهاجر إلى المدينة المنورة وسكن فيها ثلاثة عشر عاماً لدراسة الحديث ولقب بشيخ إمام الدين.

(٥) هذه المقابلة أجريتها في جامعة دار العلوم ديوبند في الهند مع الشيخين سعيد أحمد بالمبوري، والشيخ أرشد مدني، وهي مسجلة صوتياً

فقالا لي: لا، فنحن وهم سائرون على منهج واحد، بل إن كثيراً من التلاميذ عندما يتخرجون من الجامعة يخرجون في سبيل الله مع جماعة التبليغ والدعوة لمدد مختلفة، وإن الطلبة لا يحصلون على الإجازة والتزكية إلا بعد خروجهم مع الجماعة، ويوجد أيضاً جامعة أخرى قد أنشئت بعد جامعة دار العلوم ديوبند بأشهر قليلة وهي جامعة مظاهر علوم بسهارنفور، وهي تمثل جماعة التبليغ والدعوة بالمنهج العلمي، فقد عين الشيخ محمد إلياس مدرساً فيها، وقد درس الشيخ محمد يوسف الأمير الثاني لجماعة التبليغ والدعوة فيها أيضاً. ومن هنا نؤكد أن الشيخين المؤسسين لجماعة التبليغ والدعوة قد تأثرا بهاتين الجامعتين، مما أثر ذلك على الجماعة من حيث المنهج العلمي والدعوي، وحيث إنه لو عرضت المسائل الفقهية أو العقدية أو غير ذلك من مسائل الشرع على الجماعة الخارجة في سبيل الله فإنهم يحيلونها إلى علماء ديوبند، فيجدون الإجابات الشافية والوافية منهم.

ومن الجدير بالذكر أن هناك مدارس وجامعات دعوية تابعة لجماعة التبليغ والدعوة، وهي بمثابة فروع لهاتين الجامعتين، وهي منتشرة في العالم، وبالأخص المملكة الأردنية الهاشمية، مثل مدرسة الشيخ فواز في منطقة سحاب، ومدارس الشيخ أبو الواكد في منطقة الرصيفة، وسأكتفي بذكر هاتين الجامعتين في هذا المبحث، وسأتحدث عن المنهج العملي بالتفصيل لهما في المبحث الأول من الفصل الثالث إن شاء الله.

المطلب الأول: جامعة دار العلوم ديوبند

تعد هذه الجامعة من أكبر الجامعات الإسلامية الأهلية وأقدمها، وتُعدُّ من أعظم المعاهد الإسلامية للعلوم الدينية والتربية الإسلامية في شبه القارة الهندية، وهي تركز جل اهتمامها على تثقيف الشباب المسلم ثقافة إسلامية، وتبنى أخلاقه وسيرته على أسس من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ. وهي معروفة بشدة التمسك بالشريعة الإسلامية مظهراً ومخبراً، واتباع السنة النبوية الشريفة، والتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة، والمحافظة على الشعائر الإسلامية، والذود عن حمى الدين بكل الوسائل والإمكانات.

إن هذه الجامعة قامت بدور ريادي بارز في تنشئة المسلمين تنشئة إسلامية، وتربيتهم تربية روحية أكسبتهم قوة الدفاع عن كيان الإسلام، والحفاظ على شوكته وشعائره بتوفيق من الله ﷻ.

وقد خرّجت هذه الجامعة عدداً هائلاً من علماء الإسلام وأئمة الدين ورجال الفكر، وقام هؤلاء العلماء بدور مهم في استعادة المجد الذي كانت فقدته الشعوب الهندية المسلمة، فأصلحوا ما فسد وتغير من أحوال المسلمين وأعمالهم، وخدموا الإسلام والمسلمين خدمات مميزة في جميع نواحي الحياة العلمية والروحية والفكرية والعقلية والاجتماعية والسياسية.

يقول أبو الحسن الندوي: "إن أكبر معهد ديني في الهند يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبير".[١]

تأسيس الجامعة

عندما وقعت الهند تحت تأثير الاستعمار الإنجليزي، وبدأ الأعداء يبثون أفكارهم المسمومة في الأسر الهندية عن طريق التبشير، وتحمس الحكام والولاة الإنجليز لنشر المسيحية بين طبقات الشعب الهندي، وأخذت الحضارة الغربية تنتشر وتؤثر في عقيدة المسلمين وأخلاقهم، قامت ثورة إسلامية عام (١٨٥٧م) ضد الاستعمار الإنجليزي، ولكنها فشلت بسبب قوة الجنود الإنجليز وكثرة عددهم وعدتهم، وبعد فشل الثورة وضع الإنجليز السيف في مسلمي الهند، وكثر القتلى والجرحى، وامتلأت الشوارع والطرقات بجثث الشهداء، وتعرض العلماء للقتل والتعذيب،[٢] كل ذلك جعل العلماء يفكرون بالدفاع عن الإسلام، فأخذوا يتشاورون فيما يلزم القيام به من تغيير الأوضاع الراهنة، فاتفقوا على إنشاء مدرسة دينية تهتم بتدريس العلوم النبوية، وتقوم بتنشئة الشبيبة الإسلامية تنشئة إسلامية، وتبث فيهم الوعي الإسلامي والسياسي الصحيح.[٣]

وكان على رأس هؤلاء العلماء والمشايخ، الإمام محمد قاسم الناناتوتي[٤] والشيخ المحدث الفقيه رشيد الكنكوهي والشيخ محمد يعقوب.[٥]

---

(١) الندوي، علي الحسني، المسلمون في الهند، مرجع سابق ص٦٤

(٢) انظر: الطيب، محمد، علماء ديوبند، تعريب نور عالم خليل الأمني، دار العلوم، ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص٧٦

(٣) البرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، مرجع سابق ص٢٦

(٤) الشيخ محمد قاسم ولد بناناتوتة سنة ١٢٤٨هـ، ورحل إلى سهارنبور في صغر سنه وقرأ المختصرات على الشيخ محمد نواز سهارنفوري. ثم سافر إلى دهلي، وقرأ على الشيخ مملوك على النانوتوي سائر الكتب الدراسية، وأخذ الحديث عن الشيخ عبدالغني بن أبي سعيد الدهلوي، وأخذ الطريقة – تعاليم الطريقة الصوفية – عن الشيخ الحاج إمداد الله العمري التهانوي المهاجر المكي، وكان الشيخ محمد قاسم ضمن من قام ضد الاحتلال البريطاني في الثورة المشهورة سنة (١٢٧٣هـ). وفي (١٥ محرم ١٢٧٣هـ) أسس مدارس دار العلوم ديوبند وتحمل مسؤولية إدارتها وشاركه في تربية طلابها رفيقه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. وقد لخص الشيخ محمد قاسم أهدافها بقوله: "إن غرضنا من التعليم هو إيجاد جيل يكون بلونه وعنصره هندياً، يتنور قلبه وعقله بنور الإسلام، وتموج نفسه بالعواطف الإسلامية، ثقافة وحضارة وسياسة"، انظر الموسوعة الميسرة د. مانع الجهني ص٣٠٥

(٥) هو العالم الكبير المحدث محمد يعقوب بن الشيخ مملوك علي النانوتوي (المتوفى سنة ١٢٦٧هـ) أحد الأساتذة المشهورين في الهند. ولد سنة ١٢٤٩هـ الموافق عام ١٨٣٣م ببلدة "نانوتة" بمديرية "سهارنفور" بولاية "بومباي" بالهند، وتوفي بها سنة ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٤م. قرأ الكتب الدراسية على أبيه الشيخ مملوك علي بمدينة دلهي، حيث كان رئيس هيئة التدريس في "كلية دلهي" العربية، ثم درس وأفاد ب "أجمير"، وبعد مدة ولي التدريس بالجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند، فدرس بها مدة، وأخذ عنه خلق لا يحصون، وشغل بها كذلك منصب رئيس هيئة التدريس. وكان من كبار الأساتذة، ظهر تقدمه في فنون عدة، منها الفقه، والأصول، والحديث النبوي، والأدب العربي، وكان يميل إلى الشعر أحياناً. انظر: محمد، طيب، علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي، تأليف وتعريب نور عالم خليل الأمني، مرجع سابق، ص٨٣

من أهم رجالها المحَدِّثين الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي، يقول الدكتور مانع الجهني: "أسس جامعة ديوبند مجموعة من علماء الهند بعد أن قضى الإنجليز على الثورة الإسلامية في الهند عام (١٨٥٧م)، فكان تأسيسها رد فعل قوياً لوقف الزحف الغربي ومدنيته المادية على شبه القارة الهندية لإنقاذ المسلمين من مخاطر هذه الظروف، خاصة أن دلهي سيطر عليها الإنجليز سيطرة كاملة، وخاف العلماء أن يبتلع دينهم".(١)

ومن أهم رجالها أيضا الشيخ أحمد الكنكوهي، والشيخ حسين أحمد المدني(٢) والشيخ محمد أنور شاه الكشميري،(٣) والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، والشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي(٤) والشيخ سعيد أحمد بالمبوري.

ويمكننا أن نلخص رسالة دار العلوم وأهدافها في جملتين بأن نقول: "كان هدفها ورسالتها هو استعادة مجد المسلمين، واسترجاع الحكم المفقود، والمحافظة على التعاليم الإسلامية، والعلوم النبوية بكل شعبها ونواحيها".

بيان مذهب علماء ديوبند الفقهي

إن علماء ديوبند يقلدون المذهب الحنفي، ولكنهم يحترمون جميع المذاهب الأخرى، فهم يسعون إلى تقديم مذهبهم على غيره من المذاهب، ولا يهدفون إلى إبطال المذاهب الأخرى، لأنهم يرون أنها جميعاً مذاهب ترجيحية، أي يجوز تفضيل بعضها على بعض عند الدراسة

---

(١) الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص٣٠٤

(٢) الشيخ حسين أحمد المدني الملقب بشيخ الإسلام: ولد في التاسع عشر من شوال سنة (١٢٩٦ه)، وتلقى مبادئ العلوم في تانده من مديرية فيض آباد الهند. وفي سنة (١٣٠٩ه) سافر إلى دار العلوم ديوبند، وفيها تعلم الحديث عن الشيخ محمود حسن الديوبندي ولازمه مدة طويلة، وكذلك تلقى من الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وسافر إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة بصحبة والده، ثم عاد إلى الهند وقام بتدريس الحديث وإلقاء المحاضرات والخطب الحماسية ضد الاحتلال الإنجليزي، فتم القبض عليه مرة أخرى في جمادى الآخرة (١٣٦١ه)، وسجن لمدة سنتين وعدة أشهر في سجن مراد آباد وسجن إله آباد إلى أن أطلق سراحه في السادس من رمضان (١٣٦٣ه). واستمر في جهاده بالتعليم ومناهضة الاحتلال إلى أن وافاه الأجل في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة (١٣٧٧ه). ومن مؤلفاته: كتاب الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب. انظر الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية ط ٥ ص٣٠٥-٣٠٦

(٣) الشيخ محمد أنور شاه الكشميري: أحد كبار فقهاء الحنفية وأساطين مذهبهم – في شبه القارة الهندية – تخرج في جامعة ديوبند، وولي التدريس في المدرسة الأمنية بدلهي، ثم شغل مشيخة الحديث في جامعة ديوبند. في عام (١٣٤٦ه) تولى رئاسة التدريس ومشيخة الحديث في جامعة داهيل كجرات. ويعد الكشميري من أبرز علماء عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع. بالإضافة إلى أنه كان أحد الذين لعبوا دوراً مهماً في القضاء على فتنة القاديانية في شبه القارة الهندية. توفي عام (١٣٥٢ه) وقد ترك مؤلفات عديدة. انظر الجهني – مانع بن حماد الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – مرجع سابق، ص٣٠٦.

(٤) الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي: المحدث الهندي ولد سنة (١٣١٩ه) وقد حقق بعض كتب السنة وعلق عليها، منها مصنف عبدالرزاق،. ومن آخر تحقيقاته العلمية مصنف ابن أبي شيبة في ستة مجلدات. انظر: الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق ص١٥٢

والتفكير، ولا يجوز التشنيع على المذاهب الأخرى، يقول أبو الحسن الندوي: "وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين، والتصلب في المذهب الحنفي، والمحافظة على القديم، والدفاع عن السنة".(١)

وفي الحقيقة فإن ما قاله الندوي في التصلب في المذهب الحنفي يحمل على معنيين:

المعنى الأول هو التشدد بالمذهب الحنفي دون غيره من المذاهب، بحيث إن علماء ديوبند يركزون على مذهبهم وحده ويدعون الناس إليه، ويمنعون عنهم المذاهب الأخرى، وأما المعنى الثاني، فهو أنهم يضعون نصب أعينهم العمل بالمذهب الحنفي دون أن يبطلوا المذاهب الأخرى.

ولا أظن أن الندوي يقصد المعنى الأول، لأن ذلك يطعن في النصوص التي تؤكد لنا أن منهج الجامعة إنما يوافق المعنى الثاني تماماً، وإليك بعض هذه النصوص:

يقول الشيخ محمد طيب –وهو الذي شغل منصب رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند–: "إن تصويب الجامعة للمذهب الحنفي لا يعني أنهم يرون أن الحق الصراح ينحصر في المذهب الحنفي، وأن المذاهب الأخرى باطلة متعارضة مع الكتاب والسنة، وإنما يعني أنهم ليسوا مبتدعين، وإنما مذهبهم هو الآخر يرجع إلى الكتاب والسنة، ويصدرون في المسائل كلها عن مصادر الشريعة الأساسية الموثوق بها لدى الأمة".(٢)

ومن هنا نجد أنهم لا يتخذون التقيد بمذهب ذريعة إلى التشنيع على المذاهب الأخرى، فلو أخذ الإنسان بمذهب ما فهذا لا يمنعه من المذاهب الأخرى، ولكن علماء ديوبند عندما يقلدون إماماً ما، فهذا تحديد بالعمل بمذهبه، وليس لديهم مانع من العلم بالمذاهب الأخرى؛ لأنهم جميعاً أئمتنا، نستفيد كل وقت من علمهم(٣).

يقول الشيخ محمد طيب: "وعلى ذلك فالتقليد لإمام إنما يحدد العمل بمذهبه، ولا يمنع عن العلم بالمذاهب الأخرى والاعتراف بفضلها، وإنما يعزز جانباً واحداً من العمل".(٤) وأما بخصوص المذهب العقدي عندهم فسنتكلم عنه في الفصل الأول من هذه الرسالة –إن شاء الله تعالى–.

---

(١) الندوي، علي الحسني، المسلمون في الهند، مرجع سابق ص٦٥
(٢) الطيب، محمد طيب، علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي، مرجع سابق ص٢٣٦
(٣) المصدر السابق ص٢٣٧
(٤) المصدر السابق ص٢٣٨

أثر جامعة دار العلوم ديوبند في تأسيس المدارس والمعاهد الدينية في الهند وخارجه

إن عدد المعاهد المنسوبة إلى هذه الجامعة الكبيرة لا تقل عن ألف مدرسة أو أكثر، وهذه المعاهد في تزايد مستمر.

يقول الشيخ محمد يوسف الحسيني البنوري:(١) "إن المعاهد التي تعزى إلى هذه الجامعة ألف مدرسة فصاعداً، منها المعاهد التي أسسها الفضلاء الذين خرجوا منها" وإن أعظم خدمة قدمها الخريجون من جامعة دار العلوم ديوبند هي خدمة إنشاء المعاهد العلمية التعليمية من الكتاتيب والمدارس والجامعات في أرجاء الهند وأنحائها من المدن والقرى والبوادي، ولا تزال عنايتهم بها قائمة، وجهودهم في ذلك مبذولة. وذلك لما تحقق لديهم واطمأنت به نفوسهم من أن هذه المعاهد هي المعاقل الدينية التي يمكن بها الاحتفاظ بصورة الحياة الإسلامية، ومكافحة تيار الغرب المدني والثقافي.

فما إن تأسست دار العلوم ديوبند حتى أنشئت هذه المعاهد والمدارس، وأنشئ عدد منها في العام نفسه الذي أسسوا فيه دار العلوم، ثم في أعوام متتابعة له، مثل مظاهر العلوم بسهارنفور، ومدارس بتهانه ودلهي وبلند وغيرها، وكانت دار العلوم ديوبند هي المدرسة الأم، ولم تشاركها في هذه الصفة – قديماً – إلا مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور التي أسست بعدها بستة أشهر فقط، وبأيدي علماء كانوا من المؤسسين والمشيدين لدار العلوم ديوبند، ولذا فكان – ولا يزال – عدد كبير من مدارس الهند ومعاهدها على غرار هاتين الجامعتين، وتقوم علاقة علمية وثيقة بين هذه المدارس وبين دار العلوم بديوبند، يتبع فيها المنهج النظامي للتعليم، ثم اقتفت آثارهما كثير من المدارس، ولذا فإن المدارس المنتشرة في بلاد الهند تمد هاتين الجامعتين بعدد كبير من الطلاب ومن العاملين فيها.

أما أهم المدارس، ففي الهند – بعد دار العلوم بديوبند ومظاهر علوم بسهارنفور – ومعهما ثالثتهما أيضاً وهي جامعة دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ – مدرسة شاهي، والمدرسة الإمدادية بمراد آباد، والمدرسة الأمنية بدلهي، والجامعة العربية بباندة، والجامعة الإسلامية ببنارس، وكلها بولاية أترابراديش، والجامعة الرحمانية بمونغير والمدارس الإمدادية بدربهنغا وهما بولاية بهار، وفي حيدر آباد جامعة دار العلوم الحسامية، وفي ولاية غجرات عدد من

---

(١) ولد سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) في قرية "مهابت آباد" من مديرية "بنور" تعلم القرآن ومبادئ العلوم على والده الشيخ محمد زكريا وقرأ الفقه وأصوله والمعاني والمنطق والآداب وغيرها على علماء بيشاور، ثم ارتحل إلى جامعة ديوبند الإسلامية فدرس فيها، ثم عين مدرساً فيها، ثم فوض إليه شيخه الحديث ورئاسة التدريس، وأسس جامعة العلوم الإسلامية، له مؤلفات عديدة أهمها "معارف السنن" وهو شرح عظيم لسنن الترمذي، توفي في كراتشي سنة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). انظر: البري، عبد الرحمن، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، مرجع سابق ص١٧١

المدارس تمتاز بذكرها وبعملها مثل مدارس تعليم الدين بدابيل، والجامعة الحسينية والجامعة الأشرفية براندير.

وهناك نظام شبكة الكتاتيب الابتدائية التي تعمل تحت إشراف هيئات علمية، مثل: هيئة التعليم الديني لولاية أترابراديش برئاسة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي، ومدارس دعوة الحق التي تعمل تحت إشراف فضيلة الشيخ أبرار الحق ورئاسته وهو أحد خلفاء حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، عدا آلاف من المدارس الابتدائية التي أنشأها المسلمون – على مستوى الأحياء – في المساجد، داخل المدن، وهي تستقبل الأطفال المسلمين المنتظمين في المدارس الحكومية لتعليمهم القرآن الكريم والتعاليم الدينية؛ من توحيد، وفقه، وسيرة نبوية وما إلى ذلك، وأخرى أنشئت في القرى والأرياف، وتعنى كذلك بالتعليم الديني، ولا تخضع لنظام كبير للمدارس، وإنما يتولى أمورها أصحاب الخير والصلاح من أهالي تلك البلد، أو تتبع بعض المدارس الكبيرة في المنطقة أو المدينة. أما في الباكستان، فقد أسس المتخرجون من دار العلوم ديوبند عدداً من المدارس والجامعات الإسلامية، تعمل بنفس النظام والنهج المعروف في دار العلوم ديوبند، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

دار العلوم بكراتشي (التي يشرف عليها الشيخ محمد تقي العثماني)، والجامعة الإسلامية البنورية بكراتشي، والجامعة الفاروقية بكراتشي، والجامعة الإشرافية، والجامعة المدنية كلتاهما بلاهور.

وفي بنغلاديش: دار العلوم هات هزارى، ودار العلوم جاتغام، وعدد من المدارس والجامعات بدكا وسهلت وغيرهما.

هذه المدارس والجامعات هي أشهر معاهد هذه السلسلة؛ أي المعاهد المنتمية إلى جامعة ديوبند وحركتها، كما أن أكثر مدارس شبه القارة الهندية وجامعاتها الدينية الإسلامية تتبع منهج ديوبند وتنسب إلى حركة ديوبند العلمية والإصلاحية.[١]

وأنشئت مدارس كثيرة على غرار دار العلوم ديوبند، في بريطانيا وأمريكا وكندا، وقد تأسست الآن في تلك البلاد مدارس وجامعات تنتمي إلى دار العلوم ديوبند وتتبع منهاجها العلمي التعليمي، نذكر منها على سبيل المثال: (دار العلوم "بري" في بريطانيا، والجامعة الإسلامية بكندا، ومدرسة في بغالو بنيويورك، وجامعة دار العلوم زكريا جنوب أفريقيا)[٢]

---

(١) انظر: الأسعدي، محمد عبدالله، دار العلوم ديوبند (مدرسة فكرية وتوجيهية، حركة إصلاحية دعوية، مؤسسة تعليمية تربوية، ط١ (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)

(٢) انظر المصدر السابق ص١٤٧

ويبلغ عدد الطلاب الذين تخرجوا من هذه الجامعة حتى عام (١٤٠٠هـ) ١٦٤٩٢ طالباً، ويتخرج كل عام حوالي خمسمئة طالب، هؤلاء أصبحوا أبواباً مفتوحة للعلوم، منهم المفسرون، ومنهم المحدثون، ومنهم الفقهاء والمفتون، ومنهم المدرسون، ومنهم المصنفون والمؤلفون، ومنهم الخطباء والدعاة، وغير ذلك.. أما الأساتذة فيبلغ عددهم ستين على الأقل وأكثرهم تخرجوا في الجامعة.(١)

وللجامعة فضل كبير على الأمة الإسلامية جمعاء، وأخص بالذكر بلاد الهند، فقد تخرج الكثير من العلماء في هذه الجامعة، وكان لهم دور بارز في إنهاء البدع والخرافات وإحياء السنن بين الناس، ودحض شبه المشككين، والرد على أهل الضلال، وأما من الناحية السياسية فكانوا أبطالاً وثواراً يدافعون عن الأوطان، وينصحون السلطان بكل جرأة، يقول الندوي: "وكان للمتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة الحق عند سلطان جائر".(٢)

ومن خدمات علماء ديوبند في سطور

- نشروا الثقافة الإسلامية، والعقيدة الصافية في بيئات المسلمين عن طريق التعليم والصحافة والتأليف والإرشاد.
- أيقظوا المسلمين بعد ما كانوا في سبات عميق، وأشعلوا فيهم الروح العلمية والغيرة الإسلامية، وذكروهم بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووظيفتهم في هذه الحياة.
- عرّفوا الناس بتعاليم الإسلام الصحيحة النقية من الشوائب الوثنية والبدع والخرافات، وزودوهم بالأفكار الإسلامية النيرة المغذية للقلوب، المنعشة للعقول.
- حرضوا على التمسك بالدين الإسلامي، والقيام بأمر الله ورسوله ﷺ وتخليهم عن التقاليد الجاهلية التي زينها لهم الشيطان.
- أقاموا شبكة موسعة للمدارس الإسلامية العربية في أنحاء شبه القارة الهندية كافة، وحولوها إلى قلاع منيعة يذودون بها عن حمى الإسلام ويحافظون على تراثه.

---

(١) الداعي (العدد الخاص) وهي مجلة شهرية تصدرها جامعة دار العلوم ديوبند، برئاسة الأستاذ الفاضل الشيخ بدر الحسن القاسمي، جمادى الأولى (١٤٠٠هـ) ص٧٣

(٢) الندوي، علي الحسني، المسلمون في الهند، مرجع سابق ص٦٥

- قاوموا الحملات الفكرية الصليبية وهجمات المستشرقين، ودحضوا شبهات المشككين حول الإسلام.
- كافحوا كل دعوة هدامة ملحدة وحركة طاغية، مثل: القاديانية، والبهائية، والشيعة، وغيرها من الفتن ما ظهر منها وما بطن.
- قاموا في وجه البدع والخرافات التي راجت في مجتمع المسلمين باسم الإسلام.
- أبطلوا محاولة الاستعمار البريطاني لصبغ المسلمين بصبغة مسيحية وتجريدهم من روح الدين ووضع موازين جديدة لهم وقيم حديثة في نفوسهم.
- كافحوا ضد الاستعمار حتى استطاعوا تحرير البلاد من الأعداء.
- استرعوا انتباه المسلمين إلى قوله –تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ وثبتوا في أذهانهم أنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- أسهموا إسهاماً فاعلاً في كل دعوة وحركة ذات ملامح إسلامية قامت في العالم لخدمة الإسلام وصالح المسلمين.
- وقفوا بجانب القضايا الإسلامية والعربية التي أثيرت في الدول الإسلامية أو في أقطار أخرى بكل ما لديهم من الوسائل والإمكانات.
- قاموا بالتأليف والتحقيق والترجمة في المواضيع العلمية والدينية، وأكسبت عديداً منهم خدماتهم في الحديث الشريف والعلوم الأخرى سمعة طيبة ومكانة بارزة في العالم كله.
- حرضوا الناس دائماً على التمسك بالكتاب والسنة، وتفانوا في نشر علومها في المستويات كافة، وفي شتى الميادين، صامتين جادين مخلصين لله ﷻ، بعيدين عن التظاهر و التفاخر والدعاية المعتادة لدى أبناء عصرنا.(١)

أما المنهج العلمي فسنذكره تفصيلاً في المبحث الأول من الفصل الثالث –إن شاء الله–.

المطلب الثاني: جامعة مظاهر العلوم في سهارنفور

تُعَدّ جامعة مظاهر العلوم بـــ "سهارنفور" من الجامعات الإسلامية، وقد أخذت هذه الجامعة أيضاً نصيباً وافراً من السمعة الطيبة والقبول وإقبال الطلاب إليها، فخرجت رجالاً نبغوا في العلوم النقلية والعقلية معاً، حذوا حذو أكابرهم في التحديث والتدريس ونشر العلوم، لاسيما علوم الحديث، ففاقوا فيها غيرهم وامتازوا بخدمتها في الهند على سواهم.(٢)

---

(١) البرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند، أكاديمية شيخ الهند مرجع سابق ص٥٢–٥٣
(٢) البرني، محمد عاشق الهي، العناقيد الغالية من الأسانيد العالية طبع في كراتشي مكتبة الشيخ ص٧٤

إن هذه الجامعة –نظراً إلى مهمتها وغايتها المنشودة– تشكل جامعة فكرية متكاملة من بين جامعات الفكر الإسلامي التي تعتبر حصوناً منيعة للدين، وينابيع صافية تتفجر منها أنهار الدعوة الدينية الإسلامية، والتي تضع نصب أعينها رسالة خاصة ومنهاجاً خاصاً لتطبيق هذه الرسالة، وتقوم بأدائها أداء فعالاً يترك آثاراً على الفكر، ويغير مجراها إلى الهدى و الرشاد، وما من شك أن الجامعة نجحت إلى حد كبير في مسعاها وحالفها التوفيق من الله في أداء رسالتها، فلها في إرواء البشرية الهائمة والصعود بها إلى العلو الروحي إسهاماً يفوق الوصف والبيان.[١]

تأسيس الجامعة

إن السبب الرئيس من وراء إنشاء جامعة مظاهر العلوم هي الأسباب التي أسلفت عند الحديث عن تأسيس جامعة ديوبند الإسلامية.

وقد تأسست هذه الجامعة في مدينة سهارنفور،[٢] وكان ذلك في شهر رجب عام (١٢٨٣هـ/١٨٦٦م)، أسسها الشيخ سعادت علي السهارنفوري،[٣] وتشارك هذه الجامعة جامعة دار العلوم ديوبند في المذهب الفقهي –وهو المذهب الحنفي–، والهدف الأساسي والمنهج العلمي والإصلاح والدفاع عن الدين.

ولم تكن جامعة مظاهر العلوم عند إنشائها إلا مدرسة متواضعة تضم عدداً قليلاً من الأساتذة والطلاب، ولم يمض زمن طويل حتى أخذت تتسع من حيث برامجها وأقسامها العلمية، ولم يتوقع أحد أن هذه المدرسة الصغيرة ستصبح يوماً ما جامعة كبيرة تهوي إليها الأفئدة من كل مكان،[٤] حيث يوجد في الجامعة أقسام عدة لطلبة العلم، ومن هذه الأقسام: (قسم التجويد، وتحفيظ القرآن، وقسم التفسير، وقسم الحديث، ودار الإفتاء، وقسم الفقه، وقسم الإرشاد الديني والوعظ).

وسنذكر المنهج العلمي لكل قسم من هذه الأقسام في المبحث الأول من الفصل الثالث – إن شاء الله تعالى–.

(١) عامر، صدر الدين، دليل جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور مرجع سابق ص٤٦
(٢) سهارنفور: مدينة كبيرة ومديرية تقع ديوبند فيها والمسافة بين سهارنفور وديوبند ثلاثون ميلاً
(٣) سعادت علي السهارنفوري لقب بالفقيه، كان طلبة العلم يقصدونه ويأتون إليه في بيته ليدرسهم، ويقوم بإطعامهم ويبذل الأموال عليهم وتوفي سنة ١٢٨٦ وكان ذلك كارثة أليمة لجامعة مظاهر العلوم، انظر: الكاندهلوي، محمد زكريا، تاريخ مظاهر العلوم، طبع في سهارنفور، مكتبة إشاعة العلوم، الهند ج١، ص٥
(٤) عامر، صدر الدين، دليل جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور طبع بسهارنفور ص٤٥

ومن أهم الكنوز التي تملكها الجامعة مكتبتها الضخمة، فإنها تحتوي على حوالي مائة ألف كتاب، ومعظم هذه الكتب الثمينة باللغة العربية وفي العلوم الدينية وما يتعلق بها. ومنها عدد كبير من المؤلفات الخطية باليد والنوادر، والكتب كلها على كثرتها مرتبة ترتيباً بديعاً وموزعة على اثنين وعشرين عنواناً.

وترتيبها حسب ما يأتي:

الحديث، والرجال، والتفسير، والتجويد، والأدب، وأصول الفقه، والتاريخ، والتصوف الإسلامي، والرياضة، والصرف، والنحو، والمنطق، والفقه، والعقائد، والفرائض، والنعت، المعاني، والطب، والعروض، والوعظ، والمناظرة، والمتفرقات.

وأما المدارس الدعوية التابعة لهذه الجامعة فعددها كثير، ومن أهم هذه المدارس، مدرسة الشيخ سعد بن هارون بن محمد يوسف، ومكانها في مركز التبليغ والدعوة في منطقة دلهي، حيث يتخرج الطلاب فيها ويتعلمون العلوم الشرعية، ثم يرغبون للخروج مع جماعة التبليغ والدعوة لنشر ما تعلموه بين الناس بالنصح والموعظة الحسنة، ومن هذه المدارس أيضاً دار العلوم ندوة العلماء، والجامعة العربية رياض العلوم، والجامعة المدنية الإسلامية، والمعهد الإسلامي مظاهر العلوم، والجامعة الرحيمية، والجامعة العربية الإمدادية، وجامعة خير المدارس، والجامعة الفاروقية، وجامعة دار العلوم كراتشي.[١]

الأهداف

نظراً إلى الظروف التي تأسست فيها جامعة العلوم فإن أهدافها تتمثل في المحاولة لإبقاء الإسلام والمسلمين في هذه الديار عن طريق التعليم والتربية والتوجيه الإسلامي والتوعية الدينية، ولذلك كانت أهدفها منذ اليوم الأول:

١- تعليم الكتاب والسنة على المستوى العالي بجميع ما يتعلق بهما وينبثق عنهما من العلوم والفنون.

٢- تخريج علماء ضالعين في العلوم، حريصين على خدمة الإسلام تعلماً وتعليماً، وعملاً به، ودعوة إليه، وتطبيقاً له في المجتمع، أكفاء لخدمة الدعوة الإسلامية والرسالة الإسلامية على نهج يتطلبه العصر.

٣- مكافحة البدع والخرافات، والحداثية المتحررة من كل قيد من الدين والعقيدة، ومقاومة جميع القوى المعادية للإسلام، وملاحقة الحركات والدعوات الهدامة.

---

(١) البرني، عبدالرحمن البرني، علماء ديوبند، أكاديمية شيخ الهند ص٥١

٤- عرض الإسلام عرضاً عصرياً، يقبله العوام والخواص، ويسري إلى كل قطاعات من الجنس البشري، ليتأكدوا أنه رسالة الله الخالدة الباقية بقاء السماوات والأرض، الصالحة لكل زمان ومكان، وأن البشرية تحتاج إليه احتياجها إلى الماء والهواء، والغذاء والدواء.

٥- تدريس جميع العلوم والفنون باللغة العربية؛ لكونها لغة رسمية للإسلام، ولكونها وعاء علوم الكتاب والسنة، ولكون الشريعة قد نزلت بها، ولكونها لغة كتاب الله الأخير، المهيمن على كتبه وصحائفه كلها، وبناءً عليه لكونها مفتاحاً للعلوم الإسلامية كلها التي لا يمكن فهمها، وإدراك أغوارها، والتشرب لروحها، والخوض في أعماقها إلا بعد العلم بها.[١]

(١) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق ص٩٢

الفصل الأول: موقف علماء جماعة التبليغ والدعوة من الفرق والملل والنحل الأخرى.

المبحث الأول: موقف علماء جماعة التبليغ والدعوة من المدارس الإسلامية عند أهل السنة (السلفية، الأشعرية، الماتريدية)

إن أهل السنة والجماعة، يشملهم ويجمعهم التمسك بالكتاب والسنة، وكما أن أهل السنة ليسوا على مذهب واحد في الفقه، بل على مذاهب عديدة، أشهرها المذاهب الأربعة،(١) فكذلك هم في العقائد على طوائف ثلاث: السلفية أو "الأثرية"، والأشعرية، والماتريدية. يقول الإمام السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية: "أهل السنة والجماعة ثلاث فرق، الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتُريدي رحمهم الله".(٢)

وعلماء جماعة التبليغ والدعوة يعتقدون أن الطوائف الثلاث المذكورة سابقاً هي فرقة واحدة وهي أهل السنة والجماعة، وهم لا يحيدون عن مذهب أهل السنة والجماعة وآرائهم في العقيدة والتوحيد قيد شبر ولا قدر شعرة، ويرجحون رأي السلف في الصفات المتشابهة ومذهبهم فيما اختلف فيه أهل السنة والجماعة فيما بينهم، ولا يذهبون إلى ما سواه إلا بمرتبة ثانية، ولأجل ضرورة تقتضي ذلك؛ مثل الضرورة التي اضطرت الماتريدي والأشعري وأتباعهما – وغيرهم أيضاً من أئمة أهل السنة والجماعة – إلى ما ذهبوا إليه في بعض المسائل.(٣)

وإن معظم علماء أهل السنة والجماعة لم يزالوا ينتسبون إلى الإمامين المعروفين الأشعري والماتريدي، بل بلغ الأمر إلى أن صار ذلك شعاراً وميزةً لأهل السنة، فلم يكونوا يُعرفوا إلا بها في أغلب الأحوال، فلذا اضطروا هم أيضاً إلى هذا الانتساب.

موقف الجماعة من السلفية

تعريف السلف في اللغة: مشتقة من سلف، يسلف، سلفاً. والقوم السلاّف المتقدمون، والسلف أيضاً من تقدمك من آبائك وذي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح.(٤)

---

(١) المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي

(٢) السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ج١، ص٧٣

(٣) الاسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٤٤٥

(٤) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار عمار ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ص١٨٥، وانظر: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكروم، لسان العرب، دار صادر ص١٦٠

تعريف السلف في الاصطلاح: هم أهل القرون الثلاثة التي وصفها الرسول ﷺ بأنها خير القرون دون المبتدعين، فهم الصحابة والتابعون وتابعوهم.[١] والسلفية تطلق على من تمسك بمذهب السلف. والسلفيون هم الذين اتخذوا اسم السلف علماً لهم.

والفرق بين منهج السلف –وهم أهل القرون الثلاثة الأولى– وبين منهج السلفيين، أن السلف لم يتكلموا في التوحيد والتأويل والتشبيه ولكن السلفيين تكلموا في هذه المسائل.

وقد تجدد ظهور السلفية في القرن السابع الهجري على يد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ثم ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[٢]

وفي الحقيقة أن علماء جماعة التبليغ والدعوة يفرقون بين السلف والسلفية، فتعريف السلف عندهم هم أصحاب القرون الأولى، وأما تعريف السلفية، فهم من تبنى آراء السلف بفهمه دون مذهب السلف، وهو ما يسمونه عندهم بالظاهرية أي الذين يتبعون المذهب الظاهري. يقول الشيخ سعيد أحمد بالمبوري: "السلفيون يعني الظاهريون ويتبعون المذهب الظاهري، ونحن نتبع السلف".[٣]

ويقول محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي:[٤] "إن الجماعة يرجحون ويقدمون رأي السلف في الصفات المتشابهة ومذهبهم فيما اختلف فيه علماء أهل السنة والجماعة فيما بينهم"،[٥] ومن خلال الأقوال السابقة نفهم أن الجماعة تقدم مذهب السلف في الصفات المتشابهة أي القرون الثلاثة الأولى وتأخذ به.

وأما موقف علماء الجماعة من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فهم يعترفون بجلال قدرهما ومكانتهما العلمية والدينية، وأنهما من أهل السنة والجماعة. يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري: "كلا الإمامين – ويقصد ابن تيمية وابن القيم – من أجلّ العلماء عند

---

(١) الجكني، محمد بن عمر بن الحسين، العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها، دار ابن حازم، ط١ (١٤٢٠هـ/١٩٩٠م)، ص ٢٣

(٢) الخطيب، محمد أحمد، أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، دار المسيرة، ط١ (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)

(٣) مقابلة الباحث مع الشيخ سعيد أحمد بالمبوري في الهند وهذه المقابلة مسجلة صوتياً

(٤) ولد بمدينة لكهنؤ سنة (١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، تلقى الدراسة الابتدائية في البيت، ثم في كُتّاب تابع لدار العلوم لندوة العلماء بلكهنؤ، وحفظ القرآن الكريم، وتلقى التجويد برواية حفص عن عاصم، ودرس اللغة العربية والعلوم الشرعية في دار العلوم لندوة العلماء، وتخرج من دار العلوم ديوبند سنة (١٣٩٠هـ)، ثم أكمل دراسته في أصول الدين سنة (١٣٩١هـ)، وعُين مدرساً بمدرسة جامع العلوم في مدينة كانبور سنة (١٣٩٣هـ)، ثم انتقل إلى دار العلوم ديوبند سنة (١٣٩٧هـ) وعُين مدرساً فيها، وله مؤلفات عدة: الموجز في أصول الفقه، بين الضعيف والموضوع من الحديث. انظر: الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، أكاديمية شيخ الهند، ط١ (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٨٠٥

(٥) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٤٤٥

علمائنا"،[١] ولكن علماء جماعة التبليغ والدعوة عندما يطلقون كلمة السلف لا يقصدون ابن تيمية وتلميذه، بل أهل القرون الثلاثة الأولى، ولا تمانع الجماعة من انضمام كثير من أفراد السلفية إليها وممارستهم للعمل الدعوي مع الجماعة.

موقف الجماعة من الأشعرية والماتريدية

تعريف مذهب الأشعرية: هو مذهب عقائدي من مذهب أهل السنة، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري ﵁.[٢]

تعريف مذهب الماتريدية: هم أتباع الإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، الحنفي، الملقب بإمام الهدى، ولد بقرية ماتريد في سمرقند، وهذا المذهب من مذهب أهل السنة.[٣]

ولم أخص في العنوان الأشعرية دون الماتريدية، لأن علماء جماعة التبليغ والدعوة يرون أنه لا فرق بين الأشعرية والماتريدية إلا بمسائل محدودة وقد بينت هذه المسألة في المبحث الأول من الفصل الثالث.

وإن الجماعة لا يذهبون عن منهج أهل السنة إلى ما سواه إلا بمرتبة ثانية ولأجل ضرورة تقتضي ذلك، مثل الضرورة التي اضطرت الماتريدي والأشعري وغيرهما من أئمة أهل السنة إلى ما ذهبوا إليه في بعض المسائل، وهي تأويل المتشابه للتنزيه.

ولما كان الأمر بأن معظم علماء أهل السنة والجماعة لم يزالوا ينتسبون إلى الإمامين المعروفين الأشعري والماتريدي، بل بلغ الأمر إلى أن صار ذلك شعاراً وميزةً لأهل السنة، لذا انتسبت الجماعة إليهما، وبالأدق فإن الجماعة ماتريديون مائلون إلى الأشعرية لا على شاكلة من سبق في الاكتفاء بالنسبة إلى أحدهما؛ بل بالجمع في الانتساب إليهما معاً والقصد من ذلك هو الانتماء إلى أصل العنوان ونفس اللقب لأهل الحق مباشرة، وإظهاراً لأنهم من أهل السنة والجماعة تماماً ومطابقة، وذلك أن هذا الانتساب – إلى أيهما كان – يدل على أن صاحبه من أهل الحق وأهل السنة والجماعة، فجماعة التبليغ والدعوة يوصفون بأنهم ماتريديون مائلون إلى الأشعرية، فهم جامعون بين الأشعرية والماتريدية.[٤]

---

(١) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٣٢
(٢) الدوري، قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، مرجع سابق، ص١٢٦
(٣) المصدر السابق، ص١٤٥
(٤) القاسمي، محمد طيب، علماء ديوبند، مرجع سابق، ص٢٥٣

ولقد اختاروا الجمع في النسبة والانتساب؛ لأنهم لم يكونوا في ذلك على غرار السالفين والسابقين، ملتزمين بآراء أحدهما ومذهبه، مؤيدين له، بل نصبوا أنفسهم في ذلك – متبعين لأصول أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أئمة الدين – شارحين وخادمين لآرائهم ومذهبهم.(١)

ويعتقد علماء جماعة التبليغ والدعوة أن الأشعرية والماتريدية لم تكن أبداً من الفرق الضالة الزائفة، وأقوى دليل على ذلك أن كلاً من الإمامين صرحا بأنهما متبعان للسلف من الصحابة والتابعين في الأصول والمناهج، وقد تحقق المحققون والمتخصصون، وتبين لهم ذلك بعد المقارنة بين المناهج والأصول، وقد قاما بجهود كبيرة في سبيل الدفاع عن الدين والكتاب والسنة فمن ذلك أنهما لا يذهبا إلى تمجيد العقل، والى الإيمان بأن له سلطة لا تحد، وأن له الحكم على ما يتصل بالذات والصفات وما وراء الطبيعيات، وأن له الكلمة الأخيرة النافذة في كل موضوع كما ذهب إلى كل ذلك المعتزلة. وبجانب آخر لم يريا أن الانتصار للدين والدفاع عن العقيدة الإسلامية يستلزمان إنكار العقل وازدراءه، وان السكوت عن هذه المباحث –التي يثيرها المعتزلة وأضرابهم التي نشأت بحكم تطور العصر والاحتكاك والديانات– أولى وأفضل كما كان من رأي كثير من علماء عصرهما. وكانا يعتقدان أن المباحث التي تتصل بالعقليات والحسيات لا صلة لها في الحقيقة بالعقيدة والديانات، لكن المعتزلة والفلاسفة مزجوا البحث في العقيدة بهذه المباحث، بل جعلوها بذلاقة لسانهم مقدمات للبحث في الدين، ولذا فأن الفرار من البحث والخوض فيها بحجة أنها لا تتصل بالدين والعقيدة ليس بصحيح بل من الواجب على من قام لنصرة السنة في هذه الأيام والآونة أن يواجههم فيها فيثبت مذهب الحق. وأن النبي ﷺ وأصحابه لم يسكتوا عن هذه المسائل جهلاً، بل لأن هذه المباحث لم تنشأ في عصرهم، ولم يكن هناك حاجة إلى البحث فيها، كما هو شأن الفقه والجزئيات الكثيرة التي حدثت بعد عصرهم فتأمل فيها الفقهاء والمجتهدون، وأبدوا رأيهم فيها، واستنبطوا وفرَعوا، وحلوا المشاكل الجديدة، وبذلك عصموا الأمة والجيل الجديد عن الإلحاد والفوضى في العمل والتعطل. فكذلك يجب على حراس العقيدة من أهل السنة، أن يواجهوا الأسئلة الجديدة التي أثارها المعتزلة والمتفلسفة وأمثالهم في موضوع الإلهيات، ويجيبوا عن الاعتراضات والمطاعن التي توجهها الفرق الضالة إلى أهل السنة، ويقيموا الدليل والبرهان العقليين على صحة عقائد أهل السنة على مطابقتها للعقل والمنطق. فعبقرية الأشعري والماتريدي تتجلى في هذا، وفي أنهما أقاما البراهين والأدلة العقلية والكلامية على عقائد أهل السنة، وناقشا المعتزلة وغيرها من الفرق عقيدة عقيدة، وذلك كله في لغة يفهمونها، وأسلوب كانوا يألفونه، وبذلك اثبتا أن الدين وعقيدته الواضحة مؤيدان بالعقل، وأن العقل الصحيح يؤيد الدين الصريح، ولا صراع بينهما ولا تناقض. إنهما لم يألوا

---

(١) الأسعدي، محمد عبيدالله، جار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٤٤٦

جهداً، ولم يباليا أحداً؛ فيما اعتقداه للدفاع عن الدين واختاراه، فبارك الله في جهودهما بفضل إخلاصهما وببركة إحسانهما في كل ما ذهبا إليه، حتى ردَ الله بهما سبيل الاعتزال والتفلسف الجارف الذي كان يهدد الدين، وثبت كثيرٌ من المسلمين الذين تزلزلت أقدامهم، واضطربت عقولهم وعقيدتهم، ونشأ في أهل السنة ثقة جديدة بعقيدتهم، ونشاط جديد في دعوتهم، وزالت سطوة المعتزلة وسيطرة غيرها من الفرق على العقول والأفكار، بل تعرضت حركة الاعتزال ودعوتها للزوال، فخمدت نارهم وانطفأ سراجهم.(١)

وقد تحدثت في هذا المبحث عن المدارس الإسلامية الأكثر أهمية وشيوعاً، ولم أتحدث عن باقي المدارس الإسلامية، مثل الخوارج والشيعة وغيرهما؛ لأنني بحثت في كتب جماعة التبليغ والدعوة عن هذه المدارس فلم أجد حديثاً عنهم، ولعل الجماعة قد تكلمت عن هذه المدارس في كتبهم ولكن باللغة الأردية، وهي غير مترجمة إلى العربية؛ مما يصعب على الباحث أن يفيد من هذه الكتب.

المبحث الثاني: موقف علماء جماعة التبليغ والدعوة من الفرق والملل والنحل الأخرى

المطلب الأول: موقف علماء الجماعة من أهل الكتاب (اليهود، والنصارى)

موقف علماء الجماعة من اليهود

إن علماء جماعة التبليغ والدعوة يعتقدون أن اليهود قد حرفوا التوراة تحريفاً لفظياً ومعنوياً. يقول الشيخ سعيد أحمد بالمبوري: "وكان من ضلال اليهود تحريف أحكام التوراة، سواء كان تحريفاً لفظياً أو تحريفاً معنوياً".(٢)

وأما دليل تحريف التوراة لفظياً فمن القرآن الكريم. يقول -تعالى-: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ﴾**.(٣) ودليل تحريف التوراة معنوياً قوله -تعالى-: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾**.(٤)

والتحريف اللفظي في التوراة إما بزيادة أو بإنقاص أو بتبديل، وأما التحريف المعنوي فهو تأويل فاسد يحمل الآية على غير معناها، وذلك بقصد الانحراف عن سواء السبيل، ومثال

(١) الأسعدي، محمد عبيدالله، جار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٣٧٩-٣٨٠
(٢) بالمبوري، سعيد أحمد، العون الكبير في شرح الفوز الكبير، مكتبة حجاز ديوبند، ص٥٣
(٣) سورة المائدة الآية ٤١
(٢) سورة المائدة الآية ١٣

التحريف المعنوي، هو أن الله -تعالى- قد بين الفرق بين المؤمن العاصي وبين الكافر في كل ملة، فتوعد الكافر بالخلود في النار والعذاب الأليم، وأما المؤمن العاصي فلا يخلد في النار، وصرح الله -تعالى- بذلك في كل ديانة، فأثبت ذلك في التوراة لليهود، وفي الإنجيل للنصارى، وفي القرآن العظيم للمسلمين، ومناط الحكم هو الإيمان بالله وبالنبي الذي بعث إليهم، ولا يكون التخصيص بفرقة من الفرق لذاتها، ولكن اليهود زعموا أن كل من كان يهودياً فقط فهو من أهل الجنة، ولا يمكث في النار إلا أياماً معدودات، وإن لم يتحقق ذلك المناط، ولم يكن إيمانه بالله -تعالى- على الوجه الصحيح.(١)

والرد على هذا التحريف المعنوي هو أن القرآن الكريم قد كشف لنا هذه الشبهة على أتم وجه، لأنه المهيمن على الكتب السابقة مبيناً مواضع الإشكال فيها. قال -تعالى-: ﴿**بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.(٢) وقوله -تعالى-: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾(٣)

وجماعة التبليغ والدعوة يعتقدون في اليهود أنهم كفار؛ لأنهم أنكروا رسالة نبينا محمد ﷺ واستهزأوا به. يقول الشيخ سعيد أحمد بالمبوري: "وكان من ضلال اليهود استنكار رسالة النبي محمد ﷺ، سوء الأدب والطعن عليه، بل طعنوا بالله -تعالى- أيضاً".(٤)

فزعموا أن الله فقير وهم أغنياء فقالوا: ﴿**إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء**﴾.(٥) ونسبوا البخل إلى الله -تعالى- فقالوا ﴿ **يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾.(٦)

موقف علماء الجماعة من النصارى

إن من أوائل الذين برزوا من علماء المسلمين في الهند للذود عن العقيدة الإسلامية ورد مزاعم المستشرقين، ودحض شبهاتهم الشيخ محمد قاسم النانوتي، وقد قرأ الشيخ محمد إلياس مؤلفات الشيخ قاسم النانوتي وغيره من العلماء(٧) الذين ساروا على النهج نفسه في دحض

---

(٣) بالمبوري، سعيد أحمد، العون الكبير، مرجع سابق، ص ٥٧-٥٨
(٢) سورة البقرة الآية ٨١
(٣) سورة آل عمران الآية ٢٥
(٤) بالمبوري، سعيد أحمد، العون الكبير، مرجع سابق، ص٥٣
(٥) سورة آل عمران الآية ١٨١
(٦) سورة المائدة الآية ٦٤
(٧) من العلماء الذين برعوا في هذا التخصص الشيخ رحمت الله الكيرانوي في كتابه "إظهار الحق"، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي في كتابه "إثبات وجود الإله"، والشيخ سعيد أحمد الأكبر أبادي له إسهاماً ملموس في مواجهة الشبهات التي أثارها المستشرقون حول تعاليم الشريعة الإسلامية ومن مؤلفاته "الرق في الإسلام" وهؤلاء من علماء ديوبند. انظر: الأسعدي، محمد عبيد الله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٢٥٦

أباطيل النصارى، فقرأ لجماعة التبليغ والدعوة هذه المؤلفات، وبالأخص لمن يتفرغ منهم بدراسة تلك الموضوعات، وأغلب تلك المؤلفات مطبوعة باللغة الأردية، وقليل منها تم ترجمتها إلى اللغة العربية وإلى لغات أخرى(١) ومنها كتاب إظهار الحق، للشيخ محمد رحمت الله الكيرانوي، ومن الموضوعات التي تناولتها هذه المؤلفات:

أولاً: عقيدة التثليث والرد عليها

يزعم النصارى أن لله –تعالى– ثلاثة أجزاء متغايرة بوجه، ومتحدة بوجه آخر، ويسمونها الأقانيم(٢) الثلاثة:

أحدها: الأب.

وثانيها: الابن.

وثالثها: الروح القدس.

فيعتقدون أن أقنوم "الابن" تقمّص بروح عيسى عليه السلام أي أن الابن يظهر في صورة عيسى عليه السلام، فعيسى إله وابن إله وبشر أيضاً في وقت واحد، وتجري عليه الأحكام البشرية والإلهية معاً.(٣)

وقد رد الله –تعالى– على هذا الاعتقاد الفاسد وبين أن عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله وروح من الله نفخها في مريم العفيفة الطاهرة. قال –تعالى–: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾.(٤)

ويقول الشيخ قاسم النانوتي مخاطباً النصارى: "ما أشدّ الظلم أنكم توحدون الله الأحد وتثلثونه في وقت واحد ومعاً حقيقةً لا مجازاً".(٥) ويرد الشيخ محمد قاسم على الذين قالوا إن عيسى إله أو ابن الله، فيقول: "إن عيسى الذي تعتقدونه أيها النصارى إلهاً أو ابنه كان زاهداً وورعاً وتقياً وخاشعاً وعابداً ليلاً نهاراً، فكل ذلك يدل على أنه لم تكن فيه شائبة من الألوهية، وإن فرعون قد تأله وتنكر بالإله، وأما عيسى عليه السلام فلم يدّع الألوهية أصلاً، فإن حلّ

---

(١) الأسعدي، محمد عبيد الله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٢٥٥

(٢) الأقانيم، جمع الأقنوم، وهي كلمة سريانية معناها: الشخص والأصل، والاقانيم عند النصارى هي الأب والابن والروح القدس والرابطة التي تربط بينهم تسمى اللوغوس أي الإله، والاقانيم أصلها فكرة يونانية تأثر بها يوحنا صاحب الإنجيل، انظر: بالمبوري، سعيد أحمد، العون الكبير، مرجع سابق، ص٧٤

(٣) بالنبوري، سعيد أحمد، العون الكبير، مرجع سابق، ص٧٨

(٤) سورة النساء الآية ١٧١

(٥) النانوتي، محمد قاسم، حجة الإسلام، تعريف محمد ساجد القاسمي، أكاديمية شيخ الهند ط١ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٦٩

غضب من الله على أتباع فرعون الذين كانوا قد اتخذوه إلههم، فكيف ينجو من غضب الله أتباع عيسى عليه السلام الذين يعتقدونه إلهاً.(١)

ثانياً: اعتقادهم بأن عيسى عليه السلام قد قتل، ولكن الواقع خلاف ذلك، فقد شبه لهم، والتبس عليهم الأمر، فظنوا رفعه إلى السماء قتلاً، فكشف الله -تعالى- الستار عن حقيقة الأمر في القرآن الكريم، قال -تعالى-: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾**.(٢)

وبالجملة فإن عيسى عليه السلام له أربع خصوصيات لا توجد في غيره، وابتدع أتباعه منها أربع عقائد باطلة، وهذه الخصوصيات وهي:

١- أنه ولد بلا أب، من روح الله -تعالى- وكلمته.

٢- وأنه رفع إلى السماء.

٣- وينزل عليه السلام في آخر الزمان عند ظهور الدجال.

٤- وكونه عليه السلام خاتماً لأنبياء بني إسرائيل.

ولما مات الحواريون حملة دينه، خلف من بعدهم خلف ابتدعوا من الخصوصية الأولى عقيدة الألوهية، وحملوا الألفاظ المستعملة المشتبهة على غير محملها، ولما لم يدركوا حقيقة رفعه إلى السماء، وشُبِّه لهم، زعموا أنه عليه السلام قد قتل، ولكن لم ترضَ أنفسهم لنبيهم بهذه العاقبة فزعموا عقيدة الكفارة والفداء، وكذا حرفوا أخبار نزوله عليه السلام عند ظهور الدجال بنزول روحه يوم القيامة، وحرفوا كونه خاتم أنبياء بني إسرائيل إلى كونه خاتم النبيين مطلقاً، فادعوا أن دين المسيحية أبدي، ولا يجوز نسخه.(٣)

وجماعة التبليغ والدعوة يعتقدون أن النصارى كفار، لأنهم أنكروا رسالة النبي محمد ﷺ، وزعموا أن عيسى قد قتل وهذا خلاف اعتقاد المسلمين أن عيسى رفع إلى السماء، وزعموا أن لله -تعالى- ثلاثة أجزاء متغايرة بوجه، ومتحدة بآخر، وقد ردَ الله -تعالى- على هذا المذهب الباطل في قوله -تعالى-: **﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾**(٤) وزعموا أن عيسى إله، وفي الحقيقة إن عيسى ليس إلهاً إنما عبدلله وروح منه.(٥)

---

(١) النانوتي، محمد قاسم، حجة الإسلام، مرجع سابق ص٦٨
(٢) سورة النساء الآية ١٥٧
(٣) بالنبوري، سعيد أحمد، العون الكبير، مرجع سابق، ص٩٢-٩٣
(٤) سورة المائدة الآية ٧٣
(٥) انظر: بالنبوري، سعيد أحمد، العون الكبير، مرجع سابق، ص٧١

المطلب الثاني: موقف علماء الجماعة من الهندوسية

التعريف بالهندوسية: تعد الهندوسية ديانة الغالبية العظمى من الهنود، قامت على أنقاض الويدية، وتشربت أفكارها، وتسمى الهندوسية أو الهندوكية، إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وأطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما،[١] وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيراً من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين.[٢]

وتظهر معتقداتهم في:

١- تناسخ الأرواح: أي رجوع الروح بعد خروجها من جسم ما إلى جسم آخر، وسببه مفارقة الروح للجسد، ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد، وقد تكون عودتها في جسد إنسان أو حيوان، وتستمر الروح بالانتقال من حياة إلى أخرى حتى يتم حسابها، وأخيرا عندما توفى ما لها وما عليها تمتزج بالبراهما الإله.[٣]

٢- الكارما: وهو قانون الجزاء وليس لأحد أن يتملص منه، وليس في الكون مكان يفر إليه المرء من جزاء أعماله حسنة كانت أو سيئة، وجميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين، خيراً كانت أو شراً، لا بد من أن يُجازى عليها بالثواب أو العقاب طبقاً لناموس العدل المحض، وإن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل.[٤]

٣- وحدة الوجود: أي أن الحياة خلقت من الروح، فالإنسان ليس بجسمه أو حواسه، لأنها تموت وتبلى، بل الإنسان هو الروح وهي سرمدية أزلية أبدية مستمرة غير مخلوقة، وروح الإنسان لا تختلف عن الروح الأكبر.[٥]

وقد تصدى للهندوسية علماء الإسلام، وناظروهم وأظهروا صدق الإسلام، وكان في طليعة هؤلاء العلماء الشيخ محمد قاسم النانوتي، وهو شيخ علماء ديوبند، ومن أشهر المناظرات معهم مناظرة الشيخ النانوتي مع رئيس صناديدهم، فقد ناظرهم وقاومهم بعلمه ولسانه، وكان من مآثره في ذلك قيامه في الجمع العظيم في بلدة "شاهجها نبور" وإظهار حقائق الإسلام على

(١) براهما: اسم الإله في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته الذي لا تدركه الحواس إنما يدركه العقل، فهو في اعتقادهم مصدر الكائنات كلها الذي لا حد له، وهو الأصل الأزلي المستقل، الذي منه يستمد العالم وجوده ومن معاني براهما عندهم رب الصلاة (أي الذي لا توجه الصلاة إلا إليه). انظر: الجهني، د. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٩٨٥

(٢) شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، (٢٠٠٠م)، ص٣٧

(٣) زيغور، علي الفلسفة في الهند قطاعاتها الهندوكية والإسلامية المعاصرة مع مقدسات الفلسفة الشرقية، دار عز الدين، بيروت، ط١، (١٤١٣ﻫ/١٩٩٣م)، ص١٦٤

(٤) شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مرجع سابق، ص٦١

(٥) المصدر السابق، ص٦٤

رؤوس الاشهاد، وإقامة الحجة عليهم، ودفع الباطل، ومازال علماء ديوبند متحمسين ومتيقظين للرد عليهم ولمقاوتهم، لأن الهندوس لا تزال تتربص فرصاً، تصيد بها عامة المسلمين، البعيدين عن مراكز العلم والإسلام، المحرومين من مصاحبة العلماء والأعلام.(١)

المطلب الثالث: موقف علماء الجماعة من بعض الطوائف والفرق (جماعة أهل القرآن، الأغاخانيون، القاديانية)

أولاً: جماعة أهل القرآن (إنكار الحديث)

"فتنة إنكار الحديث وحجته" ليست في الحقيقة فتنة حديثة العهد، ولكنها ظهرت في أساليب جديدة مع دعاوى قديمة، فنشأ في شبه القارة الهندية رجال أنكروا حجية الحديث وجاءوا بحجج سخيفة يغرون فيها الرجال، وتسمى بعضهم – كذباً وزوراً – بلقب "أهل القرآن"، فقام علماء ديوبند بالرد عليهم، وأبطلوا دعاواهم، وشنوا الغارة على حججهم ومزعوماتهم، ومن مؤلفاتهم في الموضوع "نصرة الحديث" للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، و"حجة الحديث" للشيخ محمد تقي العثماني.(٢)

ثانياً: الأغاخانيون

نبذة عن الآغاخانية: هي فرقة من الإسماعيلية النزارية، أيدوا نزاراً، الابن الأكبر للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، الذي نص على خلافته من بعده. وتذكر المصادر الإسماعيلية النزارية أن نزاراً استطاع أن يغادر الإسكندرية سراً مع أهل بيته، واتجه إلى بلاد فارس، حيث استقر في جبال طالقان بين رجال دعوته، وعمل مع الحسن بن الصباح على تأسيس الدول النزارية، وتوفي سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٧م).

ثم انتقلت النزارية إلى الهند بعد القضاء على دولتهم على يد هولاكو، وانضم إليها الإسماعيليون من الهند والسند.(٣)

وعقيدتهم هي عقيدة الإسماعيلية النزارية، غير أنهم يعتقدون في (آغاخان) وهو اللقب الذي أطلقوه على إمامهم المعصوم (حسن علي شاه) المتوفى (١٢٩٨هـ/١٨٨١م)، وكان قد أعلن انتسابه إلى نزار بن المستنصر الفاطمي، وخرج في إيران، إلا أنه فشل، وتم نفيه بمساعدة الإنكليز، وفي بومباي بالهند اعترفت به الطائفة الإسماعيلية إماماً ولقب بالآغاخان.

---

(١) الاسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٢٣٤
(٢) المصدر السابق، ص٢٣٦
(٣) التهانوي، اشرف علي، أعلام المسلمين، مرجع سابق، ص٢٣٥

وفيما يأتي بيان لأبرز عقائدهم:

١- أسس الإسماعيلون ومنهم الأغاخانيون معتقدهم في الألوهية على ما أسموه (التنزيه والتجريد) وانتهوا إلى تعطيل الله سبحانه عن كل وصف وتجريده من كل حقيقة، وقالوا: "لا هو موجود، ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز" ونفوا أسماءه وصفاته بزعم انه فوق متناول العقل، وصرفوا صفات الله إلى أول مبدع خلقه الله بزعمهم وهو العقل الأول.

٢- وفي مقابل تعطيل صفات الله وأسمائه، ونفي صفة الخلق عنه يصرف الآغاخانيون صفات الله إلى أئمتهم، فقد ادعى الآغاخان الثالث أن الإله متجسم فيه شخصياً، فإن آلافاً من البشر يعتقدون ذلك.

٣- يعتقدون أن النبوة مكتسبة وليست هبه من الله، ويعتقدون أن رسالة محمد ﷺ ليست آخر الرسالات، بل هي حلقة من حلقات تتابع النبوة التي انتهت بظهور إمامهم السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر كما يزعمون، واعتقدوا أنه فاتح عهد جديد.

٤- ويؤمن الإسماعيلية، ومنهم الآغاخانيون أن للإسلام ظاهراً وباطناً، ولذا فإنهم يؤولون الغيبيات والفرائض وتعاليم الدين تأويلات فاسدة فيعتبرون البعث انتباه النفوس من غفلتها لتتلقى العلوم والمعارف التي تهذبها وتنقيها من أدران عالم الكون والفساد؛ لتتمكن من اللحاق بالنفس الكلية حيث السعادة والهناء السرمدية.(١)

وقد تصدى الشيخ التهانوي رحمه الله للرد على هذه الفرقة، وكشف النقاب عنها، وإنقاذ المسلمين من غوائلها وأباطيلها، وألف رسالته المشهورة باسم: (الحكم الحقاني في الحزب الآغاخاني)، تناول فيها معتقدات هذه الفرقة الضالة وحذر منها، وبين للناس الطريق المستقيم، وأرشدهم إلى الحق المبين.(٢)

وأما موقف علماء الجماعة من القاديانية فلقد نشأت الحركة سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنكليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم عموماً، وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وبالفعل ألغوا الجهاد، وأطاعوا الحكومة الإنكليزية طاعة عمياء، وكان ميزة غلام أحمد القادياني الذي ولد (١٨٣٩م)، وتوفي سنة (١٩٠٨م)، أنه أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهو معروف عند أتباعه باختلاف المزاج، وكثرة الأمراض، وإدمان المخدّرات،

---

(١) انظر: التهانوي، اشرف علي، أعلام المسلمين، مرجع سابق، ص٢٣٦، وانظر: ظهير، إحسان الهي، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور-باكستان، ص٢٧٣

(٢) انظر: الندوي، محمد رحمة الله دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٢٣٦ والأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٢٣٧

وله أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً، ويعتقد القاديانيون بأن الميرزا غلام أحمد هو المسيح المنتظر، وأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ، بل هي مستمرة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً، وأن جبريل عليه السلام ينزل على غلام أحمد، وأنه يوحى إليه، وإلهاماته كالقرآن، وأنه لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود غلام أحمد، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ويعتقدون أن كتابهم المنزل اسمه: (الكتاب المبين) وهو غير القرآن الكريم، ويعتقدون بأنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة، وأن رفاق غلام أحمد كالصحابة، وأن (قاديان) كالمدينة المنورة ومكة المكرمة، بل أفضل منها.[١]

وللقاديانية علاقة وطيدة مع الكيان اليهودي، وقد فتح لهم المراكز والمدارس، ومكّنهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم، وكانت مجلة (الأديان) التي تصدر باللغة الإنكليزية هي لسان هذه الحركة، وقد تأثروا بالمسيحية واليهودية والحركات الباطنية في العقائد والسلوك على الرغم من ادّعائهم الإسلام ظاهرياً، ومعظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند والباكستان، وقليل منهم في فلسطين المحتلة، ويسعون بمساعدة الاستعمار الإنجليزي للحصول على المراكز الحساسة في كل بقعة من بقاع العالم، وهم ينتشرون خفية متستّرين وراء أسماء ودعوات مختلفة من صوفية باسم الطريقة الأحمدية وغيرها.[٢]

والفرق بين الأحمدية والقاديانية، أن الأحمدية نسبة إلى من يزعمون أنه رسول من عند الله الذي اسمه أحمد، وفي الواقع هذا تزوير على المسلمين، والحقيقة أنه لا علاقة لهم برسول الله الذي اسمه أحمد، وإنما النسبة لمتنبئهم أحمد القادياني، واسم الأحمدية معروف في إفريقيا وغيرها من البلاد الإسلامية، وأما القاديانية فهي نسبة إلى مدينة قاديان التي نشأت فيها هذه الحركة وترعرعت.[٣]

وقد تصدى علماء جماعة التبليغ والدعوة في دار العلوم بديوبند للرد على هذه الفرقة الضالة، وقد هيأ الله –تعالى– هؤلاء العلماء لمواجهة هذا التيار الجارف، ودحض أباطيل هذه المؤامرة المخططة التي كانت تهدف إلى تشويه صورة الإسلام، وطمس ملامحه الوضّاءة،

---

(١) انظر: ظهير، إحسان، القاديانية دراسات وتحليل، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط١، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)
(٢) المصدر السابق، والأعظمي، د.محمد، حقيقة البهائية والقاديانية، مؤسسة الأعلى، بيروت، لبنان، ط١ (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)
(٣) انظر: ظهير، إحسان الهي، القاديانية دراسات وتحليل، مرجع سابق، ص١

وأبرز هؤلاء العلماء الشيخ محمد علي المونجيري،(١) والشيخ أشرف علي التهانوي(٢) – رحمهما الله – فقد وقف الشيخ المونجيري نفسه وجهوده لهذا الغرض، فناظرهم وألف في الرد عليهم أكثر من مئة كتاب ورسالة، أولها وأحسنها كتاب: (الحكم السماوي) في ثلاثة مجلدات، وكتابه: (الشهادة السماوية).

وتصدى الشيخ التهانوي للرد على هذه الفرقة الضالة، فألف رحمه الله كتابه المعروف المشهور: (الخطاب المليح في تحقيق المهدي والمسيح)، فنّد فيه شبهات القاديانيين ودعاواهم بأن: (الميرزا غلام أحمد القادياني)، هو المهدي والمسيح، وهو النبي، نعوذ بالله من ذلك، وأثبت رحمه الله بدلائل قاطعة، وأسلوب رصين محكم، مسألة ختم النبوة على نبينا محمد ﷺ، وقام بجهاد متواصل، وكفاح مستميت لأجل صيانة العقيدة، وإنقاذ المسلمين من شبكة دقيقة النسج.(٣)

وجاء من أقوال الشيخ التهانوي: "إننا لم نكن نكفر القاديانية مع أنهم يكفروننا، فإن مذهبنا شدة الاحتياط في الحكم بالكفر على أحد، وذلك لأنه لو كان أحد كافراً حقيقة وفي الواقع ولم نقل فيه إنه كافر، فما الحرج فيه؟ ولو قلنا في أحد: إنه كافر، وكانت الحقيقة خلاف ذلك فهذا أمر خطير. ولذا فإننا لم نكن نحكم بالكفر على القاديانية وكانوا يكفروننا، ولكن لما تجلى الحال وانكشفت الحقيقة لنا بأنهم يقولون بنبوة المرزا فأفتينا فيهم بالكفر".(٤)

وإن علماء جماعة التبليغ والدعوة في جامعة دار العلوم بديوبند لم تغفل عن هذا الموضوع؛ بل لا تزال تحمل لواء الرد على هذا الطائفة الضالة المضلة الكافرة ومهاجمتها، وتبذل أقصى جهودها في قمع هذه الطائفة، وقد أنشئ قسم خاص في الجامعة لحماية عقيدة ختم النبوة؛ فيقيم المخيمات والاجتماعات العامة في مختلف أنحاء البلاد الهندية، مع مشاركة أعداد

(١) هو الشيخ العالم الفقيه محمد علي بن عبد العلي، أحد العلماء المشهورين في الهند، وكتبه تدّرس في جامعة العلوم ديوبند، ولد بمدينة (كانفور) سنة (١٢٦٢هـ)، ولى التدريس بمدرسة (فيض عام)، وسافر إلى الحجاز حاجاً وأقام بمكة المكرمة سنة كاملة وهو الذي أسس مدرسة ندوة العلماء سنة ١٣١١هـ وتوفي سنة ١٣٤٦. انظر: الندوي، محمد رحمة الله، أعلام المسلمين أشرف علي التهانوي دار القلم، دمشق، ط١(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ص٢٣٣

(٢) أشرف علي التهانوي بن المنشئ عبد الحق ولد سنة (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) في قرية (تهانة بهون)، كان عالماً ورعاً تقياً، نشأ في بيئة علمية خالصة، درس بجامعة دار العلوم بديوبند وقرأ الكتب الدراسية من شتى العلوم على كبار أساتذتها، وقد مدحه الشيخ أبو الحسن الندوي فقال: (وكان لأحد أبناء دار العلوم ديوبند وهو الشيخ أشرف علي التهانوي سهم كبير في نشر العقيدة الصحيحة، وإصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، والدعوة إلى الله وقد عمل وحده عمل مجمع علمي كبير، وألف كتباً، ورسائل تربو على ثمانمئة، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً وأثرت في المجتمع الهندي الإسلامي تأثيراً عظيماً)، وله مؤلفات عديدة أهمها: (إمداد الفتاوى)، (الانتباهات المفيدة في الاشتباهات الجديدة)، (تعليم الدين)، (جامع الآثار) وغيرها الكثير، وقد اهتم رحمه الله على أمور كثيرة في تحقيق هدف الإصلاح ومن أهمها: الدعوة والتبليغ، فتح الكتاتيب والمدارس الأهلية لتعليم القرآن والحديث والعقائد، وتوفي سنة (١٣٦٢هـ). انظر: الندوي، محمد رحمة الله، أعلام المسلمين مرجع سابق ص٢١، والبرني، عبدالرحمن، علماء ديوبند، مرجع سابق، ص٩٠

(٣) الندوي، محمد رحمة الله، أعلام المسلمين أشرف علي التهانوي، مرجع سابق، ص٢٣٤

(٤) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٧٥٦

كْثر من جماعة التبليغ والدعوة، ويهتم القسم بطبع ما يتعلق بهذا الموضوع من كتب ورسائل ومطويات وتوزيعه،(١) وقد سُئل علماء ديوبند بهذا السؤال: ما قولكم في القادياني الذي يدعي المسيحية والنبوة، فإن أناساً ينسبون إليكم حُبَّهُ ومدحه؟ فالمرجو من مكارم أخلاقكم أن تبينوا لنا هذه الأمور بياناً شافياً ليتضح صدق القائلين وكذبهم، ولا يبقى الريب الذي حدث في قلوبنا من تشويشات الناس.

فأجاب علماء ديوبند: جملة قولنا وقول مشايخنا في القادياني الذي يدعي النبوة والمسيحية أنا كنا في بدء أمره –ما لم يظهر لنا منه سوء اعتقاد بل بلغنا أنه يؤيد الإسلام ويبطل جميع الأديان التي سواه بالبراهين والدلائل– نحسن الظن به على ما هو اللائق للمسلم بالمسلم، ونؤول بعض أقواله ونحمله على محمل الحسن، ثم إنه لما أدعى النبوة والمسيحية، وأنكر رفع الله –تعالى– المسيح إلى السماء، وظهر لنا من خبث اعتقاده وزندقته؛ أفتى مشايخنا –رحمهم الله– بكفره.(٢)

المطلب الرابع: التبليغ والتصوف

تعريف التصوف

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزاعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزاعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية.(٣)

وأما موقف الجماعة من الصوفية والتصوف، فإن التصوف عند الجماعة كان من علومهم الخاصة، وميزهم الله به، وليس المراد به التصوف الادعائي، والذي يعرف بين الناس بأزياء مخصوصة وهيئات معينة، والذي باطله أكثر من حقه وصوابه، والذي هو عبارة عن أباطيل وخرافات، وإنما المراد به الثابت بالكتاب والسنة وما اعترف به الأئمة.

يقول الشيخ التهانوي: "إن حقيقة التصوف هي معرفة الكتاب والسنة، والجلي الظاهر والباطن بهما، وحصول الكمال في الورع والتقوى، أما الكشفيات،(٤) فهذه ليست من التصوف الإسلامي، فما كان منها لا يخالف نصوص الشريعة فهو مقبول وإلا مردود".(٥)

---

(١) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٢٦٨

(٢) السهارنفوري، خليل أحمد، عقائد علماء أهل السنة الديوبندية (المهند على المفند)، مكتبة مالك فهد، ط١ (١٤٢٧هـ)، ص٨٧

(٣) الجهني، مانع، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٢٤٩

(٤) الكشف عند الصوفية: هو أن يكشف الصوفي عن معان جديدة في القرآن والسنة والآثار فيما يعرف بعلم الحقيقة التي لا يعلمها علماء الشريعة أو علماء الظاهر، انظر: الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص١١٣

(٥) انظر: الاسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٦٥٨

ويقول الشيخ الكنكوهي في بيان حقيقة التصوف وآدابه: "علم الصوفية علم الدين ظاهراً أو باطناً، وقوة اليقين، وهو العلم الأعلى، حالهم إصلاح الأخلاق ودوام الافتقار إلى الله سبحانه".(١)

وأما موقف علماء الجماعة من جماعة الأولياء، ورجال التزكية والإحسان، فيرى علماء الجماعة حبهم وإكرامهم، ولكنهم يتبرؤون ويتفادون من الغلو في حبهم والوصول بهم إلى منزلة الربوبية، ويرون تقديرهم واحترامهم واجبين، ولكنهم لا يجعلونهما مرادفين لعبادتهم أو السجود لهم أو الطواف حول قبورهم، أو تقديم النذور والقرابين إلى أضرحتهم أو اتخاذها مساجد، ولا يعتقد علماء الجماعة أن هؤلاء الأولياء قادرون على دفع البلاء، وقضاء الحوائج، وشفاء الأمراض، وإعطاء الرزق، لكنهم يجيزون –علماء الجماعة– زيارة قبورهم للاتعاظ والاستفادة الدينية، ولكنهم لا يجيزون اتخاذها مساجد ومواضع للاحتفالات.(٢)

وموجز القول أن حب أولياء الله –تعالى–، حقيقة شرعية لدى علماء جماعة التبليغ والدعوة، ولكن الغلو في ذلك والتقيد بطقوس أو تقاليد، كل ذلك ترفضه علماء الجماعة رفضاً باتاً.

وأما موقف علماء جماعة التبليغ والدعوة من وحدة الوجود،(٣) فيقول الشيخ التهانوي: "إنما حقيقة وحدة الوجود هي أن يشاهد المرء ذاته –تعالى– بعد أن يفني ذاته ونفسه، لا أن يشاهد نفسه وذاته مفنياً ذاته –تعالى–، ووحدة الوجود هي أن يغيب وجود الممكنات عن بصر المرء لا أن يعتقد أنها –الممكنات– هي الإله المعبود".(٤)

ويشير التهانوي إلى مسألة وحدة الوجود على أنها ليست من مقاصد التصوف ولا من مقامات السلوك، ولذا لا يوجد ذكرها صراحة في كلام السلف، لا تحريراً ولا تقريراً، إنما كان يوجد عندهم بعض آثاره، إبهاماً وإجمالاً، حتى جاء الخلق فظهر فيهم عنوانه وذكره بعبارات مختلفة وتعبيرات شتى فوحدة الوجود إنما هي حالة وكيفية لما تعتريهم من الحالات والكيفيات، فالسادة الصوفية لما غلبت عليهم هذه المحبة، والاستحضار لمحبوبهم الوحيد، فإنهم لا ينظرون

---

(١) انظر: الاسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٦٥٨

(٢) القاسمي، محمد طيب، علماء ديوبند، مرجع سابق، ص٢١٥

(٣) وحدة الوجود قال بها غلاة الصوفية وهي تقوم على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر، فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي بين المخلوقات، فكل شيء هو الله واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات، انظر: الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص١١٣

(٤) انظر: الاسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٧٠٢

إلى وجود شيء سواه -تعالى-، ولا يظهر لهم وجود غيره، يأخذ بقلوبهم ويقبض عليها سلطان الحق، وتصوره بحيث يرون كل شيء سواه -تعالى- معدوماً غير موجود حتى ذواتهم أيضاً.[١]

وأما إيمان الجماعة بوحدة الوجود، فيقول الكشميري: "أما كون وحدة الوجود من باب العقائد التي يجب الإيمان بها، فذلك جهل؛ لأن غاية ما في الباب أنه شيء ثبت من مكاشفات الأولياء فقد ثبت خلافه أيضاً، وإنما الأحق بالإيمان هو الوحي المنزل لا غير".[٢]

موقف الجماعة من البيعة

وأما موقف الجماعة من البيعة فإنهم يقولون أن البيعة والمبايعة لها حقيقة ولها صورة، فالحقيقة عقد بين المرشد والمسترشد، فمن المرشد للتعليم ومن المسترشد للأتباع. فلو كان بينهما علاقة النبوة والأمة فهذا العقد من النبي للتبليغ، ومن الأمة للإيمان، حاصلة التزام جميع أحكام الإسلام، وهذا القدر كاف في تحقيق هذا، وعليه يحمل قول من قال -لو صح وثبت-" من لا شيخ له فشيخه الشيطان.

ثم بعد هذه البيعة بيعة الإيمان، إذا بويع على يد آخر لأمر من الأمور، فذلك تجديد لهذا العقد والعهد، كما في حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ -وحوله عصابة من أصحابه- "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وان شاء عاقبه". فبايعناه على ذلك.[٣]

فإن كان المرشد والمسترشد كلاهما من الأمة -كما هو الحال بعد زمن النبوة- فالعقد بينهما هو البيعة التي تعرف الآن بالمشيخة والإرادة، وهذه البيعة أيضاً مثل الصورة الثانية المذكورة (أعلاه) تقوية للعهد الإسلامي والإيماني للسنة التي ذكرناها بعنوان تجديد العهد.

وهذه البيعة لا دليل على كونها فرضاً أو واجباً أو سنة مؤكدة، إلا أنها ثبتت وصحت من حضرة النبوة فهي مستحبة، ومن قال أنها فرض أو واجب، استدلالاً بقوله -تعالى-: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾،[٤] فذلك قول بلا دليل وتفسير بالرأي، والصحيح تفسيره بـــ: "وابتغوا إليه القرب بالطاعات". وأيضاً لا يقال إنها سنة مؤكدة، لأنه لم يثبت منه ﷺ المداومة على هذه

(١) انظر: الاسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٧٠٢
(٢) الكشميري، أنور شاه، فيض الباري، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢
(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، وصحيح مسلم الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.
(٤) سورة المائدة الآية ٣٥

البيعة (التي قيل فيها أنها تجديد) وقد كان في زمنه ﷺ ألوف من المسلمين ولم يبايعوه بهذه البيعة الخاصة.

هذا الكلام في بيان حقيقة هذه البيعة، وأما الصورة والمراد بها وضع يد أحدهما على يد الآخر أو الأخذ بالثوب ونحوه، فهذا من المباح وليس بدرجة من درجات المأمور به حتى لا يحكم عليه بأنه مستحب، وذلك لأن ما روي في ذلك عن النبي ﷺ فكان من قبيل العادة لا من جهة العبادة والدين، فإن العرب كانت عادتهم كذلك عند عقد من العقود بينهم أو معاهدة.

والجملة في هذه البيعة التي اعتادها الصلحاء أنها لا تفوق المستحب باعتبار حقيقتها، وهيئتها الخاصة لا تفوق المباح، فالإفراط بدرجتها ومرتبتها علماً أو عملاً، بأن يقال أنها شرط النجاة أو يلام تاركها، كل ذلك غلو في الدين واعتداء من حدوده، فلو أن أحداً لم يبايع شيخاً طيلة عمره على طريق هذا القوم وعرفهم، واهتم بالدين والعمل به مع الصدق والإخلاص بعد أن يحصل له معرفة بالدين تعلماً أو سؤالاً واستفساراً من العلماء، فذلك ناج ومقبول ومقرب بإذن الله –تعالى–.[١]

وجماعة التبليغ والدعوة لا يعتبرون البيعة أصلاً من أصول الدعوة، فلا يدعون الناس لها لا صراحة ولا إشارة، ولكنهم يقرون منها ما يوافق الربانية التي عبر عنها القرآن الكريم والحديث الشريف بالتزكية والإحسان، وما يخالف ذلك فإننا نعتبره بدعة وضلالة ولا علاقة له بالإسلام ولا علاقة للجماعة به، وإنما كما هو معلوم أن البيعة في الطرق الصوفية رائجة ومنتشرة في شبه القارة الهندية، والواقع أن الجماعة إن لم يبايعوا الناس المقبلين إليهم والذين التزموا معهم، فإنهم حتماً سيبايعون المنحرفين والمبتدعين من المتصوفة المغالين، وعند المبايعة فإن الجماعة لا تبايع إلا على طريقة رسول الله ﷺ.[٢]

المبحث الثالث: موقف المدارس والفرق والملل والنحل الأخرى من جماعة التبليغ والدعوة

موقف المدارس الإسلامية من الجماعة

اختلف علماء السلفية في جماعة التبليغ والدعوة بين مؤيد ومعارض، فأما المؤيدون فيرون أن منهج جماعة التبليغ والدعوة هو منهج صحيح، وأن عقيدتهم هي عقيدة أهل السنة ومن هؤلاء العلماء الشيخ ابن باز إذ قال: "إن جماعة التبليغ والدعوة قد عرفناهم من دهر طويل

(١) الاسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص٦٥٢
(٢) انظر: مصطفى، محمود عبدالكريم، هذه دعوتنا، المكتبة الوطنية، ط١، (٢٠٠٩م)، ص١٦٦

واجتمعنا بهم غير مرة في مكة والمدينة والرياض، وَسَرّنا ما سمعنا منهم؛ من النصح لله ولعباده، ودعوة الناس إلى الخير، وإيثار الآخرة وعدم الركون إلى الدنيا، والانشغال بها، عما أوجب الله عليهم من الحق، وقد سبقنا إلى تزكيتهم سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي ديار السعودية ورئيس القضاء في زمنه رحمه الله، فيما كتب به إلى علماء الإحساء والمقاطعة الشرقية مع رئيس جماعة التبليغ والدعوة بالمدينة الشيخ سعيد أحمد خان(١) وجماعة من المرافقين له وأوصاهم فيها بهم خيراً، وذكر أن مهمتهم العظة في المساجد والإرشاد والحث على العمل بالكتاب، مع التحذير من البدع والخرافات من عبادة القبور ودعاء الأموات وغير ذلك من البدع والمنكرات".(٢)

وفي هذا النص تأييد من الشيخ للجماعة على أنها تقدم النصح لعامة الناس، وتحمل أعباء الدعوة الإسلامية لنشرها في العالم، وللشيخ فتاوى كثيرة يجيب فيها عن أسئلة الذين يسألون عن جماعة التبليغ والدعوة والخروج معهم، وإجابات الشيخ تكون واضحة جلية بمدحه لهذه الجماعة، وحث الناس للخروج معهم لمدد مختلفة.(٣)

وأما موقف الشيخ ابن عثيمين، فيتبين مدحه لها من خلال فتاويه، فعندما سُئِل عن رأيه في جماعة التبليغ والدعوة قال: "إن الذي يظهر لي من حال الجماعة هو الميل إلى الانقطاع للعبادة، والزهد في الدنيا، وأن تكون صلة العبد بربه دائماً، وهذا أمر محمود بلا شك، قال الله – تعالى–: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً{٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{٤٢}**﴾،(٤) ولا أحد يشك فيما لهؤلاء القوم من التأثير في الدعوة، فكم من ضال هداه الله على أيديهم، وكم من فاسق وفقه الله –تعالى– للطاعة بدعوتهم، لأن لهم أسلوباً رقيقاً وعاطفة لينة".(٥)

وكان الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى– يوجه جماعة التبليغ والدعوة، وينصحهم ويرشدهم إلى الخير، فقال: "لكن عند القوم شيء من الطرق(٦) تحتاج إلى تمحيص وتحرير لتكون على وجه سليم تزول به الشبهة وتندفع به الحجة".(٧)

---

(١) هو الشيخ سعيد أحمد خان رحمه الله تعالى من علماء الدعوة المشهود لهم بالخير والفضل والعلم والصلاح، بعثه الشيخ محمد إلياس رحمه الله ليقوم بالدعوة في الحرمين الشريفين فقام بذلك ما يزيد على أربعين سنة
(٢) انظر: شقرة، محمد إبراهيم، فتاوى علماء في الجماعات الإسلامية، لا يوجد دار نشر، (١٤٣٠هـ)، ص٦٢
(٣) المصدر السابق، ص٥٠
(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٢، ٤٣
(٥) شقرة، محمد إبراهيم، فتاوى علماء في الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص١٤٢
(٦) أي الطرق الدعوية كالخروج في سبيل الله والجولات والدعاء الجماعي قبلها وغير ذلك
(٧) شقرة، محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص١٤٣

وأما المعارضون فمنهم: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ عبيد بن عبدالله الجابري المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

فهؤلاء يصفون جماعة التبليغ والدعوة أنها صوفية عصرية لا تقوم على كتاب الله – تعالى–، ولا على سنة رسول الله ﷺ، وأن خروجهم في سبيل الله –تعالى– الذي يحددونه بثلاثة أيام أو بأربعين يوماً لم يكن من فعل السلف، ويشككون بعقيدة الجماعة،[١] وكل هذه الشبهات سأناقشها في الفصل الأخير.

موقف الهندوسية والفرق والطوائف

إن موقف الهندوسية من جماعة التبليغ والدعوة، هو العداء لأنه لما قام دعاة التنصير وأقاموا أسواقهم في أنحاء البلاد الهندية، طمعت جماعة من الهنادكة – وهم من غلاتهم – في رد المسلمين عن دينهم، فوقفوا ضد الإسلام، وتحدوا أهل الإيمان، اقتداء بالنصارى حذو النعل بالنعل.

وأما جماعة إنكار الحديث فيعتبرون أن جماعة التبليغ والدعوة من الفرق الضالة عندهم؛ لأنهم لم يتبعوا في آرائهم إنكارهم لحجية الحديث وأخذهم بالقرآن فقط.

وأما موقف القاديانية فهم يكفرون جماعة التبليغ والدعوة، لأن الجماعة لم تعتقد بعقائدهم الباطلة وأشهرها إدعاء نبوة غلام أحمد.

لما كانت أتباع الديانات الوضعية والفرق والطوائف الضالة مخالفة للإسلام ومعادية لكل من يلتزم به فمن المتوقع أن يكونوا معادين ومخالفين لجماعة التبليغ والدعوة، حيث أنها تدعو للإسلام وتنقض كل ما ينافيه.[٢]

(١) انظر الحاشري، فيصل بن عبده، الخطاب البليغ في جماعة التبليغ، دار الإيمان (٢٠٠٥م) ص٧٨، وانظر: العريني، محمد بن ناصر، كشف الستار عما تحمل بعض الدعوات من أخطار، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٥ (١٤٢٦هـ) ص٥٤

(٢) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم، مرجع سابق، ص٢٣٢

الفصل الثاني: جماعة التبليغ والدعوة في الأردن

في الحقيقة لا يوجد موقف واضح من جماعة التبليغ للجماعات والحركات الإسلامية، وعندما تسأل الجماعة عن ذلك فيقولون: "أننا لا نذم أي جماعة إسلامية ولا نمدحها وإنما نتوقف فيها"، إلا أن موقف جماعة التبليغ والدعوة من هذه الجماعات قد يبان من خلال عملها الدعوي الميداني، ومن هنا استطيع أن أبين موقفها من الجماعات وأبرز إيجابيات كل جماعة وأهم المآخذ عليها.

المبحث الأول: دخول الحركة إلى الأردن

جاءت جماعة من باكستان إلى الأردن في عام ١٩٦٤م، وبعد انتهاء الصلاة، طلبوا من المصلين الموجودين في المسجد الخروج في سبيل الله، فاستجاب لهم بعضهم وخرجوا معهم إلى المساجد المجاورة، ثم إلى مدن وقرى المملكة الأردنية الهاشمية، وتأثروا بهم.

ثم بعد رجوع الجماعة الباكستانية إلى باكستان، بدأ هؤلاء الأفراد الأردنيون بالدعوة والعمل كما ووعوه وعيا تاما وحقيقيا. ثم أصبح لهذه الجماعة أمير عام في الأردن، وأمراء في كل مدينة، وبدؤوا يخرجون في جماعات يجوبون أنحاء الأردن ثم خرجوا بعد ذلك إلى جميع أقطار الدنيا.(١)

المبحث الثاني: العمل الدعوي للجماعة في الأردن

أولا: العمل الجماعي

إن نشاط جماعة التبليغ يتم عن طريق العمل الجماعي، حيث يقوم بعض الأفراد بالالتقاء في مسجد من مساجد الله، وينتخبون منهم أميرا يكون مسؤولاً عن راحة جماعته الذين يطيعون أوامره ما لم يأمرهم بمعصية، ثم يقومون بجولة على الأقل مرتين في الأسبوع قبل إحدى الصلوات، يتصلون في هذه الجولة بالمسلمين، ويدعونهم ليجتمعوا وليستمعوا إليهم، ويوجهونهم إلى نفس الطريقة.

---

(١) عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية الميداني خلال القرن العشرين، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٢٧٩

ثانيا: الخروج في سبيل الله تعالى

يخرج كل فرد على حسابه الخاص، عازما أن يكون كامل الأدب مع الله ورسوله وفي نفسه ومع جميع الخلق، متفانيا في الصدق والصفاء وفي المحافظة على السنة النبوية، مهتما بذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم. وفي فترة الخروج المطلوب من الأفراد أن يحافظوا على أوقاتهم بدقة وشدة، فلا يبذلوا لمحة في ما لا يعنيهم ولعتموا بأربعة أمور هي:

أ- **الدعوة الخاصة:** وطريقتها أن يرسل بعض الأفراد في جولة خاصة، ليصلوا بأعيان الحارة أو البلد ويشرحوا لهم الدعوة بأدب واحترام، ويطلبوا إليهم المساندة والحضور إلى المجلس.

ب- **الدعوة العامة:** وطريقتها أن يوجه البعض في جولة عامة يتصلون فيها بعامة الشعب المسلم في الأسواق والحارات ويدعونهم بأدب ولطف إلى الحضور والاستماع. والأفضل أن يكون الاجتماع بالعموم في المسجد، فإذا اجتمع الناس توجه إليهم الدعوة، ويطلب منهم برفق وإلحاح أن يفرغوا من مشاغلهم، وأن ينضموا إليهم وقتا قصيرا، كل بحسب جهده وماله ووقت فراغه، فإذا استعد البعض منهم، يبقى مع أفراد الجماعة بقية الليل في المسجد، وفي الصباح يتكلم أحد القدماء في الخارجين بما يسمى في اصطلاحهم "هدايات" وتعني: التوجيه إلى إخلاص النية في خروجهم لله سبحانه وتعالى، والتقيد بآداب الدعوة، وأدب السفر، وآداب الإقامة في المساجد. ثم ينقسم المجموعة إلى جماعات صغيرة، وتجتمع كل جماعة بأميرها، يوصيهم ويرشدهم ويجمع نفقتهم، ويعين اثنين منهم لتحضير وسائل السفر. وتبدأ أعمال الخروج فور ركوبهم وسيلة السفر بقراءة القران والحديث...وبعد وصولهم المسجد وأداء تحيته يجتمعون للشورى حول ترتيب عملهم وتوزيعه خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة على الوظائف التالية:

- إعداد الطعام ويقوم به اثنان منهم أو ثلاثة.
- زيارة إمام المسجد ومركز الشرطة والمهمين من أهل الحي.
- إمارة حلقة التعليم
- التعريف بالجماعة بعد صلاة الظهر.
- درس العصر.
- التذكير بآداب الجولة.
- درس المغرب.
- درس العشاء.
- التذكير بآداب الطعام وآداب النوم.
- مذاكرة الفجر.

جـ- التعليم: وطريقته أن يجلس الأفراد بأدب واحترام يوميا لمذاكرة الأحاديث والآيات المشوقة لإقامة العبادات والتخلق بالأخلاق الفاضلة، فيقرا واحد منهم أحاديث الفضائل، ويستمع الحضور إليه بأدب واحترام لائقين بكلام الرسول ﷺ، ثم يصرف بعض الوقت في تلاوة القرآن الكريم وفي مذاكرة الأدعية المأثورة كي يتعلم من لا يعلمها. وبالإضافة إلى ذلك يحاول كل فرد أن يؤدي الصلوات المفروضة والنافلة بخشوع وخضوع أكثر فأكثر.

د- أن يظهر كل فرد من نفسه نموذجا كاملا من الخلق الحسن ومثالا تاما للإيثار نحو زملائه. فيبقى دائما مستعدا لخدمة الآخرين بدون الطمع في المبادلة، ويقومون بالإعمال الضرورية مثل شراء الحوائج، وإعداد الطعام، وغسل الأواني بالتناوب.

ثالثا: الأعمال الدعوية للجماعة

اعتكاف ليلة في الأسبوع، وخروج ثلاثة أيام في الشهر إلى بلد أخر ودعوة أهلها لي الخروج في سبيل الله، وزيارات خاصة للجيران والأقارب وغير الأقارب، وخروج في العمر ولو مرة واحدة إلى الهند والباكستان لمدة أربعة أشهر، وزيارات للحكام الإداريين وغير الإداريين وأصحاب المصانع والمزارع والمدارس والمعاهد والجامعات والتجار، وإعطاء دروس للنساء في جميع الأحياء من وراء ستار في الفقه والفضائل والطلب منهن تشجيع الأبناء والأزواج على الخروج في سبيل الله، وبناء مسجد في كل مدينة أو منطقة يكون مركزا لهم ولدعوتهم وكثيرا ما يسمونه مسجد النور، ويدعون الناس إليه والى الصلاة فيه، والى حضور حلقاته والمبيت فيه.

مما تقدم نلاحظ أن نشاط جماعة التبليغ يعتمد على الزيارات البيتية للأقارب والجيران، والزيارات الجماعية للأحياء، وأماكن تجمعات الناس ودعوتهم إلى تعاليم الإسلام، والإكثار من الحديث عن حياة الصحابة رضوان الله عليهم في دروسهم ومحاضراتهم، واستعمال أسلوب الترغيب في العمل مع الجماعة، ثم تخصيص ساعة في الأسبوع، أو يوم في الشهر، أو شهر في السنة للدعوة إلى الإسلام في سائر أنحاء العالم.[١]

---

(١) عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٨٠

المبحث الثالث: أثر الجماعة على المجتمع الأردني

أولا: أثرها الفكري

إن من فضل الله تعالى على الأمة الإسلامية أن تكفل لها بحفظ قرانها ودينها فقال جل ثنائه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(١) وذلك بأن هيأ لها رجالا صالحين بذلوا جهدهم لدراسة هذا الدين وتحملوا أعباء هذه الدعوة وبذلوا كل نفيس في سبيل حملها وتبليغها يرفعون بذلك كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في زمان كثر فيه الانحراف عن المبدأ القويم الذي أراده الله لعباده ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾(٢) ونقضوا عن هذا الدين غبار الجهل والضلالات وأنكروا على أهل البدع والخرافات والأفكار المشوهة، ودافعوا عن السنة دفاعاً قوياً، وردوا على العقائد الباطلة وحاربوا الترف والإسراف، ونفخوا في الإسلام روحاً جديدة. وخلقوا في المسلمين إيماناً جديدا وثقة جديدة، أنهم بحق بذلوا هذا الجهد الكبير الشاق لإحياء هذه الأمة من جديدة. (٣)

ثانيا: أثرها العلمي

لقد تفكر الدعاة في جماعة التبليغ والدعوة، في كيفية تحمل طلاب الجامعات مسؤوليتهم، فهذه الفئة المتعلمة في المجتمع ينبغي أن تنتشر الدعوة بينهم بأن تتكون الجولة الأولى المقامية داخل سكناهم وتكون الجولة الثانية إما في حي من الأحياء أو في دار الإقامة الثانية. وكذلك جماعات الأحياء المجاورة في دور الإقامة تقوم الجولات داخل دار الإقامة، وعلى الطلاب العاملين أن يهتموا بالتعليم اليومي وبالخروج ثلاثة أيام بالشهر، وأربعين يوماً في العطلة الصيفية بترتيب خاص يتناسب مع وقتهم.

وقد أنشئت جماعة التبليغ في الأردن عددا من المدارس التعليمية التابعة لها ومن أشهرها مدرسة الشيخ فواز في منطقة سحاب، ومدارس الشيخ أبو الواكد في منطقة الرصيفة، إلا أن هذه المدارس غير مشهورة كثيراً بسبب التحفظات الأمنية.(٤)

---

(١) سورة الحجر الآية ٩

(٢) سورة المائدة الآية ٣

(٣) فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة، مرجع سابق، ص٢٨٤

(٤) انظر: اسكندر، عبدالرازق، منهج الدعوة لجماعة التبليغ، مرجع سابق، ص٧٢

المبحث الرابع: موقف الجماعة من الجماعات الإسلامية الأخرى

المطلب الأول: الإخوان المسلمون

أسسها الشيخ حسن أحمد عبدالرحمن البنا والذي ولد بمصر في الرابع عشر من تشرين أول سنة ١٩٠٦م. نشأ الشيخ البنا في بيت عريق في العلم والدين، فقد قام والده أحمد عبدالرحمن البنا بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل على أبواب الفقه، تخرج من دار العلوم وعمل مدرسا في مدينة الإسماعيلية بدأ نشاطه الديني بين الناس، فأسس النواة الأولى من الإخوان، في نيسان عام (١٣٢٧هـ/١٩٢٨م) نقل حركته إلى القاهرة عام ١٩٣٨م، ثم أصدر جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية ثم النذير ١٩٣٨م ثم الشهاب ثم توالى صدور المجلات والجرائد للإخوان.(١)

نشأتها وأهدافها

بدأ حسن البنا دعوته في المساجد لدى إقامته في الإسماعيلية عام ١٩٢٨م، وكان يدعو الناس إلى العودة للإسلام، إلا أنه لم يقتصر عليها إذ كانت المساجد مسرحاً للخصومات المذهبية وللنزاع بدلاً أن تكون المكان الذي يتوحد في المسلمون. فاتجه بالدعوة للناس في المقاهي التي تزخر بهم، فتأثر كثيرون بدروسه ولقاءاته، فكان أن حضر إليه ستة رجال هم: حافظ عبدالحميد، أحمد الحصري، فؤاد إبراهيم، عبدالرحمن حسب الله، إسماعيل عز، زكي المغربي، وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التي ألقاها حسن البنا، وهكذا بدأت جماعة الإخوان المسلمين من هؤلاء الستة، حول هذه الفكرة، على هذه الصورة وبهذه التسمية وذلك في ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ، واستطاع حسن البنا خلال إقامته في الإسماعيلية حتى عام ١٩٣٢م تأسيس معهدين إسلاميين (معهد حراء للبنين) و(مدرسة أمهات المؤمنين للبنات)، وأن يجمع اكتتاباً لمشروع بناء مسجد ومدرسة ودار للإخوان المسلمين. وبعد ازدياد نشاطه في الإسماعيلية نقلته السلطات المصرية إلى القاهرة فقرر حسن البنا اعتبار القاهرة (المركز العام للإخوان المسلمين).(٢)

وفي عام ١٩٤١ تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة كانت مؤلفة من مائة عضو اختارهم الأستاذ البنا بنفسه، وشارك الإخوان في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ضمن قوات خاصة بهم، استشهد البنا في القاهرة أمام دار الشبان المسلمين في التاسع عشر من شباط عام ١٩٤٩ بعد

---

(١) انظر: عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٩٦

(٢) المصدر السابق، ص٣٧١

إطلاق الرصاص عليه عام ١٩٥٠م. وواصل الإخوان جهادهم، واختاروا الأستاذ حسن الهضيبي مرشداً للإخوان ثم بعد قيام حكومة الثورة في مصر سنة ١٩٥٤م اعتقلت حكومة عبدالناصر الإخوان وشرد الآلاف منهم وتكرر الصدام مرة أخرى عام ١٩٦٥-١٩٦٦، وأعدم سيد قطب رحمه الله (١٩٠٦-١٩٦٦م) (١٣٢٤-١٣٨٧هـ) الذي كان يعد -رحمه الله- المفكر الثاني في الجماعة بعد البنا، حيث أمضى في السجن عشر سنوات كانت نهايته القتل على أيدي المجرمين.(١)

وتأسست جماعة الإخوان المسلمين في الأردن عام ١٣٦٤هـ الموافق للتاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٥م، وأول من ترأس هذه الجماعة هو الشيخ عبداللطيف أبو قورة، الذي قاد كتيبة الإخوان المسلمين في الأردن إلى أرض فلسطين لقتال اليهود عام ١٩٤٨م. وبعد ذلك وبتاريخ ١٩٥٣/١٢/٢٦م انتخبت جماعة الإخوان المسلمين الأستاذ محمد عبدالرحمن خليفة المولود في السلط سنة ١٩١٩ مراقباً عاماً لها، وهو يحمل ثلاث شهادات علمية في الحقوق والزراعة والتربية.(٢)

وأما أهداف الجماعة فيقول الأستاذ حسن البنا: "نحن نعلم تماما ماذا نريد، ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة: نريد أولا الرجل المسلم، ثم بعد ذلك البيت المسلم، ثم الشعب المسلم، وأخيراً نريد بعد ذلك الحكومة المسلة، ونحن لا نعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام، ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خفاقة على البقاع التي كانت يوماً ما تحت حكم الإسلام".(٣)

موقف جماعة الدعوة من الإخوان المسلمين

تعتقد جماعة التبليغ والدعوة أن للإخوان المسلمين دوراً بارزاً في إصلاح الفرد فقد لاحظ الإخوان أن إيمان الفرد المسلم ضعيف، وأثر ذلك الضعف على تمسكه بدينه وتصرفه مع غيره، وسوء عشرته حتى لأخص أقربائه. وقد كان للأثر السلبي للحضارة الغربية على الإنسان المسلم في العالم العربي والإسلامي، وحب الدنيا ولذاتها التأثير البين على سوء حالته، ولذلك

---

(١) انظر: أمين، صادق، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، عمان، جمعية العمال المطابع التعاونية، ١٩٧٨م، ص١٠٧

(٢) عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية الميداني خلال القرن العشرين، مرجع سابق، ص٣٨٢

(٣) البنا، حسن، مجموعة رسائل حسن البنا، المؤسسة الإسلامية، ط٣، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٨٥

توجه الإخوان المسلمون لإصلاح الفرد وتطهير عقيدته من الزيغ والفساد، وتغذية روحه بالإيمان وجسده بما احل الله ﷻ.[١]

وبذلك أخذ حسن البنا على الشباب لإصلاح أنفسهم أن يقوموا بما يأتي:

- قراءة جزء من القران كل يوم، وختمه بما لا يزيد عن شهر ولا يقل عن ثلاثة أيام.
- التدبر فيما يقرا من حديث رسول الله ﷺ، ومن كتب السيرة، وحفظ أربعين حديثاً في العقائد وفي فروع الفقه، ولتكن الأربعين النووية.
- المحافظة على الصحة والتأكد من خلو الجسم من المرض.
- صدق الكلمة وتجنب الكذب.
- الوفاء بالعهد والكلمة والوعد.
- الشجاعة والصبر والتحمل.
- مزاولة العمل الحر مهما كان ضئيلا ليكون رديفا اقتصاديا.
- الابتعاد عن الربا في جميع المعاملات.[٢]

ومع هذا فان جماعة الدعوة ترى أن هناك بعض السلبيات على جماعة الإخوان المسلمين من حيث الجانب الدعوى ومن هذه الأمور:

١- أن بعض المنتمين إلى هذه الجماعة يحظون بمراكز أو منافع، قد يكونون غير مؤهلين لذلك المنصب، أو غير مستحقين لذلك المال، وقد يتغاضى عن زلات مثل هذا الفرد لكونه منتسباً للجماعة. والأصل أن المسلم العامل لدين الله لا ينتظر مالا أو مركزا بل ينفق من ماله في دعوة غيره وأجره على الله.

٢- قد يخترق نظام الأسر والكتائب بأفراد ليسوا مؤتمنين على الجماعة وأسرارها، ويكون مثل هذا الاختراق عند غيرهم كذلك، فهم في الحقيقة يجتهدون في الدعوة، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله.

المطلب الثاني: السلفية

وقد مر سابقا التعريف بالسلفية في المبحث الأول من الفصل الثاني.

وأما موقف الجماعة من السلفية فتعتقد الجماعة أن للدعوة السلفية مزايا جيدة ممكن الاستفادة منها إلا أن هناك بعض المآخذ عليها فمن مزاياها أن للسلفية أثر إيجابي لدى الشباب

---

(١) فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة في فلسطين، مرجع سابق، ص٧٨
(٢) انظر: عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٤١٨

المسلم، في البحث عن الحق الواضح لطلب الدليل على الحكم من مصادره وتنقية العقيدة من أكدار الشرك، وإحياء عقيدة السلف بعيداً عن المذهبية الضيقة، ورفض فكرة لا دينية الدولة.[١] وعملت على تخريج الأحاديث، حيث قدم الشيخ الألباني خدمات طيبة في هذا المجال منها سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة، وصفة صلاة النبي ﷺ وغير ذلك. وحاربت الخرافات والأوهام والتمسح بالقبور الذي لا يزال سائدا في المجتمعات الإسلامية نتيجة الجهل والاستعمار الغربي الحديث الذي ساعد على ذلك، ولم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سائدا عند المتعلمين، كما أبطل السلفيون ما كانت عليه العادة من قيام أربع جماعات حسب المذاهب الأربعة عند كل صلاة يصلي إمام على مذهب في الناس جماعة، ثم يأتي انتهاء الجماعة جماعة أخرى وهكذا. فأمر الإمام سعود بن عبدالعزيز عند دخوله مكة عام ١٨٠٤م بإبطال تلك العادة وألا يصلي في الناس في المسجد إلا إمام واحد.[٢]

ودعا السلفيون إلى ترك التعصب للمذاهب الفقهية ونصها في القران والسنة بحيث يكون الرجوع إليها عند التنازع أو عند إرادة استنباط أحكام جديدة، ولا حرج من الرجوع إلى أقوال الفقهاء مما لا نص في الكتاب والسنة. ومن مزايا الدعوة السلفية فتح باب الاجتهاد، حيث قالوا أن تدوين الفروع الفقهية في كل مذهب من مذاهب الأربعة، والاقتداء بها سواء كان موفقا للسنة أم لا يجعل المسلمين مقلدين حيث يؤدي ذلك إلى التعصب علاوة على الجمود على الرأي، لذلك دعوا إلى فتح باب الاجتهاد وقالوا لا يجوز التقليد للجاهل بل هو واجب على كل مسلم البحث عن الدليل وهذا ميسور. كما قالوا بجواز التقليد للجاهل بل هو واجب عليه بشرط إلا يلتزم مذهبا بعينه، وان يترك تقيده في أي مسالة ثبت خطاها أو مخالفتها للكتاب والسنة. وبين المجتهد والمقلد مرتبة وسطى هي الأتباع، وصاحبها كل مسلم لديه قدرة مناسبة للفهم. فعليه أن يتبع أقوال العلماء المقرونة بالأدلة.[٣]

ولا تكتفي السلفية بالنشاط العلمي فقط في هذا الزمان، وإنما يسير علماؤها مجددين فكر شيخ الإسلام أحمد بن تتمية الذي كان عالماً ومجاهداً، حارب التتار بالكلمة والخطبة وبالسيف، ونهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب مجدد الفكر السلفي منهج ابن تيمية رحمهما الله تعالى. وما نسمعه من مضايقات وتنكيل لعلماء السلف والعاملين في حقل الدعوة إلى الله في أرض الجزيرة

(١) حلمي، مصطفى، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، دار الدعوة، ط١، (١٤١١هـ)، ص١٨٨
(٢) فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة، مرجع سابق، ص٧٨
(٣) عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٢٠

العربية وغيرها لهو دليل على أن السلفية تدعو إلى الجهاد لا كما يقول عنها أعداؤها يسيرون سيرة السلف الصالح في ذلك ويرقون سبيل ذلك العنت والقتل.(١)

وأما المآخذ عليها فيذكرها عيسى فنون في رسالته بقوله:

١- إثارة الخصومات العلمية القديمة، وذلك بالاشتغال في فقه الفروع، مما أدى إلى الخصومات بينهم وبين المسلمين، ويرون كذلك أن الحق معهم وحدهم، رأيهم صائب لا يقبل الخطأ ورأي غيرهم خطأ لا يقبل الصواب.(٢)

٢- توسعوا في معنى البدعة:(٣) فادخلوا البدعة في أمور لا صلة لها بالعبادات، مع أن البدع على التحقيق هي الأمور التي يفعلها العباد على أنها من العبادات، ويتقربون بها إلى الله تعالى ولا يجيء بها أصل ديني.(٤)

٣- عدم التنظيم: يرى السلفيون أن نهجهم لا يدعو إلى التحزب، بل أنهم يرفضون الحزبية، وأن وظيفتهم في المجتمع نشر ما عندهم من معلومات عن عقيدة السلف مع أن نشر الدعوة الإسلامية وإقامة المجتمع الإسلامي، يقتضي وجود جماعة لها أهداف محددة تسعى لتحقيقها ضمن حدود الشريعة الإسلامية. فالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يأمرانا بالتزام الجماعة والحرص على طاعة الأمير ما لم يأمر بالمعصية، فالدعوة تحتاج إلى جهد ومشقة وتضحية أحيانا بالمال والنفس، قال الله تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**.(٥)

ومن هذا كله فإن جماعة التبليغ والدعوة تعتبر أن الدعوة السلفية أسهمت في بيان ما علق من أحاديث الرسول ﷺ من ضعف ووضع، حتى اختلط على أهل العلم فلم يميزوا بين صحيحها وضعيفها، وكذلك حثت الناس على الالتزام بسيرة السلف الصالح وعدم تأويل الصفات. حبذا لو أنهم يقومون بدعوة أوساط المسلمين في أماكن تواجدهم فيتحركون عليهم بالزيارة من أجل ذلك ويأخذون بأيديهم إلى العودة الصادقة إلى الله تعالى، ويتابعون ذلك ولا يكتفون بإلقاء موعظة أو درساً ينجذب الإنسان إليه فترة مؤقتة.(٦)

---

(١) فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة، مرجع سابق، ص٧٩

(٢) المصدر السابق، ص٨٠

(٣) أصل مادة "بدع" للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى **﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق.

(٤) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر، بيروت، ج١، ص١٩٠

(٥) سورة المائدة، الآية ٢

(٦) فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة، مرجع سابق، ص٨١

المطلب الثالث: حزب التحرير

التعريف بحزب التحرير

حزب التحرير هو حزب سياسي مبدؤه الإسلام والسياسة عمله. تقوم دعوته على وجوب إعادة الخلافة الإسلامية، ويقوم على الفكرة الإسلامية التي تتجسد في مجموعة أفـراده، والتـي يدعو الأمة إليها لتعمل بها. [١]

التأسيس

مؤسس حزب التحرير هو الشيخ تقي الدين النبهاني -رحمه الله- (١٩٠٩-١٩٧٩م) من قرية اجزم قضاء "حيفا" درس في الأزهر ودار العلوم بالقاهرة، ثم رجع إلـى فلـسطين عمـل مدرسا ثم قاضيا في مدنها ثم عين عضوا في محكمة الاستئناف الشرعية بعد عام (١٩٤٨) وفي عام (١٩٥٢م) أسس هذا الحزب، وتفرغ للدراسة وإصدار الكتب والنـشرات التـي تعـد فـي مجموعها المنهل الثقافي الرئيس للحزب. تنقل بين الأردن وسوريا ولبنان، وكانـت وفاتـه فـي بيروت. ترك عددا من الكتب والمؤلفات مثل "نظام الإسلام" والشخـصية الإسـلامية (ج١-٣) وصلت مؤلفاته إلى ستة عشر مؤلفا، وبعد وفاته عين عبدالقديم زلوم رئيساً للحزب، وهـو مـن مواليد الخليل في فلسطين، وله كتاب "هكذا هدمت الخلافة" وممن ترأس الحزب الـشيخ أحمـد الداعور من مواليد قلقيلية، وكان مسؤولاً عن فرع الحزب في الأردن. ولهذا الحزب فروع فـي بعض دول العالم العربي والإسلامي مثل : لبنان، والعراق، وسوريا، ومصر، وتركيا.[٢]

موقف جماعة التبليغ من حزب التحرير

إن من إيجابيات حزب التحرير المطالبة بإقامة الدولة الإسلامية، التي يناط بهـا تنفيـذ جميع الأحكام التي تتعلق بتنظيم العلاقات بين البشر، وكذلك نشر العديد من الكتـب والمجـلات والنشرات الفكرية من حين لأخر التي استفاد منها جمهور الناس فكريا وثقافيا، كمجلـة الـوعي التي تصدر من بيروت. ولهم دور لا ينسى في محاربتهم للمذاهب الإلحادية الشيوعية والماديـة والرأسمالية. وتشهد لهم المجالس بمناقشة خصوم المسلمين من أصحاب الأفكار المناوئة.[٣]

---

(١) انظر: النبهاني، تقي الدين، التكتل الحزبي، ط٤، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٣-٥

(٢) انظر: الجهني، جهاد، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٢٤١، وانظر: عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٢٩

(٣) فنون، عيسى، جماعة التبليغ والدعوة، مرجع سابق، ص٩٠

وأما ما يؤخذ عليهم:

١- الفكر يؤدي إلى ضعف الأمة وزوال سلطانها، ولهذا دعا إلى ثورة فكرية سياسية، وأهمل الجانب الروحي علما أن الإنسان مكون من مادة وروح وليس من مادة فقط،[١] قال تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[٢]

٢- أخطأ حزب التحرير عندما اعتقد أن إعادة الخلافة الإسلامية أو إقامة الدولة الإسلامية لا يحتاج إلى أكثر من تثقيف أعضائه بثقافة الحزب، ثم يحدث تفاعل بين هؤلاء الأعضاء وأفراد المجتمع الذي يعيشون فيه. مما يؤدي إلى حدوث انقلاب فكري شامل في المجتمع، أي يتغير المجتمع كله، ويتغير الحكم والنظام.

وهذا اعتقاد خاطئ بعيد التصور الإسلامي للأسباب التالية وهو يهمنا من الناحية الدعوية:

انه مخالف لسنة الله تعالى، ومخالف لما سلكه الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى. فقد لجأوا إلى القول والعمل معا، ودعوا أقوامهم سراً وجهراً وليلاً ونهاراً، وابتلاهم الله سبحانه وتعالى ليمحص المؤمنين من أتباعهم، ليعرف الصادقين منهم، فاحتمل من كان صادق الإيمان ثابت الجنان، وسقط من كان إيمانه ضعيفا، قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ**﴾[٣] مما يدل على أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى تربية وتكوين، واستعداد وتضحية، وجهاد بالنفس والمال وصبر على البلاء، لأن طريق الدعوة إلى الله مليء بالأشواك، وأعداء الحق كثر، ولا يعرف المؤمن متى يأتي نصر الله، لأن علمه عند الله سبحانه وتعالى وحده.

إن الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ في نشر دعوته، اعتمد على العلم والعمل معا، فكان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه العشر آيات من القران فلا يتجاوزها حتى يعرفوا معانيها ويعملوا بها، مما أدى إلى ازدياد تميز المسلمين على مرور الزمن، وبعد عن حياة المجتمع الجاهلي وقيمه. وخير مثال على ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أعلن إسلامه، حارب المشركين وتحداهم وسفه أصنامهم، كان الفاصل بينه وبينهم يتسع يوماً بعد يوم، ويؤكد استحالة اللقاء ولو في موطئ قدم.[٤]

---

(١) عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٥٠
(٢) سورة ص الآية ٧٢
(٣) سورة البقرة الآية ٢١٤
(٤) عبيدات، محمود سالم، اثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٥١

الفصل الثالث: المنهج الدعوي عند جماعة التبليغ والدعوة

المبحث الأول: منهجهم العلمي في الدعوة

المنهج لغة: بوزن المذهَب، والمنهاج الطريق الواضح ونهج الطريق أبانه وأوضحه ونهجه أيضاً سلكه.(١)

وتعريف المنهج اصطلاحا: هو مجموعة قواعد يتبعها الباحث في إعداد بحثه.(٢)

وأما تعريف الدعوة لغة: قال أبو إسحاق ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله وقال الفراء أدعو شهدائكم يقول ألهتكم استغيثوا بهم.(٣)

وتعريف الدعوة اصطلاحاً: الدعوة الإسلامية وهي حركة إحياء للنظام الإلهي الذي انزله الله ﷻ على نبيه ﷺ.(٤)

المطلب الأول: المنهج العلمي الدعوي (التعليم العام)

تسير جماعة التبليغ والدعوة في حركتها الدعوية على منهج علمي، وهذا المنهج وضعه الشيخ محمد إلياس للخارجين في سبيل الله –تعالى–، وهو على نوعين خاص وعام.

يقول الشيخ إنعام الحسن وهو الأمير الثالث للجماعة: (التعليم نوعان؛ أحدهما: التعليم الخاص، والثاني: التعليم العام. فالتعليم الخاص هو التعليم الذي يُدَرس في المدارس التي يكون فيها طلب وشوق إلى تعلم الدين، فيقصدون هذه المدارس.

والتعليم الثاني هو التعليم العام، وهو التبليغ والدعوة، ويعطى هذا التعليم لأولئك الذين لا يطلبون علم الدين بأنفسهم عن طريق الوصول إليهم، والسعي لتحقيق الدين فيهم، ليحدث فيهم الطلب، فالتعليم العام يؤثر على التعليم الخاص، ويحيا التعليم الخاص بالتعليم العام. لذا ينبغي لأهل المدارس أن يقوموا بأمر التبليغ والدعوة مهتمين بأمور التعليم، بحيث يحيا نوعان من التعليم).(٥)

وأما المنهج الدراسي المتبع في الجامعات والمعاهد الدينية التابعة لجماعة التبليغ والدعوة، فأمره مختلف تماماً، حيث إن الدراسة تكون منتظمة ومقيدة بكتب معينة وسنوات محددة، فيتخرج الطالب من هذه الجامعات أو المعاهد الدينية أو المدارس التابعة للجماعة بشهادة

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار عمار، ط١، (١٩٩٦م)، ص٣٣٢
(٢) قلعة جي، محمد رواس، طرق البحث في الدراسات الإسلامية، دار النفائس، ط١، (١٩٩٩م)، ص٧
(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، مرجع سابق، ص٢٥٧
(٤) شلبي، رؤوف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، ص٣٢
(٥) السهارنفوري، محمد شاهد، بصيرة الدعوة وفهمها وإدراكها، مرجع سابق ص١٢٥

علمية معتبرة، ثم يطلب منه الخروج في سبيل الله –تعالى– لمدة معينة، حتى ينال التزكية من علماء التبليغ والدعوة.

وقد حدد الشيخ محمد إلياس موضوع العلم بقوله: "هو أن يقوم كل مسلم ومسلمة بتحصيل العلوم الدينية التي يحتاج إليها في حياته اليومية".[١] ونظراً لأهمية التعليم، حدد الشيخ موضوعه ومنهجه حيث كان يعتقد –رحمه الله– أن تحصيل العلوم الدينية أمر لا بد منه، لأنه إذا غفل الإنسان عنه فقد يخطئ في الأمور الأساسية القائم عليها أو يقع في الإفراط أو التفريط، وقد اعتقد الشيخ أنه إذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، فلا بد من إعداد نظام شامل حتى يتمكن كل فرد من متابعته والسير عليه بكل سهولة، وتكون هناك لائحة عمل تقدم للعامة وتدعوهم إلى التمسك بها، شريطة أن تكون اللائحة سهلة للغاية يستطيع أن يفهمها الجميع، وتبعاً لهذا الأمر قام الشيخ بتقديم لائحة نموذجية سهلة للغاية، معتقداً أنه لو انتشرت وتمسك بها أفراد الأمة لقضى على الجهالة على مستوى الأمة الإسلامية جمعاء. وقد قسم الشيخ هذه اللائحة "التعليمية" إلى قسمين وأطلق عليهما "الشكل الفردي" و"الشكل الجماعي" أو "التعليم الخاص" و"التعليم العام".

ويقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي: "إن الشيخ محمد إلياس –رحمه الله– كان يؤكد على ضرورة التمسك بهذين الشكلين: الفردي والجماعي، بصورة دائمة في كل مكان وزمان".[٢]

أولاً: الشكل الفردي (علم المسائل)

إن الشكل الفردي هو أن يقوم كل مسلم ومسلمة ببذل الجهد للحصول على التعاليم الدينية لما يحتاجه في حياته اليومية، حتى يتعرف على جميع الأمور الاجتماعية وغيرها من الأمور الحياتية المطابقة للكتاب والسنة.[٣]

وهذا الشكل تسميه جماعة التبليغ والدعوة: "علم المسائل" حيث يقول الشيخ محمد إلياس: "إن الحصول على علم الفضائل مستحب ولكن طلب علم المسائل فرض، لذا وجب القيام على طلبها"[٤]

ولعل الشيخ محمد إلياس يقصد بعلم المسائل تلك التي يحتاجها المسلم في حياته اليومية مثل علم مسائل الصلاة وغيرها.

---

(١) انظر: نعماني، محمد منظور، ملفوظات محمد الياس، مرجع سابق، ص١٥٤

(٢) بيرزادة – عبد الخالق – منهج الدعوة إلى الله لمن يخرج في سبيل الله – مكتبة النفيس لاهور – باكستان ط٢، (١٤٠٤هـ/١٩٩٤م)، ص٥٦

(٣) المصدر السابق، ص٥٥

(٤) المصدر السابق، ص٥٧

ثانياً: الشكل الجماعي (علم الفضائل)

وهو أن يقوم كل مسلم بمدارسة فضائل الأعمال[١] حتى ينشأ في الناس التشوق إلى الأعمال الدينية وفكر الآخرة، واليقين بالله ويرسخ فيهم، وهو ما تسميه جماعة التبليغ والدعوة: "علم الفضائل". وقد قرر الشيخ محمد إلياس أن يبدأ التعليم بالفضائل قبل المسائل في عمله الدعوي وذلك لأن الفضائل تؤدي إلى معرفة قيمة الأعمال وأجرها وثوابها، أما المسائل فهي الوسيلة لمعرفة سبل أداء تلك الأعمال، فكان الشيخ محمد إلياس يريد من دعوته هذه أن يعلم الناس قيمة الأعمال وأجرها، حتى تصبح الرغبة للأعمال لدى الناس، ومن هنا كان تقديم تعليم الفضائل على تعليم المسائل في التبليغ أمراً مهماً؛ ولأن الأمة الإسلامية في عهود التراجع لا تقدر قيمة الأعمال الدينية، وليس عندها الرغبة في الأعمال الصالحة، فكان من اللازم أن تكون مذاكرة الفضائل بصورة جماعية قبل كل شيء، نظراً لتلك الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية.

ومع أن الشيخ بدأ بتعليم الفضائل قبل المسائل إلا أنه لم يهمل علم المسائل؛ لأنه لا يمكن أن تقبل هذه الأعمال إلا بتعلم المسائل، ولذا وجب تعليم المسائل نظراً لأهميتها الأساسية، وإلا فلن ينال الهدف منها مطلقاً، لأنه حتى لو تجسدت الرغبة في الأعمال بالفضائل، فلا يمكن قبول الأعمال دون علم المسائل، ولكن جماعة التبليغ والدعوة ترغب بالحصول على علم المسائل بشكل فردي في منهج "التبليغ" وأما علم الفضائل فيكون بشكل جماعي، وذلك لأسباب عدة، أهمها أنه لا خلاف في الفضائل، أما المسائل فمعظمها مختلف فيها عند الأئمة ولذا فقد قالوا: "إنه قد لزم تعلم المسائل بصفة فردية حيث يتعلمها كل فرد عن علماء مذهبهم الفقهي، أما تعلم الفضائل فلا خلاف فيها حيث يلزم حصولها بالوسائل الجماعية".[٢]

فالاهتمام المنصب في تعليم أفراد الجماعة هو تعليم الفضائل، وأما علم المسائل فيتحصلون عليه حسب الحاجة.

---

(١) فضائل الأعمال تعني عند جماعة التبليغ: القراءة من كتب الفضائل التي ألفها الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي حين أمره الشيخ محمد إلياس بتأليفها، وقام بالإشراف عليها حتى يستفيد منها العامة والخاصة على حد سواء، وقد ترجمت تلك الكتب إلى العربية ولغات أخرى، وهذه الكتب كانت للمبتدئين من أهالي شبه القارة الهندية الباكستانية، حيث ألفت بلغتهم وكانت تعد مرحلة أولى في مجال الترغيب فقط، وأنه رحمه الله لم يغلق الباب أمام أحد للرجوع إلى الكتب الأخرى سواء كانت في الفضائل أو المسائل، وأما العرب فهم يقرأون من كتاب رياض الصالحين في فضائل الأعمال للإمام النووي –رحمه الله–. انظر: فضائل الأعمال ط (٢٠٠٣) – مكتبة أوارة أشاعت دينيات، ص٧–٨

(٢) الفيروز بوري، محمد عيسى، العمل المحلي للتبليغ، لاهور–باكستان ص٥٩–٦٢

المطلب الثاني: الطريقة التي اختارها الشيخ محمد إلياس في التعليم

كان الشيخ محمد إلياس يؤكد في أقواله على أنه اختار الطريق نفسه الذي سلكه الرسول ﷺ لنشر التعاليم الإلهية.[١]

وقد اتفق جميع المسلمين على هذا المنهج النبوي لهذا الطريق لتعليم الناس، وليس هناك سبيل أفضل منه جدية وأكثر نفعاً لتعليم العامة، فمثلاً، يقول الشيخ: "إن الطريق الذي أردنا نشره لعمومية التعليم والتربية الدينية ضمن برنامج الحركة التبليغية هو الطريق الأوحد الذي كان رائجاً في عهد الرسول ﷺ؛ حيث كان التعليم على نفس النهج الذي اتبعه المسلمون بعده ﷺ.[٢]

أما الطرق التي اختيرت فيما بعد في المجالات التعليمية العامة والخاصة فإنها وضعت طبقاً للمتطلبات المستحدثة لكل عصر من العصور، مثل: فتح المدارس، والتصنيف، والتأليف، والتعليم الكتابي، وغيرها.

والمهم في ذلك هو اعتقاد الناس بأن تلك الطرق والأساليب المستحدثة هي الطرق الحقيقية التي يمكن بها نشر التعاليم الدينية في العالم، مع أن عامة الناس نسوا الوسائل والأساليب الحقيقية الفطرية التي اختارها النبي ﷺ.[٣]

وأما الطرق التي اختارها الشيخ محمد إلياس فهي:

أولا: حلقة التعليم في المسجد للخارجين في سبيل الله

إن من الأعمال التي تقوم بها الجماعة في دعوتها حلقة التعليم في المسجد، وهذه الحلقة هي زاد الداعية، وقد سميت حلقة التعليم؛ لأن كل أفراد الجماعة يتعلمون فيها، ومقصدهم منها هو أن يترسخ اليقين على الوعد والوعيد،[٤] فإذا جاء يقين الوعيد في القلوب يأتي الخوف من جميع المنكرات فتترك وتتجنب، وإذا جاء يقين الوعد يُسعى إلى تحصيل الفضائل.

وتنقسم حلقة التعليم إلى عدة جلسات:

أولاً: قراءة القرآن؛ حيث تُقرأ السور العشر الأخيرة من كتاب الله –تعالى–، لتصحيح القراءة، فهي تشتمل على معظم أحكام التلاوة فضلاً عن سهولة حفظها، ثم تأتي بعد ذلك الرغبة

---

(١) الفيروز بوري، محمد عيسى، العمل المحلي للتبليغ، لاهور–باكستان، ص٦٤

(٢) وإن لم تكن تلك الترتيبات المحددة بالشكل نفسه في ذلك الحين، ولكنها أقرب ما تكون من الأساليب التي استخدمت في الصدر الأول من الإسلام، حيث تؤدي صورة كاملة للأساليب التعليمية الفطرية التي بدأت بها رحلة الإسلام

(٣) الفيروز بوري، محمد عيسى، العمل المحلي للتبليغ، لاهور– باكستان ص٩١

(٤) المقصود من الوعد أي الجنة التي وعدها الله تعالى للمؤمنين وأما الوعيد أي النار التي أعــدت للكــافرين. انظر: حماد، محمد أبو مصعب، جامع الأصول لإحياء عهد الرسول ﷺ، دار الشباب، ط٣ (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص٤٨

والشوق لحفظ القرآن كله. ويُقرأ كتاب الله بقصد التعرف على الله سبحانه وتعالى، وتطبيق أوامره، وتبليغها للناس كافة.

ثانياً: قراءة ما تيسر من كلام سيد المرسلين محمد ﷺ من كتاب رياض الصالحين، للإمام النووي، لسماع كلام الوعد والوعيد ليتحقق الشوق والرغبة للقيام بالأعمال الصالحة والنفرة من المعاصي.

ثالثاً: مذاكرة الأسس الستة التي كانت موجودة في حياة الصحابة وأعزهم الله بها، وحفظها عن ظهر قلب، وهذه الأسس كما رتبها العلماء القائمون على جهد الدعوة إلى الله، تشتمل على أعلى مراتب شعب الإيمان، وهي:

١- تحقيق اليقين على أنه لا إله إلا الله، وحسن اتباع النبي ﷺ.

٢- الصلاة ذات الخشوع والخضوع.

٣- طلب العلم مع مداومة الذكر.

٤- إكرام المسلمين وحسن الخلق.

٥- تصحيح النية وإخلاصها لله -تعالى-.

٦- الدعوة إلى الله وبذل الجهد للدين.(١)

وأما طريقة التعليم؛ فيجلس الأفراد بأدب واحترام يومياً لمذاكرة الأحاديث والآيات المشوقة لإقامة العبادات والتخلق بالأخلاق الفاضلة، فيقرأ أحدهم الأحاديث الشريفة، ويستمع الحضور إليه بأدب واحترام لائقين بكلام الرسول ﷺ، ثم يصرفون بعض الوقت في تلاوة القرآن الكريم وفي مذاكرة الأدعية المأثورة كي يتعلم من لا يعلمها.(٢)

وتكون نية المتعلم الاستماع والتطبيق ثم التبليغ، ويجلس المتعلم بالتذلل والافتقار إلى الله -تعالى-، مع تعظيم كلام الله -تعالى- وكلام رسوله ﷺ، ويجلس بالطهارة الكاملة في البدن، والثوب، مع التسوك والتطيب.

ثانياً: حلقة التعليم في البيت

لقد حرص الشيخ محمد إلياس أن يهتم أهل البيت بتحديد مواعيد التعليم اليومية داخل البيت، بحيث لا تزيد عن ساعة، بينما يكون الحد الأدنى لها نصف ساعة من الزمن، حيث يجتمع فيها أفراد الأسرة من الرجال والنساء والبنين والبنات، لقراءة كتب الفضائل، مثل: فضائل

(١) حماد، محمد أبو مصعب، جامع الأصول لإحياء جهد الرسول ﷺ، مرجع سابق ص٤٩

(٢) عبيدات، محمود سالم، أثر الجماعات الإسلامية، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٢٨٢.

الصلاة، أو فضائل القرآن، أو فضائل الذكر، أو فضائل التبليغ، أو حكايات الصحابة، أو فضائل الحج، أو فضائل الصدقات، أو فضائل رمضان.

ولقراءة هذه الكتب طريقتان:

الأولى: أن يُقرأ حديث أو حديثان من أي كتاب من كتب الفضائل، ثم تستنبط الفائدة منه "أي ما يستفاد به من الحديث الشريف".

الطريقة الأخرى: هي أن يُبدأ بقراءة الكتاب من أوله حتى يصل إلى نهاية الكتاب، وليس بترتيب محدد لهذه الكتب، فيختار أي كتاب منها ثم يتبع بآخر بعد الانتهاء منه وهكذا.[(١)]

المطلب الثالث: المنهج العلمي الدراسي المنتظم (التعليم الخاص)

أولاً: منهج الشيخ محمد إلياس في التدريس

إن المنهج العلمي المنتظم لجماعة التبليغ والدعوة هو نفس منهج جامعة العلوم ديوبند، وجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، حيث بدأ الشيخ محمد إلياس التدريس فيهما منذ أن كان طالباً، واستمر على ذلك حتى انتهى من دراسة العلوم الشرعية، وفق منهج أساتذته وشيوخه الأجلاء، حيث يقوم الطالب بتدريس الكتب التي قرأها على شيوخه.

وكان للشيخ مواهب عظيمة وأسلوب جيد لتدريس الطلاب، فكانت المعلومة تصل إليهم بكل سهولة ويسر، وقد عين الشيخ بعد تخرجه من جامعة دار العلوم ديوبند أستاذاً في جامعة مظاهر العلوم بمدينة سهارنفور، ثم أصبح مشرفاً على المرحلة الابتدائية بقسم الأدب العربي، ثم اختير عضواً لمجلس الشورى لدار العلوم ديوبند عام (١٣٥١هـ). وكان أسلوب أساتذة الجامعتين في التدريس يختلف عن الأساليب المعتادة في المدارس آنذاك، حيث كان الأستاذ يشرح معاني العبارة ومطالبها، ويوضح المسائل الصعبة، أما الطالب فكأنه شريك في المجلس أو مستمع فقط، ولكن الأمر كان مختلفاً عند الشيخ محمد إلياس،حيث يكلف الطالب بقراءة العبارة وترجمتها وشرحها، ويساعده الشيخ حين يعجز عن إدراك المعاني والمفاهيم نظراً لصعوبة العبارة، أو عدم الحصول على الشروح وغيرها من الكتب الموضحة لها، حتى تزداد كفاءة الطالب ومهارته العلمية، بالاطلاع على الموضوعات الجديدة وإدراك معانيها ومطلبها.[(٢)]

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: "إن الشيخ محمد إلياس كان له منهج فريد في التدريس، ورأي خاص في فهم النصوص من الكتب، حيث كان يقسو على الطلاب لاستيعاب دروسه،

---

(١) بيرزادة – عبد الخالق – منهج الدعوة إلى الله لمن يخرج في سبيل الله – مرجع سابق ص ٥٨

(٢) بيرزادة، عبد الخالق، الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه في الدعوة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص١٠٧

فيجب أن يأتي الطالب لأستاذه شارحاً وموضحاً فهمه للدرس بنفسه، كي لا يحتاج الأستاذ إلا لشرح ما استعصى فهمه على الطالب، وكذلك كان الشيخ يهتم بقراءة العبارة، مراعياً قواعد الصرف في اللغة العربية ونحوها"(١)

وكان للشيخ رأي خاص في مناهج التدريس، فكان يقرر بعض الكتب على حسب حاجة الطلاب، ولهذا فقد اختار منهاجاً خاصاً بالابتدائية يتمثل في اختيار كتب علوم الصرف والنحو، والأدب العربي، والبلاغة، حيث كان يقوم بإملاء قواعد الصرف والنحو على الطلاب بترتيبه الخاص، من ذاكرته؛ أي انه يشرح الكتب للطلبة من علمه الواسع، وكذلك كان الشيخ يكثف للطلاب التمارين الشاقة لاستخراج الصيغ الصرفية، وذلك بإنشاء العبارة وتطبيق القواعد النحوية عليها، كما كان لا يعتمد على كتب الأدب العربي التي تشمل القصص والحكايات الواهية، بل يختار الكتب التي تفيد الطالب في فهم اللغة والدين والأخلاق.(٢)

وكان يهتم باستخراج كلمات من القرآن وتصريفها، فكان يعطي لكل طالب كراسة ومصحفاً، ويأمرهم بكتابة ألفاظ القرآن واستخراج الصيغ الفعلية لكلماته، مراعياً قواعد علم الصرف، وماهية الصيغة على حسب المعنى، وتحديد أبوابها وأقسامها وأصلها، وتكوينها واشتقاقها؛ سواء كانت ثلاثية أو رباعية أو غيرها من أبواب الصرف.(٣)

وأما منهجه في تدريس الحديث، فكان يهتم اهتماماً بالغاً بمناهج المحدثين وتدريسها، وكان يهتم بإلقاء دروس الحديث الشريف وآدابها، وكان يشرح الحديث طبقاً لأقوال الفقهاء والمجتهدين وآرائهم، مبيناً اختلاف آرائهم واتفاقهم، ثم يرجح مع بيان الترجيح، وكان يتناول كل أطراف الحديث، مثل: بيان درجته ودرجة إسناده، والبحث في رجالاته، مع بيان الاختلافات في المتون وطرقها، وإذا ما جاء الاختلاف في الروايات كان يسعى جاهداً بالتوفيق بينها كلما أمكن ذلك بطريق علمي.(٤)

وإن منهجه في تدريس الحديث كان واضحاً جلياً في تلاميذه ومنهم ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي حيث يقول: "إننا لما بدأنا كتاب: "مشكاة المصابيح" على يد الشيخ محمد إلياس الدهلوي –رحمه الله–، كان علي أن أتابع سير وأحوال الصحابة وحياتهم، أما الزملاء الآخرون، فكان عليهم دراسة مسائل الأحكام وإيضاحها، واختلاف المذاهب الفقهية الخاصة بالأحاديث الشريفة، فحينها كان الطالب يقرأ نص الكتاب، فإذا بالشيخ يستوضحه عما كان مسئولاً عنه من

(١) الندوي، أبو الحسن الندوي، الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية، باكستان، ص٦٥
(٢) بيرزادة، عبد الخالق، حياته ومنهجه في الدعوة، مرجع سابق، ص١١٢
(٣) المفتي، عزيز الرحمن، تذكرة أمير التبليغ مولانا محمد يوسف، طبعة باكستان، ص٥٤
(٤) ثاني، محمد، حياة مولانا محمد يوسف الكاندهلوي باكستان ص١٨٨

قبل، وهذا الأسلوب لم يجعل الطالب قادراً على فهم الكتاب فحسب، بل كان يجعله قادراً على التحقيق والتأليف والشرح، وفضلاً عما كان يملأ قلبه من حب لعلوم التفسير والحديث، وكل ذلك كان يجعل الطالب شغوفاً بتلك العلوم الجليلة وراعياً لها".(١)

وإن ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي خير مثال لهذا المنهج؛ فقد قرأ "مشكاة المصابيح" على يد والده، ثم بدأ خلال فترة قراءته بمشروع التحقيق في رواته من الصحابة والتابعين، ثم ألف كتاباً ضخماً في ثلاثة مجلدات عن حياة الصحابة ﷺ أجمعين.

ولما كانت تلك هي البداية الطيبة المفيدة في دراسة الشيخ محمد يوسف العلمية، فقد بلغ بها قمة درجات المعرفة لعلوم الحديث، وعندما بدأ في قراءة الصحاح الستة ومستدرك الحاكم، وشرح معاني الآثار للطحاوي على يد والده، أمره أبوه وأستاذه أن يقوم بشرح كتاب "معاني الآثار" للطحاوي باللغة العربية، فبدأ تأليفه وأسماه "أماني الأحبار" وأنجزه في ثلاثة مجلدات كبار.(٢)

ثانياً: المنهج العلمي بعد وفاة الشيخ محمد إلياس

لقد تبنت جماعة التبليغ والدعوة منذ نشأتها المنهج العلمي المتبع في جامعتي دار العلوم ديوبند وجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، وهناك مدرسة تابعة لهاتين الجامعتين موجودة في مركز نظام الدين بدلهي الهند –المركز الأول للجماعة– واسمها مدرسة الشيخ سعد –حفيد الشيخ محمد إلياس– وهي تابعة للجماعة من حيث المنهج العلمي، وهناك جامعات ومدارس كثيرة أيضا تابعة للجماعة تدرس على المنهج نفسه، وقد تبنت الجماعة المنهج العلمي في هذه الجامعة وهذه المدارس، لأن علماءها ليسوا فرقة أو جماعة شقت طريقاً فكرياً أو علمياً يختلف عن طريق جمهور الأمة المسلمة، بل إنهم يتبعون في تفسير الإسلام وعرضه المسلك نفسه الذي سلكه جمهور علماء الأمة عبر أربعة عشر قرناً، ولأن الدين وتعاليمه الأساسية إنما تنبع من الكتاب والسنة، فإن تعاليم الكتاب والسنة في شكلها الشامل هي أساس مذهب علماء هذه الجامعات والمدارس. وإن أي كتاب موثوق به في الفقه وأصوله على مذهب الإمام أبي حنيفة، سيكون ما جاء فيه من المسائل الفقهية والأصولية هو المذهب الفقهي لدى علماء هذه الجامعات، وإن هؤلاء العلماء يتخذون النبي ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ القدوة في تطبيق شرع الله –تعالى–، ثم يأخذون بأقوال العلماء الذين أجمعت الأمة على جلال قدرهم ومكانتهم العلمية والعملية.

---

(١) المفتي، عزيز الرحمن، مرجع سابق، ص١٤٧
(٢) ثاني، محمد، حياة مولانا محمد يوسف الكاندهلوي باكستان، ص١٧٩

وجملة القول: ليس هناك ناحية من نواحي الدين ينحرف فيها هؤلاء العلماء قيد شعرة عن المفهوم الحقيقي للإسلام، ولذلك كله لا نرى حاجة ما إلى كتاب مفرد لشرح مذهبهم، فلو شاء أحد أن يطلع على مذهبهم فعليه مراجعة الموثوق به عند جمهور علماء الأمة، من تفاسير القرآن، وشروح الحديث، وكتب الفقه الحنفي، والعقائد والكلام، والإحسان والأخلاق، وغيرها من الكتب التي يعتمدها مذهبهم.(١)

وعلى هذا فإن علماء ديوبند يعضون بالنواجد على مذهب أهل السنة والجماعة، ويعتقدون أن أهل السنة والجماعة هم الأثرية (أصحاب الحديث أو الحنابلة)، والأشعرية، والماتريدية، وعلماء ديوبند لا يخرجون في مذهبهم الكلامي عن طوائف أهل السنة المذكورة، بل يصح أن نقول: إنهم بدورهم أهل السنة والجماعة اسماً وصورةً وحقيقةً، وعلماً وعملاً.(٢)

أما القضايا الكلامية فقد وقف منها علماء ديوبند موقف الاعتدال، فقد سلكوا في المسائل المختلف فيها مسلك التوفيق ورفع الخلافات، بدلاً من التجريح والطعن أو الرفض والترك.

وهنا ينشأ السؤال: هل علماء ديوبند يتبعون الإمام أبا الحسن علي الأشعري (المتوفى ٣٢٤هـ/٩٣٦م)؟ أم الإمام محمداً أبا منصور الماتريدي (المتوفى ٣٣٣هـ/٩٤٤م)؟ والجواب هو أنهم في عرف علماء ديوبند أنفسهم يعرفون أولاً أن موروثهم الأعلى العلمي هو الإمام الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الذي تشف أقواله عن أنه أشعري، فهم يرون أنهم أشعريون. ثم لأن علماء ديوبند يراعون المسائل الأشعرية في دروسهم ومحاضراتهم وكتاباتهم وخطاباتهم، إلا أن الأحسن –نظراً إلى موقفهم المعتدل المازج بين المذهبين– أن يوصفوا بأنهم ماتريديون مائلون إلى الأشعرية؛ فهم جامعون بين الماتريدية والأشعرية، بل إن دراسة أبحاثهم الجامعة تدل على أن الخلافات بين الأشعرية والماتريدية إنما تعود إلى خلافات صورية، فالمسائل المنصوص عليها لا يمكن أن يحدث فيها خلاف، إنها جميعها متفق عليها، والخلاف إنما يقع في عرضها وشرحها وتفسيرها، والذي لا يجوز أن يسمى اختلافاً أساسياً؛ حيث إن ذلك يؤدي إلى الاتفاق على الغرض.(٣)

فجماعة التبليغ والدعوة لا يرون خلافاً بين الأشعرية والماتردية، إنما يعتبرون أن الخلاف في القضايا الخلافية بين الأشعرية والماتردية خلاف صوري، أي أنه لا يوجد خلاف جوهري بينهما.

---

(١) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مدرسة فكرية، مرجع سابق ص٤٤٩–٤٥٠
(٢) المصدر السابق، ص٣٦٥
(٣) طيب، محمد، علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي، مرجع سابق، ص٢٥٣

ويؤكد هذا الكلام ما ذكره ابن أبي عذبة في كتابه الروضة البهية فيما بين الأشعرية والماتردية، ففي الفصل الأول منه يستعرض المسائل المختلف فيها اختلافاً لفظياً وعددها سبع مسائل، منها:

مسألة الاستثناء في الإيمان، ومسألة إيمان المقلد. وفي الفصل الثاني ذكر المسائل المختلف فيها اختلافاً معنوياً وعددها سبع مسائل أيضاً، منها مسألة معرفة الله، هل هي واجبة بالشرع أم بالعقل؟ ومسألة صفات الأفعال.(١)

وتبقى هناك قضايا اجتهادية معدودة يوجد بينها تضاد في ظاهر الأمر، وهي اثنتا عشرة قضية، فيما يقول المحقق الكبير العلامة ابن كمال باشا:(٢) "ولا نزاع بين الشيخين وأتباعه إلا في اثنتي عشرة مسألة".(٣)

وأما مذهبهم الفقهي فهم مقلدون فيه للحنفية، وقد ذكرت سابقاً هذا الموضوع،(٤) عندما تحدثت عن مذهب علماء دار العلوم ديوبند.

وأما الكتب الدراسية المقررة في جامعة دار العلوم ديوبند فهي موضحة في جدول رقم (١)

المبحث الثاني: الوسائل الأساسية في دعوتهم وأساليبها

تمهيد

عند الحديث عن الوسائل والأساليب الدعوية لا بد أن نفرق بينهما فالوسيلة هي الأداة التي يستعان بها للقيام بعمل ما، أما الأسلوب فهو الكيفية غير الدائمة للقيام بالعمل، ومعنى غير دائمة أي التي يمكن تغييرها حسب الحال.(٥)

---

(١) انظر: ابن عذبة، الحسن بن عبدالمحسن، الروضة البهية فيما بين الأشعرية والماتردية، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند (١٣٢٢هـ)، ص٦

(٢) هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا شمس الدين الحنفي من علماء الحديث والتفسير، تركي الأصل. ولد في "طوقات" من نواحي "سيواس". تعلم على المولى القسطلاني والمولى خطيب زاده، ودرس بمدرسة سلطان بايزيد، ومدرسة علي بك، ثم ولي القضاء، ثم الإفتاء بـ"الأستانة" إلى أن توفى عام (٩٤٠هـ/١٥٣٤م) وله تصانيف كثيرة منها (طبقات الفقهاء) (وطبقات المجتهدين)، انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الإعلام، دار العلم للملايين، ط٥، (٢٠٢٢م)، ص١٣٣

(٣) ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان الحنفي، رسالة في الاختلاف بين الاشاعرة والماريدية، ط استانبول (١٣٠٤هـ) ص٥٧-٥٩

(٤) في المبحث الثالث من الفصل التمهيدي، ص٢٧

(٥) انظر: الجزائري، أبو بكر، القول البليغ في الدعوة والتبليغ، مرجع سابق، ص٩

المطلب الأول: الوسائل التي اختارها الشيخ محمد إلياس في التبليغ والدعوة

أولاً: المسجد

اختار الشيخ محمد إلياس المسجد مركزاً لتنفيذ البرنامج العملي لإصلاح المسلمين، فتوجه إلى عمارة المساجد بالأعمال من صلاة وذكر وقراءة للقران وغيرها، كما قام ببناء مساجد في المناطق التي لم تبن فيها مساجد، وفي اعتقاده أن المساجد الإسلامية ليست أمكنة للعبادة فحسب، بل إنها مراكز ومعاهد لعلوم الدنيا والدين على حد سواء، مثلما كان مسجد نبينا محمد رسول الله ﷺ في المدينة مدرسة عامة لسائر المسلمين.

يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي: "إن رسول الله ﷺ ربط كل أفراد أمته بالمسجد، وخاصة بأعمال المسجد، وبهذه الأعمال كان المسلمون يمتازون عن غيرهم في الحياة. والمسجد كانت فيه مذاكرة عظمة الله ﷻ، والإيمان، وأمور الآخرة، والأعمال الصالحة التي تستقيم بها الحياة. وفي المساجد كانت الدروس تلقى لإصلاح الأعمال، وتجهز فيه الجماعات للخروج إلى البلاد والمناطق المختلفة للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، وتعقد فيه حلق الذكر. وفي المسجد كانت أعمال التعاون، والإيثار، والنصح، والمواساة، والمسلمون كلهم: الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، والتاجر والمزارع والعامل يحضرون المسجد".(١)

ولا شك أن هذا الاختيار كان من أهم الأمور التي وصل إليها الشيخ محمد إلياس بعد دراسته العميقة في هذا المجال، مؤكداً أن المصادر الأصلية للإسلام كلها تدل على أهمية المسجد ودوره في بناء مجتمع إسلامي خالص، قال –تعالى–: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ{٣٦} رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ{٣٧}**﴾(٢)

وعن أبي هريرة ﷺ أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: «يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟! قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟! قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى. رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث النبي محمد ﷺ».(٣)

---

(١) الكاندهلوي، محمد يوسف، جماعة الدعوة والتبليغ ومنهجها في الدعوة، تعريب د.عبد الرزاق اسكندر، دار القلم كراتشي، ط٧، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٤٩

(٢) سورة النور الآية ٣٦، ٣٧

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، حديث رقم ١٤٢٩، الجزء ٢، ص١١٤

إن الوسيلة التي اقتدى بها الشيخ محمد إلياس في دعوته هي وسيلة الرسول ﷺ نفسها في دعوته بالمدينة عندما بنى المسجد النبوي، فكان في مسجد الرسول ﷺ أعمال الدين من صلاة، وذكر، وحلقات العلم والتعليم، والخدمة، والدعوة إلى الله، وغيرها من الأعمال. يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: "إن جماعة التبليغ والدعوة امتثلت بسيد الدعاة وإمامها محمد ﷺ، الذي ما إن نزل بديار بني عوف بقباء حتى بنى لدعوته مسجد قباء، وما أن بركت ناقته بحي أخواله من بني النجار حتى اختط مسجده وبناه لدعوته".(١)

ثانياً: عقد الندوات والاجتماعات

لا شك أن الندوات والاجتماعات (المؤتمرات) وسيلة فعالة من وسائل الدعوة والتوجيه والإرشاد، وهي عظيمة الفائدة إذا أحسن استغلالها حيث تتيح الفرص للمناقشة والحوار وإبداء المقترحات، واكتساب المعلومات بطريقة أفضل ودرجة أعمق، وبخاصة إذا كان الدعاة المسلمون المشتركون في هذه الندوات والاجتماعات على درجة عالية من الثقافة والكفاءة.(٢)

ونظراً لهذه الأهمية فقد رأت جماعة التبليغ والدعوة أنه لابد من الاستفادة من هذه الوسيلة في مجال الإصلاح والدعوة إلى الله، مؤكدةً لأفرادها ضرورة عقد الندوات والاجتماعات التي يشترك فيها جميع الأوساط الاجتماعية والثقافية، وخاصة حاملو أمانة الدعوة تحت إشراف كبار العلماء المتخصصين في هذا المجال.(٣)

فكان الشيخ محمد إنعام الحسن يعقد اجتماعاً كل ثلاثة شهور، ليرغب القائمين على هذا العمل بمزيد من التضحية والخروج في سبيل الله، وكان يطمئن من خلال هذا الاجتماع على سير عمل الدعوة في جميع المناطق التي انتشرت فيها.(٤)

ثالثاً: التفرغ المؤقت

لقد أكدت الجماعة بعد دراسة طويلة بأن الإصلاح الشامل لا يتحقق إلا إذا تفرغ الإنسان من مشاغله المادية في حياته بصفة مؤقتة، وتفرغ تفرغاً كاملاً – ولو لمدة قصيرة– لتعلم الأسس الدينية أو لإكمالها في حياته،(٥) وأثناء تفرغه يقوم بالأعمال الآتية كما حددتها الجماعة:

١– زيارة الناس وترغيبهم في عمل الدعوة.

٢– التعليم والتعلم.

---

(١) الجزائري، أبو بكر جابر، القول البليغ في جماعة التبليغ – المكتبة المحمدية ص١٢
(٢) حسنين، عبد النعيم محمد، الدعوة إلى الله على بصيرة، القاهرة، ط١، ١٩٩١م، ص١٩٥
(٣) بيرزادة، منهج الدعوة إلى الله، مرجع سابق، ص٢١
(٤) السهارنفوري، محمد شاهد، بصيرة الدعوة، مرجع سابق ص١٠٢
(٥) الندوي، الدعوة الإسلامية في الهند، مرجع سابق ص٣٩

٣- الاشتغال في العبادات من صلاة وذكر وتلاوة القرآن.

فقد رتبت جماعة التبليغ والدعوة لأفرادها أن يخرجوا في سبيل الله -على أساس الترتيب وليس التحديد-. ثلاثة أيام في كل شهر، وأربعين يوماً في كل سنة، وأربعة أشهر في العمر.

رابعاً: صحبة الصالحين

تأتي صحبة الصالحين بعد التفرغ المؤقت، كوسيلة رئيسية لمنهج الجماعات الخارجة للدعوة والتبليغ، حتى يثمر هذا التفرغ بالنتائج المرجوة منه.

فلذا قررت الجماعة بأن يصاحب الخارج في سبيل الله أهل العلم والعمل، وخاصة الذين تفرغوا للهدف نفسه، لأنه سيجد فيهم المعلمين المتخصصين في تعليم المبادئ الأساسية للدين الحنيف، ولو نظرنا إلى المنهج العملي(١) لهؤلاء الخارجين في سبيل الله (المتفرغين) لوجدناه يحتوي على كل ما تتطلبه التربية ويحتاجه التعليم الأساسي للإنسان المسلم، كي يشعر بأنه يعيش خلال هذه الفترة في جو مليء بنظام الشريعة المطهرة، ويكون متمثلاً لصورة حياة الصحابة، كما يرى في المصاحبين له الرغبة في طلب الدين والتعليم والتعلم، والخدمة والصحبة الصالحة، والتدريب المباشر على معرفة الأحكام، ويجد جواً مليئاً بتلاوة القرآن وذكر الله، والدعوة والتضحية، وبذل الجهد في سبيل الله، والاطلاع على أحوال المسلمين، ومعرفة ما آل إليه أفراد الأمة بسبب الاغتراب عن الدين، كما يتعود على تحمل المشاق والشدائد التي تؤدي به إلى ازدياد قوة مقاومته لأهواء النفس، والرغبة في اتباع أوامر الله في جميع شؤونه المادية والمعنوية.(٢) يقول الشيخ محمد إلياس: "إن الصحبة شيء أساسي للتعليم، وأفضل ما يناله الإنسان ويصيبه في تلك الصحبة ويستفيده خلال هذه الفترة المؤقتة هو فترة الخروج، طبقاً للنظام الذي تتوفر فيه جميع ما تحتاجه تلك الصحبة التعليمية من وسائل نجاحها".(٣)

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "لقد ركز الشيخ محمد إلياس في إعداد هذا النظام وتقديمه على تهيئة جو يشابه الجو الذي كان يسود المدينة بعد الهجرة،حيث كان المسلم الجديد يجد فيها صوراً حية للحياة الإسلامية ولذا كانت الدعوة لجميع المسلمين الجدد من العرب أن يشدوا رحالهم إلى المدينة كي يمكثوا فيها لبضعة أيام فيتعلموا مبادئ الدين بجانب التدريب

---

(١) المقصود بالمنهج العملي هي أعمال الخارجين في سبيل الله تعالى في المسجد
(٢) بيرزادة، منهج الدعوة إلى الله، مرجع سابق، ص٢٧
(٣) الندوي، أبو الحسن علي، الدعوة الهامة، لاهور باكستان ص١٨

العملي المباشر ممن أسلموا وتعلموا قبلهم، ثم يرجعوا إلى قبائلهم ويعلموهم كل ما تعلموه في المدينة".(١)

خامساً: الخروج في سبيل الله

يأتي الخروج في سبيل الله بعد التفرغ واختيار صحبة العلماء الصالحين، حتى يمكن للمتفرغ حسن استخدام التفرغ في الصحبة على أحسن صورة، ويمكنه الاستفادة –أيضا– في مجال التعليم والتربية، ومن ثم يخرج لترغيب الآخرين وإبلاغهم قيمة اكتساب الحسنات في هذا السبيل، موضحاً لهم مدى استفادته مما عرفه.

وقد اعتقد الشيخ محمد إلياس بأن الهجرة في سبيل الله وترك الوطن والخروج لنشر الدين أفراداً وجماعات أمر تركه المسلمون، فلزم على الجميع إحياؤه، ورأى أن الناس تقاعسوا وابتعدوا عن العمل والتفكير في طلب الدين ونشره والخروج في سبيل الله.

قال –تعالى–: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**.(٢)

حث الشيخ محمد إلياس الناس على القيام بالخروج في سبيل إصلاح النفس وإصلاح الآخرين، حيث يؤكد أن "الإبلاغ" المتوقف على الراغبين من الناس الذين يأتون إلى المبلّغ ليس كافياً، لأن الرسول ﷺ لم يكن ينتظر حضور الناس إليه، بل كان ﷺ يذهب إليهم لكي يدعوهم إلى الحق، حتى إنه ﷺ ذهب إلى الطائف لأداء واجبه في إبلاغ الدعوة إلى الله، بالذهاب إلى بيوت رؤساء القبائل، وفي أيام الحج كان ﷺ يلتقي بالقبائل فلا يضجر ولا يشعر بالقلق لما كانوا يردون عليه في وقاحة، بل كان ﷺ يصبر ويتحمل، وكان ذلك هو سبب إيمان وفد أهل يثرب، الذين انتقلت إليهم دعوة الإسلام، بل قاموا بحملها على أكتافهم.

وبعد صلح الحديبية، بدأت سلسلة سفراء الإسلام لإبلاغ دعوة الحق إلى أرجاء العالم كله، فبعث النبي ﷺ أصحابه لإبلاغ هذه الرسالة إلى مصر وفارس وإلى رؤساء عُمان، والبحرين، واليمن، وبلاد الشام، كما ذهب أصحابه ﷺ إلى مختلف القبائل والأقاليم لإبلاغ دعوة الإسلام، فذهب مصعب بن عمير إلى المدينة، وعلي ومعاذ إلى اليمن، مثلما فعل غيرهم من الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–.

(١) فريدي، افتخار، إرشادات مولانا محمد إلياس، دار أحسن المطابع باكستان ص٧٧
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤

ومن كل هذا يتبين أن من الواجب على الداعية أن يذهب هو بنفسه إلى الناس لتبليغ رسالة الحق، وجملة القول إن الخروج من البيت لطلب العلم، ثم العودة إلى الأهل أو أهل المنطقة، وإلى من يحتاج إلى الدين، لهو أمر يأمر به الكتاب والسنة. ومن هنا نعلم أن إعداد جماعة كهذا الإعداد، هو أحد متطلبات الإسلام، فالتعليم يقتضي الصحبة واكتساب الصفات والأخلاق الحميدة، وذكر الأحكام والمسائل بالسبل الشفهية، ثم المذاكرة والتكرار، والتساؤل والإفهام والتفهيم، وكل هذا يحتاج إلى التفرغ، واختيار الصحبة والخروج، وهذه هي أقصر الطرق لعمومية التعليم، كما هي أقرب الطرق التي اختيرت في صدر الإسلام.(١)

وحتى يفهم الناس الخروج في سبيل الله –تعالى–، لا بد لهم من ممارسة العمل مع الجماعة، يقول الشيخ محمد إلياس: "لا يفهم الإنسان هذا العمل حق الفهم إلا إذا خرج مع الدعاة في هذا السبيل، أما إلقاء الكلمات والخطب وأمثالها فهي أشياء وأمور ضمنية وفرعية، بينما الأصل هو الخروج".(٢)

ويقول أبو الحسن الندوي: "حينما اشتدت غارات العدو الفكرية على عامة المسلمين وخاصة على القبائل التي لم تصل إليها التعاليم الدينية بالكيفية اللازمة، قرر الشيخ محمد إلياس بذل الجهود للترغيب والتعليم حتى يفهم العامة الأسس الإيمانية، وأهمية نعمة الإسلام للبشرية، واختيار الخروج والنفر في سبيل الله كوسيلة لهذه الدعوة، كما حرض أفراد جماعته أن يذهبوا إلى كل مسلمي العالم ليدعوهم إلى فهم معاني الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالرفق واللين، ويوجهوهم إلى معرفة التعاليم الأساسية، حيث يطلبون من المدعو أن يتفرغ أربعين يوماً أو أربعة أشهر، ويجرد نفسه من المشاكل التي حالت بينه وبين دينه الحنيف، وإن لم يكن مستعداً لذلك، فيطلب منه أن يتفرغ لعشرة أيام أو لأسبوع، أو الحضور مرة في الأسبوع في الحلقات التعليمية".(٣)

المطلب الثاني: الأساليب الأساسية في دعوتهم

أولا: أعمال الاجتماع الأسبوعي في المسجد "المركز"

يجتمع الدعاة في المسجد ليلة العطلة من الأسبوع فيعتكفون فيه، وقد تركوا أزواجهم وأولادهم انقطاعاً إلى ربهم وتبتلاً إليه، وبعد صلاة المغرب يقوم أحد الدعاة ممن سبق له الخبرة مع الجماعة –وعادة ما يكون من أهل المشورة عندهم– فيعظهم ويحرضهم على الأعمال

---

(١) بيرزادة، عبد الخالق، منهج الدعوة مرجع سابق ذكره، ص٣١-٣٢
(٢) نعماني، محمد منظور، ملفوظات مولانا محمد إلياس مرجع سابق، ص٧١
(٣) الندوي، أبو الحسن علي، الدعوة الهامة، مرجع سابق، ص٩

الصالحة والالتزام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ويذكرهم بواجبهم، وهو الدعوة إلى الله –تعالى– والتضحية في سبيله، وذلك بأن يفرغوا جزءاً من أوقاتهم لدين الله –تعالى– بعيداً عن مشاغل دنياهم، ولدعوة الغافلين والمعرضين عن ذكر الله وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، لعل الله أن يهديهم على أيديهم، وهم في ذلك ينظرون إلى قول الرسول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(١)

وبعد صلاة الفجر يقوم أحد الدعاة من ذوي الكفاءة لطول الممارسة وكثرة العمل في حقل الدعوة، فيتكلم في الخارجين ممن سجلوا أسماءهم للخروج بحسب فراغهم، وهذا ما يسمى في اصطلاحهم: "الهدايات"،(٢) وبعد فراغ المرشد من كلمته تتوزع أسماء الخارجين إلى عدة جماعات فتجتمع كل جماعة بأميرها فيوصيهم ويرشدهم ويجمع نفقتهم،(٣) ثم يعين اثنان منهم لتحضير وسائل السفر للخروج في سبيل الله –تعالى–، ثم تبدأ أعمال الخروج.(٤)

ثانياً: أعمال الخارجين في سبيل الله

تبدأ أعمال الخروج فور ركوبهم وسيلة السفر، حيث إنهم ينطلقون من المسجد "المركز"، وإذا ما ركبوا وسيلة السفر أخذوا بقراءة الأدعية الواردة في السفر ودعاء الركوب، وتعلموا اليسير من القرآن الكريم، وأحاديث الفضائل والآداب، وبعد وصولهم إلى القرية أو المدينة المرادة، يذهبون إلى المسجد المعين لهم من قبل المركز الرئيسي للدعوة والتبليغ، فيزورون إمام المسجد ليخبروه أن الجماعة تريد أن تعتكف في هذا المسجد، وتقوم بأعمالها الدعوية فيه، وبعد أخذ الموافقة منه تتذاكر الجماعة بالنية الرئيسة التي خرجوا من أجلها، وهي إرضاء الله –تعالى– وقيام المسلمين جميعاً على أمر الله وأمر رسوله ﷺ، وبعد انتهائهم من مذاكرة النية يدخلون المسجد ويصلون تحية المسجد ويجلسون لتذاكر أعمالهم، وأول عمل هو عمل المشورة.

---

(١) البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم، رقم الحديث (٣٠٠٩)

(٢) تعنى التوجه إلى إخلاص النية لله تعالى في خروج جماعة التبليغ والدعوة، والتقيد بآداب الدعاة، وآداب السفر وآداب الإقامة في المسجد. انظر: الحصين، أوراق سعد الحصين. ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ص٧

(٣) تعتمد الجماعة الخارجة للدعوة والتبليغ في حركتها من الناحية المالية على الأفراد أنفسهم، الذين يستجيبون للدعوة، فكل واحد يتولى الإنفاق على نفسه، وحسب استطاعته، وقدرته وتكون النفقة في الأغلب قليلة متواضعة زهيدة

(٤) انظر: الجزائري، أبو بكر جابر، القول البليغ في جماعة التبليغ، مرجع سابق، ص١٣

العمل الأول: المشورة

المشورة أمر من أوامر الله –تعالى– وسنة من سنن النبي ﷺ، قال –تعالى–: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾،(١) فالذي يكون عنده صفة المشورة في الأعمال سيمتلك صفة اللين، والمحبة، والرحمة.

ويكون للمشورة أمير ليفصل في الآراء، وعلى الذين يعطون آراءهم من الجماعة التنازل عنها فيما لو أن الأمير أخذ برأي يخالف آراءهم، وتطلب الجماعة من الله –تعالى– أن يفتح على الأمير ويفصل بالرأي السديد الذي يكون فيه المصلحة، يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي: "يتشاور الإخوة مجتمعين في مقتضيات هذه الدعوة، ويعطوا آراءهم لمصلحة الدين، ولا يصر أحد على رأيه، وعلى الأمير أن يسمع الآراء ويفكر فيها، ثم يبدي رأيه بما يراه مناسباً، وعلى الزملاء أن يعملوا برأي أميرهم كأنه رأيهم، وفي ظل تربيته لهم.(٢)

العمل الثاني: حلقة التعليم

وسميت حلقة التعليم لأن الكل فيها يتعلم، فالجماعة كلهم طلاب علم، ومقصد هذه الحلقة هو إرضاء الله –تعالى– والتأثر بكلامه، وكلام رسوله ﷺ، والصبر على مجالسة العلماء، والاستماع إلى آيات الذكر الحكيم وأحاديث النبي ﷺ، واليقين على الوعد الوعيد أي الجنة والنار.(٣)

والتعليم هو العمل الثاني من أعمال الخارجين في سبيل الله من المسجد، وتعتبره الجماعة السلاح الذي يرفع البشر من حضيض الذل إلى سمو العزة، فقد ورد كثير من فضائل العلم في الكتاب والسنة. قال –تعالى–: ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.(٤)

وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي»(٥)

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩
(٢) الكاندهلوي، محمد يوسف، جماعة الدعوة والتبليغ مرجع سابق، ص٦٢ – ٦٣
(٣) حماد، محمد حماد، جامع الأصول لإحياء جهد الرسول ﷺ في الدعوة والتبليغ مرجع سابق، ص٤٨
(٤) سورة آل عمران الآية ١٨
(٥) البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم رقم الحديث (٧١)

العمل الثالث: التعريف بالجماعة بعد صلاة الظهر

ويكون ذلك بقيام أحد الدعاة فيعرف الناس بالجماعة ومقصد زيارتهم لهذه القرية أو المدينة، وأنهم إخوانهم في الله ولا مطمع لهم في شيء من الدنيا، ولا هدف لهم أو غاية إلا زيارة المسلمين وتذكيرهم والتحبب إليهم والتعرف عليهم، وطلب الخروج والنفرة للدين معهم للتذكير والنصح والدعوة إلى الله، وتطهير النفوس بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.(١)

العمل الرابع: بيان العصر

بعد أن تؤدي الجماعة صلاة العصر في المسجد يقوم رجل قد تم اختياره في المشورة بإلقاء بيان يدور حول الموضوعات الآتية: جهد الأنبياء وذكر قصصهم للعبرة والعظة والتأسي بهم، والترغيب في الزيارات بذكر فضائلها وأجرها العظيم، والترغيب في الجولة والخروج في سبيل الله –تعالى–.

العمل الخامس: الزيارات الخصوصية

وبعد الانتهاء من بيان العصر ينظم أمير الجماعة أفرادها لزيارة أهل الحي الذين يسكنون بجوار المسجد، وتتكون الزيارة من فردين أو ثلاثة، حيث يكون الثالث أحد رجال المنطقة ليدلهم على مكان الزيارة، فيختارون أميراً لهم، ثم يتفقون على متكلم واحد يكون الأمير نفسه على الأغلب، وتبدأ الزيارة بالدعاء، ويجب على المتكلم أن يلتزم بالأسس الستة في كلامه معتقداً بأن الهداية والتوفيق في يد الله –تعالى–، وأنه لم يكن له مأرب شخصي أبداً عند المدعو، بل هو داعٍ إلى ما دعا إليه الرسول ﷺ، ومبلغ لما أمر به الصادق الأمين، وأمر أمته بإبلاغه، فلا شأن له سوى الامتثال لأوامر الله –تعالى– ورسوله ﷺ، وبذلك يتجنب المتحدث الرياء، ولا يخرج عن الكتاب والسنة في دعوته، وهذا هو المقصود.

والهدف من هذه الزيارات ترغيب جميع كبار مسؤولي المنطقة من القيادات السياسية والتنفيذية والشعبية والثقافية والدينية وغيرها إلى الاجتماع والارتباط والوحدة في مجال التمسك بالدين ونشره.(٢)

---

(١) انظر الجزائري، أبو بكر جابر، القول البليغ،مرجع سابق، ص١٤
(٢) انظر بيرزادة، عبد الخالق، منهج الدعاة إلى الله لمن يخرج في سبيل الله، مرجع سابق، ص١٠٧– ١٠٨

وقد حدد الشيخ محمد إلياس -رحمه الله- طبقات الخواص[١] وقسمهم إلى عدة أقسام، وسنذكرها بالتفصيل:

أولاً: زيارة القدماء[٢]

- تتم الزيارة في الوقت المناسب في منازلهم، بالتنسيق معهم.
- زيارتهم للتكريم والهداية.
- تبيين أحوال الدعوة لهم داخل البلاد وخارجها
- تبيين فضلهم وأسبقيتهم في عمل الدعوة.
- إعلامهم أن الجماعة في المسجد وتحريضهم للمشاركة والنصرة.
- الدعاء لهم ولأسرهم بالخير والبركة.[٣]

ثانياً: زيارة الوجهاء

- تتكون الزيارة من أخ متكلم وآخر في الذكر والدعاء.
- ترتب الزيارة ويحدد موعدها -إن أمكن- حسب حال المزور.
- إذا سمح للجماعة بالزيارة يجلسون حيث يطلب منهم.
- قلة الكلام في أمور الدنيا، والتكلم في عظمة الله -سبحانه وتعالى-.
- لا تتأثر الجماعة بما عند المزور من أشياء كأثاث البيت أو الكماليات.
- عدم تحقير الدنيا أمامه، وإخباره عن الآخرة، وتحميله مسؤولية الدين.
- لا تطلب منه أي خدمات للدنيا.
- قبول إكرامه إن ألح في ذلك.
- دعوته إلى رد الزيارة في المسجد ونصرة الجماعة.
- الدعاء له ولأسرته بالخير والبركة.[٤]

ثالثاً: زيارة العلماء

إن وجد عالم في المنطقة التي تم الخروج إليها تبادر الجماعة بزيارته في الوقت المناسب له، ومن الأفضل عندهم أن يلتقي كل أفراد الجماعة بهذا العالم إن أمكن؛ فيأتون إليه

---

(١) طبقات الخواص هم قدماء رجال الدعوة والوجهاء والعلماء
(٢) القدماء هو مصطلح عند الدعوة والتبليغ، ويعني: كل من خرج في سبيل الله أربعة أشهر
(٣) حماد، (محمد أبو مصعب)، جامع الأصول، مرجع سابق، ص٥٣
(٤) المصدر السابق، ٥٣

بكل احترام وتقدير، وتكون نيتهم الاستفادة من علمه، ولا يدعونه للخروج معهم، ولكن يبينون له أحوال الدعوة داخل البلاد وخارجها، ويهدونه هدية بسيطة وعادة ما تكون سواكاً.(١)

وأما غير الخواص فهم العوام والبسطاء وعامة الناس، حيث تقوم الجماعة بزيارة عامة الناس، ولا يتم ذلك إلا بعد تفقد أحوالهم من خلال سكان المنطقة، من حيث أوقات فراغهم ونوعية وظائفهم ومدى علاقتهم بأمور الدين، علماً بأنه لا يتم تحديد الفرد الذي يقصد زيارته، إلا من قبل سكان المنطقة. ولهذه الزيارة آداب خاصة، ولها أهمية بالغة في منهج التبليغ والدعوة، حيث يمثل العوام العدد الأكبر في المجتمعات البشرية، ويملكون قوة التحمل والصبر في مثل تلك الأمور.

عند زيارة الجماعة للشخص المزور يجب مراعاة أمور كثيرة، منها:

تحديد عدد الزائرين له، طبقاً لظروفه السكنية، ويكون الجلوس في المكان الذي يشير إليه صاحبه. ويحسن قبول الإكرام منه دون مناقشة، حتى لا يسبب الإحراج له. وعلى المتكلم أن يتناول في ترغيبه الموضوعات الأساسية المتعلقة بمقصد حياة الإنسان ومقصد وجوده في الدنيا، وما ينتظره في الآخرة من جنات النعيم، حيث ينتهي الكلام إلى ترغيبه لبذل الجهد في سبيل الله، وتحميله مسؤولية نحو الدين قدر الاستطاعة، لافتاً أنظار المتحدث إليه إلى أهمية شخصيته ووجوده كفرد مسؤول من أفراد هذه الأمة، وأن للبسطاء دوراً هاماً وأساسياً في تحمل أمانة الدين ونشره في أرجاء العالم.(٢)

العمل السادس: الجولة(٣)

تختلف الجولة عن الزيارة في عمل الجماعة، لأن للجولة نظاماً خاصاً وكيفية محددة، فالجماعة تعين للجولة أميراً، ومتكلماً، ويبقون أحدهم إذا خرجوا في المسجد، يدعو الله –تعالى–

(١) انظر الفيروزبوري، محمد عيسى، العمل المحلي للتبليغ، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠

(٢) بيرزادة – عبد الخالق – منهج الدعوة، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥

(٣) إن الجولة هي العمود الفقري للدعوة والتبليغ، فهي سنة الأنبياء عليهم السلام وسنة خاتم المرسلين محمد ﷺ، وقد أطلق الشيخ محمد إلياس على الجولة التبليغية اسم (كشت) ومعناه في اللغة العربية "التجوال" أو "المشي" أو "السير"، ومعنى الجولة هي اغبرار الأقدام في سبيل إحياء الدين وقد قسم الشيخ محمد إلياس الجولات التبليغية إلى عدة أقسام على المستوى المحلي والإقليمي: ١- الجولة المقامية، ٢- الجولة الانتقالية: هي نفس الجولة المقامية ولكن الفرق بينهما أن المقامية تقام في نفس المنطقة التي يقوم فيها أصحابها، أما الانتقالية ففيها ينتقل الشخص من منطقته إلى منطقة أخرى بهدف توسيع العمل الدعوي في أكثر من منطقة. ٣- الجولة الخصوصية: وهي نفس الزيارات. ٤- الجولة التشكيلية: وهي عبارة عن ذهاب فرد أو فردين من الجماعة بمرافقة احد الأصحاب من المنطقة إلى الذين لهم صلة مسبقة بالتبليغ والدعوة لترغيبهم بالخروج الفوري في سبيل الله تعالى. ٥- الجولة التحصيلية: وهي عبارة عن ذهاب فرد أو فردين من الجماعة إلى الأفراد الذين وعدوا بالخروج في سبيل الله تعالى أثناء الالتقاء بهم وترغيبهم في مجالس الوعظ والإرشاد. وحديثنا هنا عن الجولات المقامية، انظر: بيرزاده، عبدالخالق، منهج الدعوة، مرجع سابق، ص١١٦-١١٩

لهم في دعوتهم بالتوفيق والسداد، وبنجاحها في هداية المسلمين، كما يبقون آخر لاستقبال المستجيبين للدعوة، ومجالستهم ومؤانستهم بمذاكرتهم، تأليفاً لقلوبهم.(١)

وموضوع تلك الجولة هو ترغيب غير الراغبين بالخروج، ودعوة الغافلين إلى الإيمان بالله وحب الدين والعمل الصالح، وذلك بالذهاب إليهم، وإرسال جماعات الدعوة لهذا الغرض، وتوزيعها في الحارات والقرى ونواحيها على الصعيدين المحلي والعالمي،(٢) والهدف من هذه الجولات هو تحويل البيئة غير الدينية إلى بيئة دينية خالصة، وتحويل الناس من أعمالهم الفاسدة إلى الأعمال الإيمانية الصالحة حتى تعود الأمة إلى مجدها الأول(٣)

أما كيفية الجولة عند جماعة التبليغ والدعوة فهي على النحو الآتي:

- تعيين أميرٍ للجولة.
- تعيين الدليل، وهو الذي يدل الجماعة على الأشخاص الذين لديهم الرغبة بسماع كلام الدين والإيمان.
- الدليل يعرف على الجماعة بقوله: خرجنا من المسجد لا نريد شيئاً من أشياء الدنيا... نسمع مقصد الجولة من المتكلم.
- تعيين المتكلم، ويتكلم عن عظمة الله.
- لا يكون الكلام طويلاً كالبيان ولا قصيراً كالإعلان.
- يتوجه المتكلم بكلامه ونظره إلى الكل، ويتكلم بالرحمة.
- الخروج من المسجد بالرجل اليسرى.
- يمشي الخارجون اثنين اثنين متتابعين متقاربين على يسار الطريق.
- عدم دعوة الناس لإقامة الحجة عليهم، ولا بأن الجماعة أفضل منهم، بل خرجوا امتثالاً لأمر الله ولإصلاح أنفسهم، ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور.
- الجميع ينشغل بذكر الله.
- لا يتكلم إلا المتكلم، ولا يدل إلا الدليل، ولا يفصل بالأمور إلا الأمير.
- محاولة إخراج صاحب البقالة إلى الخارج حتى تكون الدنيا وراءه، ولا ينشغل بالبقالة، وحتى يمشي خطوات في سبيل الله.
- الإحاطة بالمدعو كالدائرة وجعله بالوسط حتى لا يرى نفسه كالمتهم.

---

(١) الجزائري – أبو بكر الجزائري – القول البليغ، مرجع سابق، ص١٦
(٢) فيروز بوري، محمد عيسى، العمل المحلي للتبليغ، مرجع سابق، ص٤٨
(٣) حماد، محمد أبو مصعب، جامع الأصول، مرجع سابق، ص٥٩–٦٠

- الخروج في الجولة بفكر العالم، حتى ينزل الله الهداية في العالم.
- الترغيب بالاستعداد الفوري، للخروج في سبيل الله، وعند الاستجابة من شخص ما، صحبته من أحد أفراد الجماعة إلى المسجد.
- الخروج في الجولة بالعزة لحمل أمانة هذا الدين.
- الخروج في الجولة بالشفقة والرحمة على المسلمين.
- غض البصر.
- عدم الحديث مع سفيه، أو امرأة، أو متسول، أو من يحمل حملاً ثقيلاً، أو يمشي مسرعاً، أو من يمشي مع زوجته.
- عودة جميع أفراد الجماعة إلى المسجد بالاستغفار.(١)

وأكدت جماعة التبليغ والدعوة على الالتزام بهذه الكيفية التي حددت لهذه الجولة؛ لأنهم يعتقدون أنها تحمل في طياتها أساليب حكيمة لتبليغ الدعوة والترغيب، والتعلم والتعليم، والتربية والإصلاح، حيث إن الخروج في سبيل الله إلى المناطق البعيدة يؤدي إلى تعليم الدين، وصلاح الأخلاق، والوعي، وتوطيد الشعور بأهمية الدين، حيث يرى الشخص الداعي أحوال الناس، وما فيها من جهل واغتراب عن الدين، فيبذل الجهود للوصول إلى حقيقة الأمر وإصلاح ما يرى في نفسه وفي الآخرين من نقص، كما يتعود على تحمل الشدائد والمشاق، فتتولد الرغبة عنده في أعمال الدين، وتزداد يوماً فيوماً، حتى يستشعر لذة الدين الحقيقية، فضلاً عن القوة الإيمانية التي تتولد لديه ليدعو الناس إلى الإيمان.(٢)

العمل السابع: الإعلان

حيث يقوم أحد أفراد الجماعة بعد صلاة المغرب مباشرة، ويقول: إن نجاحنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة هو الامتثال الكامل لأوامر الله، وعلى طريقة النبي ﷺ، من أجل هذا نصبر أنفسنا بوقت قليل بعد الأذكار وصلاة السنة لسماع كلام الدين والإيمان، وجزاكم الله خيراً.

العمل الثامن: البيان "الدرس"

ويكون البيان بعد الإعلان، وأما آدابه: فيقوم المبين ويستعين بالله –تعالى– متوكلاً عليه، ومفتقراً إليه، فيتكلم للناس عن أهمية الدين في حياتهم، وعلى المبين أن يكون حافظاً لآيات

---

(١) حماد، محمد أبو مصعب، جامع الأصول، مرجع سابق، ص٥٩–٦٠
(٢) خان، وحيد الدين، مولانا محمد إلياس وحركته الدينية، ط١، باكستان، ص٣٩–٤٠

القرآن الكريم عند تلاوتها ويورد الأحاديث الصحيحة المحققة. وأن لا يأتي بالغرائب من القصص، بل يلتزم بالكتاب والسنة، ويخاطب الناس بقدر عقولهم، وأن يشرح الصفات الست (مبادئ الدعوة) وخاصة صفة اليقين بالله، يقول الشيخ محمد يوسف: "عندما ينعقد الاجتماع في المسجد، يقوم بإلقاء الكلمة من اختير بالمشورة، فيبين للحاضرين أنه إذا قويت صلتنا بالله – تعالى– ماذا يترتب عليها من منافع في الدنيا والآخرة، وما هي المضرات لو لم تنعقد هذه الصلة بالله ﷻ، ويكون البيان والخطاب بأسلوب سهل مفهوم، حتى يفهمه كل من حضره، ويحس في نفسه الحاجة إلى هذا العمل، ويعلم أنه أهل لأن يتعلمه".(١)

ويطلب المبين بعد نهاية بيانه من الحاضرين الخروج في سبيل الله –تعالى– أربعة أشهر أو أي مدة، وتكتب أسماء المستعدين.

العمل التاسع: القراءة من كتاب حياة الصحابة(٢)

وبعد صلاة العشاء، تجتمع الجماعة لقراءة قصة من حياة الصحابة، ومقصد ذلك: هو أن يقارنوا أعمالهم وتضحياتهم بأعمال الصحابة وتضحياتهم فيعرفون حقيقة جهدهم وضعفه بالنسبة لجهد الصحابة، فلا يأتي في أنفسهم العجب فيزيدون جهدهم، ويعلمون أن الصحابة الكرام ﷺ هم قدوتهم في التضحية والدعوة.

العمل العاشر: بيان الفجر

وبعد صلاة الفجر يبين أحد أفراد الجماعة المبادئ الست (المبادئ العامة للجماعة)، ويتم توضيح قيمة الأذكار في هذا الوقت الطيب، ثم يختم البيان بدعاء قصير يتضمن الهداية لجميع أمة محمد ﷺ.

العمل الحادي عشر: الخدمة

وتنقسم الخدمة عند الجماعة إلى أربعة أقسام: خدمة النفس، وخدمة الجماعة الخارجة في سبيل الله، وخدمة أمير الجماعة، وخدمة من يحتاج إلى الخدمة من المسلمين.

أما آداب الخدمة فهي: اختيار أهل الخدمة بالمشورة وتكون بالرغبة، وجمع النفقة من الجماعة مع بيان فضيلة النفقة في سبيل الله –تعالى–، والتصرف بالنفقة حسب الحاجة وبمشورة

---

(١) الكاندهلوي، محمد يوسف جماعة الدعوة والتبليغ، مرجع سابق،ص٥٧

(٢) كتاب حياة الصحابة مؤلفه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ابن الشيخ محمد إلياس وهو الأمير الثاني لجماعة التبليغ والدعوة وقد ألفه الشيخ وهو خارج في سبيل الله تعالى مع جماعة التبليغ والدعوة

الأمير، والاحتساب مع استحضار فضيلة هذا العمل الجليل، والخدمة بالإخلاص والنية، وتوكيل الطهي لأهل الخبرة، والنظافة (المكان، الطعام، الأواني)، ونظافة الأواني قبل الاستعمال وبعده، ونظافة مكان إعداد الطعام، ونظافة مكان تناول الطعام، ونظافة الطعام جيداً قبل الطهي، ومعرفة المواد الموجودة في الخدمة واستعمالها قبل شراء المواد الجديدة، وتفقد جماعة الخدمة من قبل المسؤول وتوزيع الأعمال عليهم، وتنفق النفقة بالمشورة وحسب الحاجة، دون تبذير وإسراف في شراء احتياجات الطعام، ويتحرى أهل الخدمة شراء الطعام الحلال، والاهتمام في مسائل اللحوم ومشتقات الألبان والجيد من الخضار، وبعد شراء المواد ودفع الثمن، التكلم في الدعوة مع صاحب البقالة، وإعداد الطعام في المواقيت المخصصة للجماعة، ومراعاة أمزجة أفراد الجماعة في إعداد الطعام، وأن يراعوا أصحاب الأعذار (من أملاح وبهارات....)، وأصحاب الخدمة لا يحق لهم تخصيص أحد دون آخر، أو تخصيص طعام خاص لهم، وينبغي توزيع الطعام بالتساوي، ومراعاة الضيوف والخواص، والتأكد من صلاحية الطعام، والتأكد من إنضاج الطعام جيداً، وتقديم الطعام باللين والإكرام، وعدم الإسراف بل تقديم الطعام بقدر الحاجة، وعدم تقديم الثوم والبصل إلا مطبوخاً، الاحتفاظ ببعض الأطعمة الاحتياطية لأهل الخدمة، والذين يأتون في غير وقت الطعام، عدم قبول الإكرام من أي أحد إلا بعد المشورة وحسب مصلحة الجهد، لا يقبل أمير الخدمة المال أو الصدقة.[١]

(١) حماد، محمد " أبو مصعب"، جامع الأصول، مرجع سابق، ص٦٦-٦٧

الفصل الرابع: أهم الشبهات المثارة حول جماعة التبليغ والدعوة

المبحث الأول: الشبهات المتعلقة بالعقيدة

الشبهة الأولى: إن جماعة التبليغ والدعوة ينكرون توحيد العبادة، يقول حمود التويجري في كتابه القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ والدعوة: "وقد ذكر العلماء العارفون بجماعة التبليغ والدعوة كثيراً مما هم عليه من البدع، والخرافات، والضلالات، وأنواع المنكرات، وفساد العقيدة، ولاسيما في توحيد الألوهية؛ فهم في هذا الباب لا يزيدون على ما كان عليه أهل الجاهلية الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، لأنهم إنما يقرون بتوحيد الربوبية فقط، كما كان المشركون من العرب يقرون بذلك.

ويفسرون معنى (لا إله إلا الله) بمعنى توحيد الربوبية، وهو أن الله –تعالى– هو الخالق الرزاق المدبر للأمور، وقد كان المشركون يقرون بهذا التوحيد؛ كما ذكر الله ذلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن، ولم ينفعهم ذلك، ولم يدخلوا به في الإسلام".[(١)]

وللجواب عن هذه الشبهة أقول في البداية: لا بد للتويجري أن يحدد العلماء العارفين بجماعة التبليغ والدعوة الواقعين في هذه الشبهة؟ ثم من أي مصدر استقى التويجري هذه المعلومات؟ ولماذا لم يذكرها في المتن أو حتى في حاشية كتابه؟

وفي الحقيقة، عند النظر في أقوال علماء ومشايخ جماعة التبليغ والدعوة وأعمالهم تجد أنهم يوحدون الله في العبادة، فقد قال الشيخ محمد إلياس: "من المعلوم أن أكثر ما اجتهد فيه رسول الله ﷺ، وأكثر ما تحمله من الإيذاء فيه هو إعلاء كلمة لا إله إلا الله، أعني إعداد الناس لعبودية الله وهدايتهم إلى طريقه، ويكون ذلك بانشغال الدعاة في هذا العمل".[(٢)]

فمن خلال هذا النص يتبين أن الشيخ محمد إلياس بنى دعوته على عبادة الله –تعالى–، ودعوة الناس إلى عبادة الله من خلال الجماعات الخارجة في سبيل الله –تعالى–. فيقومون أنفسهم على عبادة الله وطاعته وهو المقصود من هذه الدعوة.

ويقول الشيخ أحمد لات:[(٣)] "هكذا المؤمن لا يترك أمر الله، ولا يسأل إلا الله، ولا يرجو إلا الله، فرعون اجتهد حتى لا يأتي موسى، وكان يقتل الأطفال، ولكن الله إذا أراد أن يحفظ

---

(١) التويجري، حمود عبدالله بن حمود، القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ، دار الصميعي، ط٢ (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٨

(٢) الكاندهلوي، محمد إلياس، ملفوظات، مرجع سابق، ص٢٩

(٣) وهو من قدماء مشايخ الدعوة والتبليغ في الهند، وقد عاصر الشيخ محمد يوسف، وزار الأردن في الاجتماع السنوي لجماعة التبليغ والدعوة الذي يعقد في شهر أيار من كل سنة وقد التقيت به شخصياً وسجلت له بعض دروس التي كان يلقيها في الاجتماع

الإنسان فمن يستطيع أن يضره؟ وكذلك الذي يريد الله له الحياة فمن يستطيع أن يميته؟ فالله – سبحانه وتعالى – يبين هذا حتى يقوي الإيمان في قلوب الناس إلى يوم القيامة".[١]

ويتبين من هذا القول أن الشيخ يصف المؤمن بأنه يجب عليه أن يوحد الله في العبادة، فلا يسأل ولا يرجو غير الله ﷻ، وقد اعتبرت جماعة التبليغ والدعوة من ينكر توحيد العبادة مشركاً، حيث يقول الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي: "إنما المشرك من يشرك أحداً من المخلوق مع الله –تعالى– في شيء من أوصافه الذاتية من العلم والقدرة والعبادة".[٢]

ويقول الشيخ محمد أنور شاه الكشميري: "اعلم أن الإشراك بالله على عدة أقسام: الإشراك في الذات، والإشراك في الصفات، والإشراك في العبادة، والرابع الإشراك في الطاعة".[٣]

فيقول الشيخ أبو بكر الجزائري مناقشاً لهذه الشبهة: "الصواب أن بعضهم لا يعرفون توحيد العبادة ولكنهم لا يفعلون ضده لا أنهم ينكرونه، والدليل على ذلك أنهم لا يدعون إلى عبادة غير الله لا بالدعاء، ولا بالذبح، ولا بالنذر، ولا بالخوف والرجاء".[٤]

فمن خلال هذه الأقوال نجد أن جماعة التبليغ والدعوة لا يعبدون إلا الله، ولا يتوجهون بالدعاء والاستعانة والاستغاثة إلا إلى الله، وعندما ترى أعمالهم الدعوية وتشاركهم فيها فإنك ستجدهم عابدين لله طائعين لرسوله ﷺ.

وأما أن بعضهم يتكلمون في دروسهم بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية، فلا يعني ذلك أنه غير عابد لله –تعالى–، أو أنه لا يقر بعبادة الله –تعالى–، على شرع محمد ﷺ، ولكنه يعتقد أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية نفسه بدليل قوله –تعالى–: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ** بَلَى﴾[٥] ولم يقل: ألست بإلهكم، فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية، ومن أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه،[٦] ولا ضير عند الجماعة أن يلتحق بهم من يعتقد بتقسيم التوحيد أو بمن يعتقد بأن التوحيدين واحد، لأن المهم عندهم هو العمل بعبادة الله، إن كان يعتقد بالربوبية، ويعبد الواحد الأحد، لأنه على منهج رسول الله ﷺ، فهو مؤمن بالتوحيد. ولا ننسى أيضاً أن من مبادئ جماعة التبليغ والدعوة الإخلاص لله –تعالى– في العبادة.

---

(١) عبدالرحمن، خالد، وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة، دار ثابت، ط١ (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص٧١
(٢) الأسعدي، محمد عبيدالله، دار العلوم ديوبند، مرجع سابق، ص ٥٢٦
(٣) الكشميري، محمد أنور شاه، فيض الباري، المجلس العلمي، غجرات الهند، ط١ (١٣٧٥هـ) ج١، ص٣٨
(٤) الجزائري، أبو بكر، القول البليغ في جماعة التبليغ، مرجع سابق، ص٣٣
(٥) سورة الأعراف الآية ١٧٢
(٦) الدوري، قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، مرجع سابق، ص٢٧١

الشبهة الثانية: التوسل بالنبي ﷺ والصالحين في الدعاء في حياتهم وبعد مماتهم

قد أنكر البعض على جماعة التبليغ والدعوة توسلهم بالنبي ﷺ والصالحين في حياتهم وبعد مماتهم، بحجة أن هذا الفعل لم يكن الصحابة يفعلونه، والتوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، وكذلك بالأنبياء والصالحين من الأمور التي لا يخفى خطرها على الإنسان، ويرى علماء السلف عدم جواز التوسل إلى الله -تعالى- في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو ذاته أو منزلته فضلاً عن الأولياء الصالحين.(١)

والذي أنكر التوسل بالنبي والصالحين في حياتهم وبعد مماتهم الشيخ ابن تيمية وأتباعه، فقال: "فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معانٍ:

أحدها: التوسل بطاعة، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة، يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذات النبي ﷺ والسؤال بذات النبي ﷺ، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته".(٢)

أقول: وقد رد العلماء على ابن تيمية فقالوا: إن مذهب أهل السنة والجماعة هو أن التوسل بجاه رسول الله ﷺ والصالحين مشروع جائز، لا فرق بين كونهم أحياءً وأمواتاً. ويتبرك بهم لكونهم أحباء الله -تعالى-، أما النفع والضر والخلق فهو لله -تعالى- وحده لا شريك له.(٣)

وأما علماء جماعة التبليغ والدعوة فقد أجازوا التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين، يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري: "عندنا وعند مشايخنا يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين، من الأولياء والشهداء والصادقين في حياتهم، وبعد وفاتهم، بأن يقول في دعائه: (اللهم إني أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضي حاجتي)".(٤)

ويقول الإمام السبكي: "اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه -سبحانه وتعالى- وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، والمعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك حتى جاء ابن تيمية فتكلم فيه بكلام يلبس فيه على الضعفاء، وابتدع ما لم يسبق إليه سائر

---

(١) الرحمن، سيد طالب، الديوبندية تعريفها – عقائدها، دار الصميعي، ط١، (١٤١٩هـ/١٩٨٨م)، ص٢٢٣
(٢) بن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، مكتبة الفرقان، ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٨٧
(٣) دحلان، أحمد بن زيني، رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ، مكتبة الحقيقة باستانبول، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص١٨٠
(٤) السهارنفوري، خليل أحمد، عقائد علماء أهل السنة الديوبندية، مرجع سابق ص٤٠

الأعصار، وإنكار ابن تيمية للاستعانة والتوسل قول لم يقل عالم قبله وصار به بين أهل الإسلام مثله).[١]

ودليلهم على جواز التوسل بالنبي ﷺ والصالحين حديث أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب. فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون.[٢]

وقد أجاز التهانوي التوسل بالنبي محمد ﷺ وبالصالحين في حياتهم وبعد مماتهم بدليل حديث عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر، أتى النبي ﷺ، فقال: "ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فشفعه في"[٣]

ويعلق الشيخ التهانوي على هذا الحديث فيقول: "أن ما يستدل به المجوزون لاحظوا من الروايات، لعل أقواها الحديث السابق، وإن قوة الحديث وصراحته قد لفتت أنظار المانعين إليه، بحيث إنهم التجأوا إلى الجواب عنه لكن لا بالتضعيف ورد الحديث بل بالتوجيه والتأويل، فقال المانعون إن التوسل المذكور كان بالدعاء بناءً على أنه هو المعروف عملاً في الروايات، وبناء على أن الأعمى كان طلب منه الدعاء".[٤]

لكن المتبادر من معناه في الحديث هو التوسل المتنازع فيه – أي التوسل بالذات – لأنه لا يفهم من القصة دعاؤه ﷺ بل دعاء الأعمى إياه –تعالى– بأمره ﷺ، وبلفظ لقنه النبي ﷺ إياه.

الشبهة الثالثة: الطواف حول القبور

كثير من معارضي جماعة التبليغ والدعوة يقولون: إن من عقيدة الجماعة الطواف حول القبور، يقول الشيخ سعد الحصين: "إن الشيخ محمد إلياس كان قبورياً حيث كان يجلس في خلوته عند أحد القبور الموجودة في دلهي "بنظام الدين"، وهو حي يتميز كما يدل اسمه بالأوثان

(١) السبكي، تقي الدين علي بن عبدالكافي، شفاء السقام في زيارة خير الأنام، طبعة حيدر أباد، (١٨٩٨م)، ص١١٩

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم ١٠١٠، ص٢١٧

(٣) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم ١٣٨٥، ج١ ص٤٤١ وفيه بعده. قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح

(٤) التهانوي، أشرف علي، نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب، مكتبة أشاعت العلوم، سهارنفور، (١٣٩٩ه)، ص٢٤٧

من أضرحة من يسمونهم "حضرت أولياء نظام الدين" وهي لا تبعد بشركها ووثنيتها أكثر من مئة متر عن مقره بالمركز الرئيسي لجماعة التبليغ والدعوة".[١]

أقول: في الحقيقة كثيراً ما تُكلم على الجماعة من أنهم قبوريون، ولكنني سافرت إلى الهند إلى منطقة حي نظام الدين الموجود فيه المركز الرئيسي لجماعة التبليغ والدعوة، وأقمت فيه عشرة أيام، وفي أثناء إقامتي ناقشت مشايخ الجماعة، وقلت لهم: إن كثيراً من الناس يتهمونكم أنكم قبوريون، ولكنني لم أجد هذا الفعل فيكم فلماذا هذا الاتهام؟

فقالوا لي: توجد فرقة إسمها البريلوية،[٢] والفرق بينها وبين جماعة التبليغ والدعوة أن البريلوية يطوفون حول القبور، ومؤسسها هو أحمد رضا خان، وأما جماعة التبليغ والدعوة فلا يطوفون حول القبور ومؤسسها الشيخ محمد إلياس، وهناك فروق كثيرة لا مجال لذكرها الآن ومركز البريلوية يبعد عن مركز جماعة التبليغ والدعوة كيلو متراً واحداً، والبريلوية تختلف عن جماعة التبليغ والدعوة وهم في الحقيقة يعبدون القبور ويطوفون حولها، وكثير من الناس بسبب جهلهم لجماعة التبليغ والدعوة يعتقدون أن فرقة البريلوية هي جماعة التبليغ والدعوة نفسها. والجدير بالذكر أن البريلوية يتبرؤون من جماعة التبليغ والدعوة ويكفرونهم؛ لأنهم لا يشاركونهم طوافهم حول القبور وعبادتها.

ومن أشد المعارضين للشيخ محمد إلياس هذه الفرقة، فقد قام هؤلاء ببذل كل جهودهم لمناهضة الشيخ محمد إلياس وجماعته –كالعادة–، حتى اتفقوا على أنه لو دخلت الجماعة في مساجدهم فسيلقون بأفرادها خارج المسجد ويطردونهم من المحلة أو القرية ويؤذونهم حتى لا يعود أفرادها.

وقد تعاهد جميع البريلويين على ذلك، حيث أقسموا جميعاً على القرآن الكريم على هذا العهد، الذي يجدد في كل درس للوعظ أو أي محفل.

ومن أبرز بنود هذا العهد هو أن جماعة التبليغ والدعوة وشيوخها وأتباعها كفار باتفاق علماء أهل السنة –حسب ما يدعون لأنفسهم– وأنهم وهابيون من أتباع محمد عبد الوهاب، وهم أعداء الرسول، ولذلك يجب طردهم من المسجد بكل عنف وتعذيب، ثم يغسل فرش المسجد سبع

---

(١) الحصين، سعد، من رسائل السلف (القول البليغ في جماعة التبليغ، ص٤، وهي نسخة أوراق مصورة ولبست مطبوعة

(٢) البريلوية: فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة برلي في ولاية أترابراديش بالهند، وقد اشتهرت بمحبة الأنبياء والأولياء وتقديسهم بعامة والنبي ﷺ بخاصة، ومؤسس هذه الفرقة هو أحمد رضا خان بن تقي علي خان، ولد سنة (١٢٧٢هـ)، وسمى نفسه عبد المصطفى، وهذا لا يجوز في الإسلام لأن العبودية لله وحده، ومن أبرز كتبه أبناء المصطفى، ودوام العيش، توفي سنة (١٣٤٠هـ). انظر: الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٢٩٨

مرات، ولا يستمع أحد لكلامهم، وإن صافحهم أحد فسد نكاحه فعليه تجديد إسلامه وتجديد نكاحه.

ومن أبرز هؤلاء المعارضين "أرشد القادري البريلوي الهندي" الذي قام بتأليف كتاب مستقل أسماه "جماعة التبليغ والدعوة في ضوء الحقائق والمعلومات"

وقام بتكفير الشيخ محمد إلياس وجميع شيوخه ومتبعيه بحجة أنهم وهابيون، وأن جماعة التبليغ والدعوة في الأصل جماعة محمد عبدالوهاب النجدي وهي فتنة وهابية، وزعماؤها عملاء للاستعمار وأعداء للإسلام، وهم أهل الكفر والضلالة وجماعة الشياطين الذين تجد في أصحابها جميع علامات الفساد و الإلحاد.(١)

الشبهة الرابعة: تقصيرهم في طلب العلم

توالت الاتهامات على جماعة التبليغ والدعوة أنهم يقصرون في طلب العلم، وأن أكثر أتباع الجماعة أناس عاميون، وأن بضاعتهم في العلم مزجاةٌ قليلة.(٢)

يقول محمد شقرة مفنداً هذه التهمة: "إن صدقت هذه الدعوى من وجه ما، فإنها دعوى كاذبة من جهة أخرى، ذلكم أن العلم يُنظر إليه بآثاره، ومن خلال هذا الأمر يحكم عليه، وقد علمنا أن أثر العلم هو العمل الذي يطلب منه السلوك الرضي الذي لا يفارقه ولا يغيب ولا ينقطع منه؛ إذ لا فائدة من علم لا ينال منه صاحبه إلا الدعاوى التي لا توقع صاحبها إلا في الآثام والكذب الذي لا يأتي بصاحبه عن النار، إلا بقدر ما يهيئ لصاحبه فيها من مقعد في سوء العذاب".(٣)

وفي الواقع إن جماعة التبليغ والدعوة تقسم التعليم إلى علم فضائل وعلم مسائل، وتبدأ بعلم الفضائل قبل المسائل وحجتها في ذلك أن الفضائل تؤدي إلى معرفة قيمة الأعمال وأجرها وثوابها، أما المسائل فهي الوسيلة لمعرفة أداء تلك الأعمال.

فتقديم الفضائل على المسائل في التبليغ لأن الأمة الإسلامية لا تقدر قيمة الأعمال الدينية، وبذا نجد عدم الرغبة في الأعمال الصالحة وعدم اليقين في الوصول بها إلى السعادة،

---

(١) انظر: بيرزادة، عبد الخالق، الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين، مكتبة النفيس (لاهور، باكستان) ط٢ (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٨٢

(٢) انظر: التويجري، حموده عبدالله بن حمود، القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ، مرجع سابق، ص٢٢

(٣) شقرة، محمد إبراهيم، الحق ما شهدت به العلماء، لا يوجد دار نشر، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص٥٤

فكان من اللازم أن تكون مذاكرة الفضائل بصورة جماعية، قبل كل شيء، نظراً لتلك الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية.[١]

ولا تمنع الجماعة أفرادها من أن يتعلموا المسائل عند العلماء، إذ هو أمر لا بد منه، ولكن المأخذ على الجماعة أنه ليس لهم منهج علمي موحد في العالم، بحيث يطبق هذا المنهج على جميع أفرادها الذين التحقوا بهم في كل مكان، بل لكل طالب علم أن يذهب إلى عالم متمذهب بأحد المذاهب الأربعة، وله حرية كاملة في التعلم والتعليم وأداء العبادات طبقاً لما يقول مذهبه الذي يسير على منهجه،[٢] ومن هذا الباب نجد مقبولية الجماعة لدى الناس في جميع مشارق الأرض ومغاربها، وانضمام كثير من عوام المسلمين إليها، حيث إن الجماعة تجتهد على الغافلين عن طاعة الله ورسوله ﷺ، وممن أسرفوا في المعاصي والآثام، فتجد الجماعة يهتمون بهؤلاء العصاة حتى يتوبوا، فيحسبون على جماعة التبليغ والدعوة ثم تأتي الاتهامات أن هؤلاء الأشخاص مقصرون في طلب العلم، فعجباً كيف لهم أن يكونوا علماء دفعة واحدة مع أن توبتهم حديثة، فقد أتت الجماعة بهم من الأسواق والغفلة إلى طاعة الله وتربية المساجد.

وهناك بعض العامة من المسلمين من يظن أنه لا بد للداعية من أن يكون فقيهاً أو عالماً، وهذا ليس بصحيح،[٣] لأن الذي يحفظ آية واحدة من كتاب الله فعليه أن يبلغها لمن يجهلها ولهذا فان الداعية يجب أن يكون عالماً لما يدعو إليه.

المبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالسلوك والمنهج

الشبهة الأولى: تبديعهم للخروج وتحديد مدته بثلاثة أيام وبأربعين يوماً وبأربعة أشهر

فقد وردت هذه الشبهة بقول القائلين إن المبلغين مبتدعون وذلك لخروجهم جماعات، ولتحديد الخروج بثلاثة أيام وبأربعين يوماً وبأربعة أشهر.[٤]

يقول أبو بكر الجزائري: "إن الخروج لإصلاح ذات البين، كالخروج لطلب العلم والهداية وكالخروج لدعوة الناس إلى ربهم، ولتعليمهم ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، جميعه خروج في سبيل الله –تعالى– متى صلحت فيه النية، وأريد وجه الله ﷻ ولم يرد به مال ولاجاه،

---

(١) انظر: بيرزادة، عبد الخالق، منهج الدعوة إلى الله لمن يخرج في سبيل الله، مرجع سابق، ص٥٦
(٢) المصدر السابق، ص٥٦
(٣) انظر: منصوري، عبد الله أحمد، فضائل الدعوة إلى الله تجارب وذكريات، ط١، الرياض، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٨٩
(٤) انظر: الهلالي، سليم بن عيد، الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، مركز الدراسات المنهجية، ط٣، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٣٤٠

ولا نزهة في لهو باطل، ومن الجهل أو التجاهل إنكار خروج المبلغين لهداية الناس وتعليمهم وإصلاح نفوسهم وتزكية أرواحهم".(١)

وكتبديعهم الخروج تبديعهم تحديد أيام الخروج، وما علموا أن هذا دعوة كنظام المدارس والجامعات في أيام عطلها، ويحتاجون إلى التحديد ليعرفوا مدة غيابهم للدعوة إلى الله، وليتزودوا لذلك ما يحتاجون إليه من نفقة ومتاع، أفمع هذا يبدع المبلغون في تحديد هذه الأيام لصالح الدعوة في الخروج في سبيل الله.(٢)

وتحديد الخروج في سبيل الله عند جماعة التبليغ والدعوة هو للترتيب العملي الدعوي فقط، وليس على أساس الإلزام أو الفرض يقول بيرزاده: "لقد رتب الشيخ محمد إلياس برنامجاً خاصاً يحتوي على خطة مدروسة كاملة، مع تحديد فترة القيام بالخروج في سبيل الله، فالفترة هي ثلاثة أيام في الشهر، ثم تزيد تلك الفترة إلى أربعين يوماً متتالية في السنة، ثم أربعة أشهر متتالية في العمر كله مرة واحدة، ثم التقدم إلى الأمام حسب التوفيق"، ومن هنا نجد أن تحديد الفترات إنما هي للترتيب فقط، وليس على سبيل الإلزام، لأن جماعة التبليغ والدعوة تقبل من الأفراد الذي يفرغون أوقاتهم لأي مدة كانت، ولا تلزمه بهذه الفترات المرتبة بحسب منهج الجماعة وخبرتهم.

الشبهة الثانية: إن دعوة التبليغ دعوة صوفية(٣)

يقول أبو بكر الجزائري: "إذا كان التصوف طريقة صوفية، شاذلية،(٤) أو تيجانية(٥) أو رفاعية أو غيرها، وهي تقوم على طاعة الشيخ المربى والتزام الود والمؤاخاة فنعم الطريقة، والدفاع عنها وعداء كل من يعاديها، فو الله ما رأينا في جماعة التبليغ والدعوة هذا، لا في شمال إفريقيا ولا في أوروبا ولا في الشرق الأوسط، ولا سمعنا عنه في أمريكا، ومع هذا لو وجد فرد

---

(١) انظر: الجزائري، أبو بكر، القول البليغ في جماعة التبليغ، مرجع سابق، ص٣٦

(٢) المصدر السابق، ص٣٥

(٣) انظر: الحاشري، فيصل بن عبده، الخطاب البليغ في جماعة التبليغ، مرجع سابق، ص٥٢

(٤) الشاذلية: أسسها أبو الحسن الشاذلي وهو صوفي بارز وأصله من شاذلة بتونس، ثم وفد إلى مصر مع بعض تلاميذه، واستوطنوا مدينة الإسكندرية، وكان ذلك حوالي (٦٤٢هـ)، وأما الأصول التي تقوم عليها الطريقة الشاذلية فهي خمسة: ١-تقوى الله في السر والعلانية. ٢-إتباع السنة النبوية في الأقوال والأفعال. ٣-الإعراض عن الخلق في الإقبال والأدبار. ٤-الرضا عن الله في القليل والكثير. ٥-الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء. انظر: عبيدات، محمود سالم، أثر الجماعات الإسلامية، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٣٣٢

(٥) أسسها أحمد بن محمد الملقب بأبي عمر، ولد في إيران (١١٥٠م/١٢٣٠هـ) سافر للحج ثم توجه للمغرب واستقر فيها وكان يدعو للحفاظ على الصلوات الخمس بجماعة والصدق، ومعاملة الناس باللين والرفق وانتشرت طريقته في العالم العربي والإسلامي. انظر عبيدات أثر الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٣٥

مع جماعة التبليغ والدعوة متصوفاً ذا طريقة فلا يكون ذلك عيباً في دعوة الجماعة، إذ هي دعوة عالمية يدخل فيما من هب ودب.

وحسب الجماعة أن منهجها خال من الطرق الصوفية، وأنها لا تدعو إليها، بقول ولا عمل كما هو معلوم لكل من خرج مع الجماعة، وكون بلاد نشأة جماعة التبليغ والدعوة وهي الهند بلاد تكثر فيه الطرق الصوفية، فإن مصر اليوم بها سبعون طريقة صوفية، ولها مجلس أعلى يديرها، فهل ضر ذلك الجماعات الإسلامية بمصر؟".(١)

ويقول الجزائري: "وإن فرضنا جدلاً أن الشيخ محمد إلياس المؤسس لجماعة التبليغ والدعوة كان صوفياً أو أن خلفه الشيخ إنعام الحسن كان صوفياً، والدعوة خالية في منهجها وأسلوبها من التصوف، فهل يخل ذلك بالدعوة حتى تصرف الناس عنها؟".(٢)

ويقول الشيخ إنعام الحسن: "والطرق الصوفية ليست –قطعاً– من أصول هذه الدعوة كما هو مقرر ومعلوم، ولا ندعو الناس أبداً لا صراحة ولا إشارة، لا عرباً ولا عجماً، ولكننا نقر منها ما يوافق الربانية التي عبر عنها القرآن الكريم "بالتزكية" والحديث الشريف "بالإحسان" وما يخالف ذلك فإننا نعتبره بدعة وضلالة، ولا علاقة له بالإسلام ولا علاقة لنا به، وليس لنا وجهان، والحمد لله في ذلك".(٣)

الشبهة الثالثة: جماعة التبليغ لا يشاركون في السياسة

أما موقف علماء الجماعة من السياسة: فيقول الشيخ محمد إلياس: "إن المسلمين قد استطاعوا السيطرة على مقاليد الحكم وتقويته بفضل سياسية سليمة ومتينة، وذلك بعد قيامهم بالدعوة الإلهية الخالصة، لمدة طويلة، ولكن لما ضعفت جهود الدعوة، بدأت تضعف أسس الحكومة العادلة، وكان يرى أن السبب الوحيد في كل ما يعانيه المسلمون من الاضطراب والخلاف، هو السياسة الفاشلة خاصة في شبة القارة الهندية، لأن المسلمين قد بدأوا في العصور الأخيرة، أتباع منهج السياسة قبل الدعوة، بأن صبغوا الأمور الدينية بصبغة السياسة الغربية، وحاولوا أن يأخذوا طرقها وأساليب تنظيمها وإدارتها، وقد أدت تلك الطرق والأساليب، إلى نشر الأفكار الغربية التي لا تؤدي إلى قيام الحكم الإسلامي في البلاد مطلقاً".(٤)

---

(١) الجزائري، أبو بكر، القول البليغ في الدعوة والتبليغ، مرجع سابق، ص٢٥–٢٦

(٢) المصدر السابق، ص٢٥–٢٦

(٣) عبد الكريم، محمود، هذه دعوتنا، تقديم الشيخ محمد إبراهيم شقرة، دائرة المكتبة الوطنية، ط١ (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص١٦٦

(٤) انظر: ميتا، خالد، الدعوة والتبليغ، مرجع سابق، ص١٠٣

والشيخ محمد إلياس لم ينشئ جمعية سياسية، أو يستعمل العنف ضد من يخالفه في منهجه، فجرد نفسه لخدمة المجتمع الإسلامي، والتربية الروحية طبقاً للكتاب والسنة الشريفة، وآمن إيماناً كاملاً بأنه يمكن إصلاح الأمور السياسية بإصلاح المجتمع دينياً وخلقياً.

مما تقدم نرى أن القائمين على التبليغ والدعوة لهم منهجهم، وهو تربية المسلمين وتعليمهم أمور دينهم، وذلك كونهم لا يشاركون في العمل السياسي، فهم يدعون الغافلين من المسلمين إلى الدين، فإذا وجد الدين في حياة المسلمين، فالله ﷻ، تكفل بنصرتهم، واستخلافهم في الأرض، قال –تعالى–: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾.[(١)] وقد يقول قائل: لماذا أهل الدعوة، لا يشاركون في العمل السياسي مع الأنظمة الحاكمة، ومن خلالها يعملون للوصول إلى الحكم، فيحكمون بشرع الله –تعالى–، يقول الدكتور عبدالخالق بيرزاده: "إن الهدف المنشود من الحركة الإيمانية، هو إصلاح الأحوال والأعمال، وصلاح الأعمال يرتبط بصلاح القلب، وإذا صلح القلب صلحت جميع الأمور، فالشيخ لم يدع أحداً إلى السياسة التي كان يؤمن بها في الأمور الدنيوية، كما لم يسمح لأحد أن يدعوه إلى أي مسلك سياسي يميل إليه، أو يفتح أحد باب المناقشات السياسية مع الخارجين في سبيل الله، الذين خرجوا لفترة وجيزة لهدف معين محدود، والتعلم والتعليم أساس الدين، كما لم يجبر الشيخ أحداً أن يترك نظريته السياسية، فكل واحد حر في نظريته، ولكنه كان يشترط للخروج، ألاّ يتحدث في السياسة حيث إذا انتهت مدة تدريبه لأمور الدين، وغادر المركز، فله حرية كاملة في نظرياته السياسية، أو غيرها من أمور البلاد، وذلك نظراً لعموم المنهج، حتى يشترك الجميع، فلذلك نجد مشاركة كبار السياسيين في أعمال التبليغ حيث لا يتكلمون عن السياسة أثناء الخروج، ولكن الأهم من ذلك هو أن القائمين على التبليغ والدعوة لا يؤيدون أي جماعة سياسية، قولاً كان أم كتابة، كما لا يأخذون أي شخصية سياسية، في شؤونهم القيادية، من المشورة وترتيب الأمور، كما لا يأخذون السياسيين أمراء على الرحلات المحلية والعالمية، حتى وفي الجولات المقامية، حتى لا يستغل احد هذه الأمور التي لا تهدف إلى الوصول إلى الحكم، بل تهدف إلى إصلاح أحوال الحاكم والمحكوم. وكانت هذه، هي حكمة بالغة، في مجال أمور الدعوة، وتذليل جميع العقبات في طريقها ولكن البعض لا يعجبه ذلك، فبدلاً من أن يفهم المعارض قيمة هذا البند في المنهج، يضل الطريق ويضل الناس معه، فهو لم يعرف أن الجديد الذي يخرج مع الجماعة في هذا العمل، لا يعرف شيئاً من الدين إلا من الأمور السياسية، وان الأحزاب المعادية للإسلام بالمرصاد لاستغلال هؤلاء لضرب أي حركة تخدم الإسلام والمسلمين، وان هؤلاء السذج أسهل وأرخص

---

(١) سورة محمد الآية ٧

سلاح لإضعاف أي حركة، بحيث إذا قام هؤلاء الجهلاء بشعارات مذهبية، فرعية أم سياسية أم قومية، في مراكز التبليغ والدعوة، أم غيرها من مراكز الدعوة والإرشاد فستبدأ مرحلة الانهيار، لأية حركة، مهما بلغت قوتها أو تنظيمها".[١]

وقد سئل الشيخ محمد إلياس: لماذا لم يتمكن المسلمون من الحكم والدولة؟ قال: "ما دمتم غير منفذين أحكام الله ونواهيه على حياتكم المنزلية، الذي هو في اختيار أنفسكم، ولا يوجد معوق فيه، فكيف يولى إليكم نظام وتنسيق الدنيا؟ لأن الغاية من تولية الحكم الأرضي، هو أن تنفذوا مرضاة الله، وأحكامه في الأرض، قال –تعالى–: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[٢] فلما لم نكن منفذين هذا فيما هو ملكنا اليوم، فبتمكين الدولة في أيديكم غداً فماذا يكون الأمل فيكم".[٣]

الشبهة الرابعة: أن أهل الدعوة ينكرون الجهاد ويغيبون روح الجهاد في الأمة، ويعتقدون أن من خرج معهم في التبليغ فقد جاهد جهاداً كبيراً[٤]

ولمناقشة هذه الشبهة لا بد أن نوضح مسألة مهمة، هل الجهاد مطلوب لذاته أم لغيره؟ وما يؤول إليه؟

إن الأحكام الشرعية تنقسم إلى وسائل ومقاصد، والوسائل هي المؤدية إلى هذه المقاصد، وهي أقل درجة ورتبة من مقاصدها لأنها مطلوبة بقصد تحقيق الثاني، بخلاف المقاصد التي هي مطلوبة بالطلب أولاً، وبما أن الجهاد مطلوب طلب وسيلة فتكون درجته ورتبته رتبة الوسيلة بخلاف الدعوة فإنها من باب المقاصد.[٥]

فمقصد الجهاد وإزهاق الأنفس هو دعوة المجاهدين لرب العالمين والحرص على ذلك، وأمرهم بكل معروف وأعرف المعروف هو التوحيد والإيمان وعبادة الرحمن ونهيهم عن المنكر وهو الكفر وعبادة الشيطان، فما كان القتل والقتال مقصوداً في ذاته ولكن مطلوب ومحمود لما يؤول إليه، وذلك لمقصد الدعوة إلى الله، فالجهاد محمود إذا كان على مقاصده وعلى بابه، فإذا كانت الدعوة من مقاصد الجهاد، وهي أعلى درجاته فهي مطلوبة طلب مقصد وغاية، وأجرها اجر المقاصد وإذا كان الجهاد مطلوباً طلب وسيلة فأجره أجر الوسيلة، وهي أخفض درجة من

---

(١) بيرزاده، عبدالخالق، الشيخ محمد الياس بين المؤيدين والمعرضين، مرجع سابق، ص ١٢٣
(٢) سورة الحج الآية ٤١
(٣) الكاندهلوي، محمد الياس، ملفوظات محمد الياس، مرجع سابق، ص١٥
(٤) الهلالي، سليم بن عيد، الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٤١
(٥) أبو شادي، أيمن، نظرة علمية في أهل التبليغ والدعوة، ط٣، القاهرة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ص١١

أجر المقصد، فالجهاد حسن لما يؤول إليه، حسن لمقصد الدعوة، وحسنه حسن الوسائل لا المقاصد بخلاف الدعوة فإن حسنها حسن مقاصد.(١)

وإن تبليغ الرسالة والخروج للدعوة وتفريغ الأوقات من أفضل الوسائل، لأنه يؤدي إلى أفضل المقاصد، والجهاد ليس مقصوداً به إلا الهداية، فلو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى، فالهداية هي الهدف المنشود، لأن بها تعريف العبد بحق مولاه عليه، وأما قتل الكفار، وإزهاق الأرواح، فليست من المقاصد التي شرع من أجلها، وهل قام أهل الدعوة في هذا الزمان إلا بإصلاح العلاقة بين الخالق والمخلوق وإقامة دلائل الهداية بغير القتال؟ فالذين يلزمون المتطوعين من الدعاة الصادقين بأنهم أماتوا الجهاد في الأمة، ما كان لهم أن يفتروا عليهم لو أنهم دققوا في الحكمة من الجهاد أو القتال.(٢)

الشبهة الخامسة: جماعة التبليغ والدعوة لا ينهون عن المنكر(٣)

يقول جابر: "إن منهج الجماعة –وقد سبق بيانه من مبادئه– الإنكار على ذوي المنكر وذلك لأمرين:

الأول: إن الإنكار في مجتمعات غلب عليها الجهل، وسادها الفسق، لا يجدي نفعاً، وهذا واقع لا ينكره ذو بصيرة بأحوال الناس.

الثاني: أنهم قد استعاضوا عن الإنكار بالقول بأن يهاجر فاعل المنكر بالخروج به بعيداً عن بيئته، ووضعه بين يدي مربين حكماء، ويعالجونه بالحال وطيب المقال، فلا يلبث حتى يترك المنكر".(٤)

---

(١) أبو شادي، أيمن، نظرة علمية في أهل التبليغ والدعوة، ط٣، مرجع سابق، ص١٤
(٢) المصدر السابق، ص٦٣
(٣) التويجري، حمود، القول البليغ، مرجع سابق، ص٢٧٤
(٤) حسن، محسن بن علي جابر، الطريق إلى جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص٣١٦

الخاتمة

تتضمن هذه الخاتمة خلاصة موجزة للنتائج التي وصلت إليها أثناء البحث ومن هذه النتائج ما يلي:

١- نشأت جماعة التبليغ والدعوة في الهند على يد الشيخ العالم محمد إلياس الكاندهلوي، الذي نشأ في أسرة دينية متمسكة بتعاليم الإسلام، والذي كان له المكانة العلمية بين علماء عصره بشهادة أهل العلم والتقى، وقد نشأت هذه الجماعة في ظروف صعبة حيث إن المسلمين أصابهم الذل والهوان بسبب بعدهم عن كتاب الله ومنهج رسول اللهﷺ، فكانت بداية الإصلاح وانتشال المسلمين في الهند من التدني الخلقي والديني، وظهر التمسك بالأخلاق والشريعة الإسلامية على كاهل الأفراد الأوائل من جماعة التبليغ والدعوة.

٢- انتشرت الجماعة وانتشر عملها الدعوي في أرجاء العالم كله، لأن دعاتها ورجالها منتشرون في معظم أقطار العالم، وهي الآن من أكبر حركة إسلامية للدعوة والإرشاد في العالم، وقد بلغ عدد أتباعها بالملايين، حيث تعقد اجتماعات سنوية في بلاد النشأة الأولى للجماعة مثل الهند، والباكستان وبنغلاديش، وبلغ عدد المجتمعين ثلاثة ملايين شخص، وهؤلاء يتأهبون للخروج في سبيل الله -تعالى- أفواجا لإعلاء كلمة الله -تعالى-، وحمل أمانة الإسلام والرشد والهداية، فقلما تجد بلداً أو مدينة أو قرية لم تصل إليها تلك الرحلات الدعوية التي تجهز بعد الاجتماع السنوي.

٣- إن منهج الجماعة الدعوي -وخاصة تلك المبنية على المبادئ الست- هو انفع منهج لتغيير المجتمعات من حياة الغفلة والفسق والمعاصي إلى حياة التذكر والصلاح والتقوى، لأن هذا المنهج له اثر على حياة الآلاف من الناس، فأصبح عباد الدنيا العاكفون على الملذات والشهوات، والغارقون في المعاصي والمحرمات، من عباد الله المخلصين والمسلمين الأبرار المتقين، وهذا المنهج هو أقرب طريق لمناهج الأنبياء والصحابة.

٤- وقفت جماعة التبليغ والدعوة موقف الاعتدال من المدارس الإسلامية الأكثر أهمية لدى أهل السنة والجماعة (السلفية، الأشعرية، الماتريدية)، إلا أن من الواضح أنها تتبنى آراء الماتريدية وتميل إلى بعض الآراء الأشعرية، أما موقفها من السلفية وخاصة من الإمامين ابن تيمية وابن القيم، فإنها تعترف بجلال قدرهما ومكانتهما العلمية، إلا أنها لا تأخذ بآرائهما العقدية.

٥- تبين لنا أن جماعة التبليغ والدعوة تكفر أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لأنهم يعتقدون بعقائد باطلة مخالفة للعقيدة الإسلامية، وترى اليهودية والنصرانية جماعة التبليغ

والدعوة عدوها الأول، لأنها جماعة حركية تنشر الفكر الإسلامي الصحيح، وتوقظ النـاس مـن غفلتهم.

٦- من خلال إمعان النظر في جماعة التبليغ والدعوة من حيث أقوالهم العقدية وآراؤهم في الإلهيات والنبوات والسمعيات، نتوصل إلى أن الجماعة تنتمي لأهل السنة والجماعـة، ولا تبعد عنها قيد شبر، فهي تؤمن بإيمان أهل السنة والجماعة، وتلتزم أقوال العلماء الموثوق بهـم، الذين دافعوا عن العقيدة الإسلامية لا سيما الفرق الضالة.

٧- وبما أن نشأة الجماعة كانت بين أوساط الديانات الوضعية مثل الهندوسية وغيرهـا، فكان لزاما عليها أن تدافع عن العقيدة الإسلامية ولا سيما التوحيـد، حيـث أصـبح المسلمون مهددين في عقيدتهم من خلال بث الأفكار المسمومة والتشكيك في عقيدة الإسلام، ومن ذلك نجد أن جماعة التبليغ والدعوة تصدت لهذا الهجوم العنيف على العقيدة الإسلامية، وظهر رجال مـن الجماعة بكل بسالة وإقدام للرد على هذه الديانات الوضعية مثل الشيخ أشـرف علـي التهـانوي الملقب بحكيم الأمة.

٨- بسبب ضخامة العمل الدعوي وانتشاره في مشارق الأرض ومغاربها، قـام النـاس يؤيدونه ويزكونه ويحبونه وقام آخرون يعارضون ويسيئون إليه ويكرهونه، فالمعارضون لمنهج التبليغ والدعوة وأهله يثيرون الشبهات ضدهم، ويصفونهم بالبعد والانحراف عن منهج الرسـول ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم-، ويلصقون التهم السيئة بكل أفراد جماعـة التبليـغ والـدعوة، وينكرون جميع مالهم من الحسنات والإحسان، وبلغ البعض في اتهامهم إلى درجة أن ضمهم إلى الفرق الخارجة عن دائرة الإسلام، وأما المؤيدون فيعتبرونهم مجاهدين في سبيل الله، مخلـصين، عاملين في سبيل إحياء كل ما جاء به النبي ﷺ، ويعتبرونهم جنود الله ينتشرون في أرجاء العـالم لنشر عقيدة التوحيد.

المراجع

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ط١، مكتبة الفرقان.

ابن عذبة، الحسن بن عبدالمحسن، (١٣٢٢هـ)، **الروضة البهية فيما بين الأشعرية والماتردية**، ط١، الهند: مجلس دائرة المعارف النظامية.

ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان الحنفي، (١٣٠٤هـ)، **رسالة في الاختلاف بين الاشاعرة والماريدية**، ط١، استانبول

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الفكر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، (١٩٦٨م)، **لسان العرب**، ط١، بيروت: دار صادر.

أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، ط٢، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

الأسعدي، محمد عبيدالله، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، **دار العلوم ديوبند**، ط١، أكاديمية شيخ الهند (مدرسة فكرية وتوجيهية، حركة إصلاحية دعوية، مؤسسة تعليمية تربوية).

الأعظمي، د. محمد، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، **حقيقة البهائية والقاديانية**، ط١، لبنان، بيروت: مؤسسة الأعلى.

الألباني، محمد بن ناصر، (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، **تخريج أحاديث مشكلة الفقر**، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي.

أمين، صادق، (١٩٧٨م)، **الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية**، جمعية العمال، مطابع التعاونية.

الأنصاري، صدر الدين عامر(١٩٧٣م)، **الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية**، ط١، الهند: نظام الدين.

الباقلاني، محمد بن الطيب، **الأنصاب**، المكتبة الشاملة.

بالمبوري، محمد عمر، **لسان التبليغ والدعوة**، الهند: دار النشر فريد بدر.

البالنبوري، سعيد أحمد، (١٣٩٤هـ) **العون الكبير في شرح الفوز الكبير**، ط١، الهند: مكتبة حجاز ديوبند.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٠٧هـ/١٩٧٨م) **الجامع الصحيح**، ط٣، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير.

البرني، عبدالرحمن، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، **علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث**، ط١، أكاديمية شيخ الهند

البرني، محمد عاشق الهي، **العناقيد الغالية من الأسانيد العالية**، كراتشي: مكتبة الشيخ.

البرووي، عبدالله، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، **سلاح المبلغ**، ط١، مكتبة المدينة.

البنا، حسن، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، **مجموعة رسائل حسن البنا**، المؤسسة الإسلامية.

بيرزاد، عبدالخالق، (١٤١٤هـ)، **انجازات جماعة التبليغ والدعوة**، مكتبة النفيس، لاهور باكستان

بيرزادة، عبد الخالق، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، **الشيخ محمد إلياس بين المؤيدين والمعارضين**، ط٢، باكستان، لاهور: مكتبة النفيس.

بيرزادة، عبدالخالق، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، **الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة**، ط١، مكتبة الآداب.

بيرزادة، عبدالخالق، (١٤٠٤هـ/١٩٩٤م)، **منهج الدعوة إلى الله لمن يخرج في سبيل الله**، ط٢، باكستان، لاهور: مكتبة النفيس.

التهانوي، أشرف علي، (١٣٥٣هـ)، **بيان القرآن**، ج٦، الهند: دار تهانة بهون.

التهانوي، أشرف علي، (١٣٩٩هـ)، **نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب**، سهارنفور: مكتبة أشاعت العلوم.

التهانوي، أشرف علي، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، **أعلام المسلمين**، ط١، دار القلم.

التهانوي، أشرف علي، (١٩٩٥م)، **بوادر النوادر**، ط١، مكتبة جاويد.

التهانوي، أشرف علي، **إمداد الفتاوى**، الهند: إدارة تأليفات أولياء ديوبند.

التويجري، حمود عبدالله بن حمود، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، **القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ**، ط٢، دار الصميعي.

ثاني، محمد، **حياة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي**، ط١، باكستان: دار البشائر الإسلامية.

جدوع، عوني، (١٩٩٢م)، **جماعة التبليغ (النشأة والجذور)**، ط١، مركز دراسات أبحاث العمل الإسلامي.

الجزائري، أبو بكر جابر، **القول البليغ في جماعة التبليغ**، المكتبة المحمدية

الجكني، محمد بن عمر بن الحسين، (١٤٢٠هـ/١٩٩٠م)، **العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها**، ط١، دار ابن حازم.

الجهني، مانع بن حماد، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط٥، دار الندوة العالمية.

الجويني، أبو المعالي، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، ط١، تحقيق اسعد تميم، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

الحاشري، فيصل بن عبده، (٢٠٠٥م)، **الخطاب البليغ في جماعة التبليغ**، دار الإيمان.

حبنكة، عبدالرحمن، (٢٠٠٤م)، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط١٢، دمشق: دار القلم.

حسنين، عبد النعيم محمد، (١٩٩١م)، **الدعوة إلى الله على بصيرة**، ط١، القاهرة.

الحصين، سعد، **من رسائل السلف القول البليغ في جماعة التبليغ**، وهي نسخة أوراق مصورة وليست مطبوعة.

الحصين، سعد، (١٩٨٥م)، **أوراق سعد الحصين في جماعة التبليغ**، ط١، مكتبة التربية العربي لدول الخليج.

حلمي، مصطفى، (١٤١١هـ)، **قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي**، ط١، دار الدعوة.

حماد، محمد أبو مصعب، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، **جامع الأصول لإحياء عهد الرسول ﷺ في التبليغ والدعوة**، ط٣، دار الشباب.

خان، وحيد الدين، **مولانا محمد إلياس وحركته الدينية**، ط١، باكستان.

الخطيب، محمد أحمد، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، **أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط١، دار المسيرة.

دحلان، أحمد بن زيني، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، **رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ**، استانبول: مكتبة الحقيقة.

الدوري، قحطان عبدالرحمن، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، **العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط١، دار العلوم.

الرازي، محمد بن أبي بكر، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، **مختار الصحاح**، ط١، دار عمار.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **عصمة الأنبياء**، ط١، دار المطبوعات الحديثة.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الإعلام**، ط٥، دار العلم للملايين.

زكريا، محمد، (٢٠٠٣)، **فضائل الأعمال**، مكتبة أوارة أشاعت دينيات.

زيغور، علي، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، **الفلسفة في الهند قطاعاتها الهندوكية والإسلامية المعاصرة مع مقدسات الفلسفة الشرقية**، ط١، بيروت: دار عز الدين.

سرور، علي يونس، (٢٠٠٥م)، **الإيمان لنجاة الإنس والجان من الخلود في النيران**، ط١، دائرة المكتبة الوطنية.

السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، ط٢، ج١، دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها.

السهارنفوري، خليل أحمد، (١٤٢٧هـ)، **عقائد علماء أهل السنة الديوبندية (المهند على المفند)**، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية.

السهارنفوري، محمد شاهد، (١٤١٩هـ)، **بصيرة الدعوة وفهمها وإدراكها**، ط١، مكتبة الشيخ التذكارية.

السهارنفوري، محمد شاهد، (٢٠٠٥م)، **الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي حياته وأفكاره**، ط١، تعريب محمد وثيق الندوي، مكتبة الشيخ التذكارية.

شقرة، محمد إبراهيم، (١٤٣٠هـ)، **فتاوى علماء في الجماعات الإسلامية**، لا يوجد دار نشر.

شلبي، رؤوف، **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها**.

الطيب، محمد، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، **كتاب علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي**، ط١، تعريب نور الأمني، دار العلوم ديوبند.

ظهير، إحسان، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، **القاديانية دراسات وتحليل**، ط١، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

عامر، صدر الدين، **دليل جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور**، الهند، سهارنفور.

عبدالرحمن، خالد، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، **وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة**، ط١، دار ثابت.

عبدالكريم، محمود، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، **هذه دعوتنا**، ط١، تقديم الشيخ محمد إبراهيم شقرة، دائرة المكتبة الوطنية.

عبيدات، محمود سالم، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، **أثر الجماعات الإسلامية الميداني خلال القرن العشرين**، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة.

العريني، محمد بن ناصر، (١٤٢٦هـ)، **كشف الستار عما تحمل بعض الدعوات من أخطار**، ط٥، مكتبة الملك فهد الوطنية.

فريدي، افتخار، **إرشادات مولانا محمد إلياس**، باكستان: دار أحسن المطابع.

فنون، عيسى، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، **جماعة التبليغ والدعوة في فلسطين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ج١، مصر: المكتبة التجارية.

الفيروزبوري، محمد عيسى، **العمل المحلي للتبليغ**، باكستان، لاهور.

القاسمي، محمد طيب، (١٩٩٩م)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط١، الهند: دار العلوم.

القاسمي، بدر الحسن، (١٤٠٠هـ)، **الداعي**، العدد الخاص.

قلعة جي، محمد رواس، (١٩٩٩م)، **طرق البحث في الدراسات الإسلامية**، ط١، دار النفائس.

الكاندهلوي، محمد زكريا، **تاريخ مظاهر العلوم**، الهند: مكتبة إشاعة العلوم.

الكاندهلوي، محمد يوسف، (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، **حياة الصحابة**، ط١، باكستان، لاهور: مكتبة خانة فيضي.

الكاندهلوي، محمد يوسف، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، **جماعة التبليغ والدعوة ومنهجها في الدعوة**، ط٧، تعريب د.عبد الرزاق اسكندر، كراتشي: دار القلم.

الكمال بن الهمام، **المسامرة بشرح المسايرة**، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

المدني، حسن أحمد، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، **الحالة التعليمية في الهند فيما قبل الاستعمار الإنجليزي وفيما بعده تعريب نور عالم خليل الأميني**، ط١، الهند: أكاديمية شيخ الهند الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند.

مسلم، مسلم بن حجاج، **صحيح مسلم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصطفى، محمود عبدالكريم، (٢٠٠٩م)، **هذه دعوتنا**، ط١، المكتبة الوطنية.

المفتي، عزيز الرحمن، **تذكرة أمير التبليغ مولانا محمد يوسف**، طبعة باكستان.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، (١٤١٧هـ)، **الترغيب والترهيب**، ط١، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.

منصوري، عبد الله أحمد، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، **فضائل الدعوة إلى الله تجارب وذكريات**، ط١، الرياض.

ميتا، خالد زيد، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، **التبليغ والدعوة**، ط١، لبنان: بر إلياس، البقاني.

النانوتي، محمد قاسم، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، **حجة الإسلام**، ط١، تعريف محمد ساجد القاسمي، أكاديمية شيخ الهند.

النبهاني، تقي الدين، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، **التكتل الحزبي**، ط٤

الندوي، أبو الحسن علي، **الدعوة الهامة**، لا يوجد دار نشر.

الندوي، أبو الحسن علي، **الدعوة الإسلامية في الهند**.

الندوي، محمد رحمة الله، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، **أعلام المسلمين أشرف علي التهانوي**، ط١، دمشق: دار القلم.

الندوي، أبو الحسن الندوي، **الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية**، باكستان

الندوي، أبو الحسن علي، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، **الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها**، ط١، باكستان لاهور: مكتبة زكريا.

الندوي، أبو الحسن علي، (١٩٦٢م)، **المسلمون في الهند**، ط١، باكستان، لاهور: مكتبة زكريا.

الندوي، علي الحسني، (١٩٩٢م)، **حياة الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس**، ط١، مكتبة الأختر الهند.

النسفي، أبو المعين، **تبصره الأدلة في أصول الدين**، ج١، تحقيق كلود سلامة، دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية.

النعماني، محمد منظور، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، **دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد عبدالوهاب**، تعريب الأستاذ نور الأمني، الهند: مكتبة الفرقان.

نعماني، محمد منظور، **ملفوظات الشيخ محمد إلياس**، باكستان، ترجمة عبدالوحيد ملك عبدالحق

ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبدالرحيم، **حجة الله البالغة**، مكتبة حجاز بديوبند

جدول رقم ١. المقررات الدراسية في جامعتي دار العلوم ديوبند.

اسم المادة	اسم الكتب	اسم المؤلف
التفسير	تفسير الجلالين	الإمامان الهمامان جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفى ٨٦٤هـ وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى ٩١١هـ
	تفسير البيضاوي (إلى أخر سورة البقرة)	الإمام القاضي ناصرالدين أبو الخير عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي المتوفى ٦٨٥هـ
	مدارك التنزيل (الجزء الأول)	العلامة أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى ٧١٠هـ
أصول التفسير	الفوز الكبير في أصول التفسير	الإمام ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي المتوفى ١١٧٦هـ
الحديث	موطأ الإمام مالك بروايتي يحيى الأندلسي ومحمد بن الحسن الشيباني	إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي المتوفى ١٧٩هـ
	الجامع الصحيح	أمير المؤمنين في الحديث أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ
	صحيح مسلم	الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القيشري المتوفى ٢٦١هـ
	سنن الإمام أبي داود	الإمام أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى ٢٧٥هـ
	سنن الإمام الترمذي مع كتابه العلل والشمائل له	الإمام أبو عيسى بن سورة الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ
	سنن الإمام النسائي	الإمام أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى ٣٠٣هـ
	سنن الإمام ابن ماجة	الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة القزويني المتوفى ٢٧٣هـ
	شرح معاني الآثار	الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ
	مشكاة المصابيح	العلامة محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي
أصول الحديث	نخبة الفكر	الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ
	مقدمة مشكاة المصابيح	المحدث الكبير عبد الحق الدهلوي المتوفى ١٠٢٥هـ
العقائد والكلام	شرح العقائد النسفية مع حاشية الخيالي	العلامة مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى ٧٩١هـ و العلامة أحمد بن موسى الخيالي المتوفى ٨٦٢هـ
الفرائض	مختصر السراجي	سراج الدين محمد بن عبد الرشيد السجاوندي
الفقه	نور الإيضاح	العلامة أبو الإخلاص حسن بن عمار الشرنبلالي المتوفى ١٠٦٩هـ

اسم المادة	اسم الكتب	اسم المؤلف
	مختصر القدوري	الفقيه أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعفر القدوري المتوفى ٤٢٨هـ
	كنز الدقائق	الفقيه أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى ٧١٠هـ
	شرح الوقاية	الفقيه صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المتوفى ٧٤٧هـ
	الهداية كاملاً (أربع مجلدات)	الفقيه برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفى ١١٣٠هـ
أصول الفقه	أصول الشاشي	ملا نظام الدين الشاشي
	نور الأنوار في شرح المنار	الشيخ أحمد المعروف بمجلاجيون المتوفى ١١٣٠هـ
	مختصر الحسامي	العلامة حسام الدين محمد بن عمر المتوفى ٦٤٤هـ
	التلويح	مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني المتوفى ٧٩٢هـ
البلاغة	تلخيص المفتاح	جلال الدين القزويني المتوفى ٧٢٩هـ
الأدب	ديوان المتنبي	أحمد بن الحسين أبو طيب المتنبي المتوفى ٣٥٤هـ
	ديوان الحماسة	أبو تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى ٢٣٢هـ
	نفحة العرب	شيخ الأدب مولانا محمد إعزاز علي الأمروهي المتوفى ١٣٧٤هـ
	مفيد الطالبين	العلامة محمد أحسن الصديقي النانوتي المتوفى ١٣١٢هـ
المناظرة	الرسالة الرشيدية	العلامة شمس الحق محمد عبد الرشيد الجونفوري المتوفى ١٨٠٣هـ
النحو	نحومير (بالفارسية)	علي بن محمد بن على السيد الشريف الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ
	الكافية	أبو عمرو عثمان بن الحاجب المتوفى ٨٩٨هـ
	شرح الجامي على الكافية	الشيخ عبدالرحمن الجامي المتوفى ٨٩٨هـ
	ألفية ابن مالك	أبو عبدالله محمد جمال الدين بن مالك المتوفى ٦٧٢هـ
	شرح الألفية	عبدالله بن أحمد المعروف بابن عقيل المتوفى ٧٩٩هـ
الصرف	ميزان الصرف	محمد بن مصطفى بن الحاج حسن المتوفى ٩١١هـ
	صرف مير	علي بن محمد بن علي السيد الشريف الجرجاني المتوفي ٨١٦هـ
	الفصول الأكبرية	القاضي أكبرالإله آبادي المتوفى ١٠٠٩هـ
العروض	عروض المفتاح	أبو يعقوب يوسف السكاسي المتوفى ٦٢٦هـ
المنطق	تيسير المنطق	المولوي محمد عبدالله الكنكوهي المتوفى ١٣٣٩هـ

اسم المادة	اسم الكتب	اسم المؤلف
	المرقات	سيد محمد فضل إمام بن محمد راشد قاضي زاده الخير آبادى المتوفى ١٢٤٠هـ
	ايسا غوجي التهذيب	أثير الدين الأبهري المتوفى ٦٦٠هـ
	شرح التهذيب	عبدالله اليزدي المتوفى ١٠١٥هـ
	سلم العلوم	العلامة محب الله البهاري المتوفى ١١١٩هـ
	شرح سلم العلوم	ملا حسن اللكنوي المتوفى ١٢٠٩هـ
الفلسفة	الهدية السعيدية	الشيخ فضل حق الخير آبادى المتوفى ١٢٧٨هـ
	هداية الحكمة	المحقق أثير الدين مفضل بن عمر الأبهري المتوفى ٦٦٠هـ
	شرح هداية الحكمة	القاضي حسين بن معين الدين الميبذي المتوفى ٩١٠هـ
	الشمس البازغة	ملا محمود الجونفوري المتوفى ٩٩٣هـ
الهيئة	التصريح	إمام الدين بن لطف الله اللاهوري المتوفى ١١٤٥هـ
الهندسة	أقليدس	نصير الدين الطوسي المتوفى ٩٩٣هـ
	بست باب	نصير الدين الطوسي المتوفى ٩٩٣هـ
الحساب	خلاصة الحساب	بهاء الدين العاملي المتوفى ١٠٣٠هـ

TABLIGH AND DA`WAH GROUP ORIGINS AND METHODOLOGY

By
Mahmood A. A. Oshroq laban

Supervisor
Dr. Mohamad N. Alomary

ABSTRACT

Due to the spoilage and mental bankrupey of muslims and their spiritnal leaders being so busy with materialistic side of life, sheikh Mohammed Elias started his 'Dawa' with a clear vision besed on the fact that education alone, unsocialising and getting lonely wont be useful. The decided that it is a must to get in contact with all socity classes as well as planting the principals of faith and Islam deep in the Muslims hearts and feelings thir started the idea of establishing the 'Dawa' and tableigh' movement.

The Dawa' and tableigh' movement is currently considered one of the most important Islamic groups in the world, it is now the biggest Islamic movements for Dawa and Irshad.

The followers of this group counts several millions, and its dawa activitien have spead over the whole world became its activists and followers are really keen an spreading the movement principals in the four directions of the world. However, due to the huge efforts and sincere work of the group followers, its principals have dominated many countries and is now supported and under taken by people.

On the others hand, few others are against this movement. They started a strong aggressive opposition promoting suspesions around them and accusing them of being far away of the prophets roule and accusing them with different bad things and ignoring

all their positive and advantagouse deeds, they went further to accuse them that they are out of Islamic circle.

After this aggressive opposition against the 'Dawa and tablegh' movement encouraged by dr. mohamd Nabeel al-omari who helbed and directed me in planning and approacling this topic, Thanks to him.

I started with introducing and efining the 'Dawa and tableigh' group concerning its origin and objectives. It was founded in India by sheikh Mohammad Elias al- kand halwi, who was born and grew in arelegious Islamic family, he occupied a remarkable religious rank amony his fellow scientists in his age.

This movement was founded in such a Circumstances where muslims are racing serious obbression and abuse due to the fact that muslims had left the route of 'Allah' the mighty God and his prophet 'Mohammed' peace be up on him. The establishing of this movement was the actual start of rescuing the muslims nd calling on them to go back to the real 'Shariat' through studying the opinion of the'Dawa' group it was proved that the 'Dawa' movement belongs to the 'Sonnah and Jamaa' movement with the same believe and references.

Concerining the other Islamic groups such as 'Salafia' 'Ashariah' and 'Materdiah' opinions. The 'Dawa' opinion on the 'Christians and jews' is very clear, through my study it is clear that the movement considers that belifs are all ageinst the Islamic principals. The 'Dawa' ws founded among materialistic religions such as the 'Hinus' and others, that was the motivation of the 'Dawa' movement to strongly come up against such materialistic religion and defend their belifs.

The movement has followed a principal that stands on six main pillars the belief that 'there is no God but Allah' prayers, science with the quran, perusing, the muslims, the pure intention towards 'Allah' and the invitation 'Dawa' to Allah route' this principal

was plasedby sheikh 'mohammad Elias' to change the society and teans forming them from 'Darkness' to ' Brighiness' consequenty millions of people changed to be good Muslims and left the life of unbelive and for beddings.

At the end I would like to extend my gratitnde to my honourable doctors and professors. Dr- ibrahim Burqan, Dr.Ahmad Awayshes, prof.Basam omaush who accepted to discuss my master project. Special thanks are extended to Dr. mohammad Nabeel al- omari. God bless him- who supported me through my education track and for his supervision on this master project.

Thank you, and peace be up on our phrophet Mohammad and his companions.